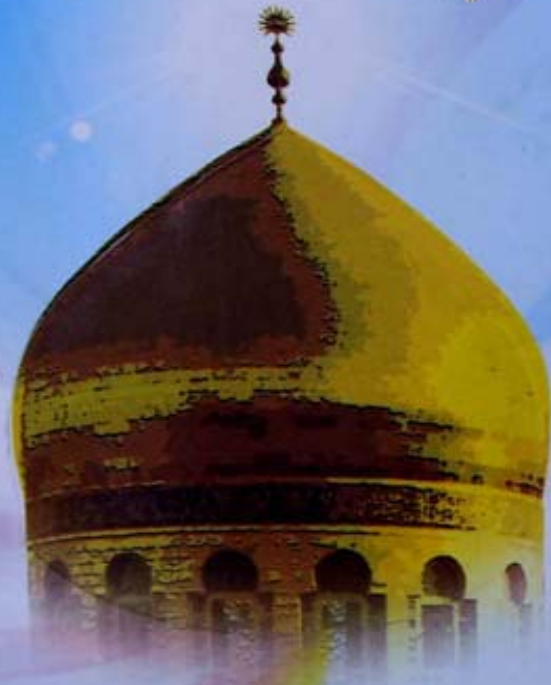


دُرَّةُ الشَّامِ العقيدة زينب

عليها السلام



كامل محمد رشيد بيضاوي

قدم له: سماحة العلامة
الشيخ حسين أحمد شحادة



www.haydarya.com

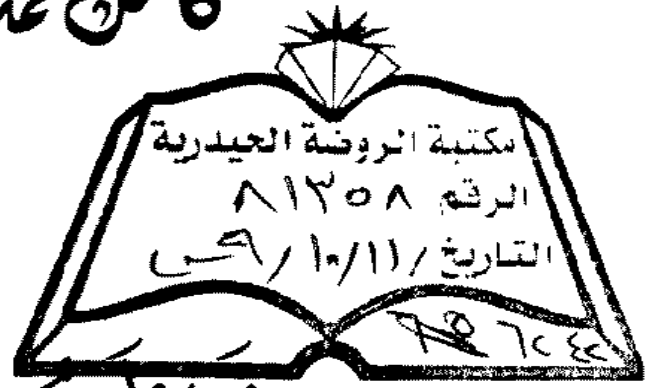
ذرة الشجيرة

العقيدة زينب عليها السلام

ذُرَّةُ الشَّامِ

العقيدة زينب
عليها السلام

إمامنا محمد شيرازي



قدم لنا: سماحة العلامة
الشيخ حسين أحمد شحادة



كافة الحقوق محفوظة وسجّلة

الطبعة الأولى

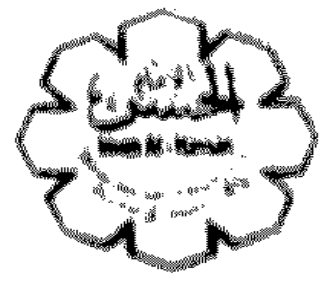
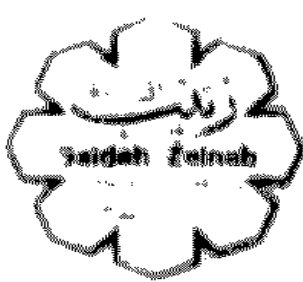
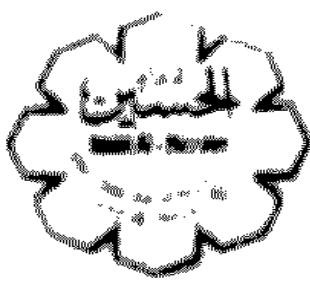
١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م

بيروت - لبنان - طريق المطار - سنتر زعرور - ط : ٤
هاتف : ٠٣/٤٥٥٧٤٤ - فاكس : ٤٥٦٥٦٧ ١ ٠٩٦١
E-mail: aladian@hotmail.co.uk





The Descendants of The Family of Muhammad



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

صدق الله العلي العظيم

مناجاة وإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك ، فرام عنك بدلا؟

إلهي من ذا الذي أنس بقربك ، فابتغى عنك حولا؟

إلهي بحق من اصطفيته لقربك

وأخلصته لودك

واخترته نبياً لجميع خلقك

أن تتقبل مني هذا العمل المتواضع عرفاناً

وامتناناً وعطاءً سرمدياً دائماً

لنجيك وحبيبك وخيرتك من خلقك سيد المرسلين

وخاتم النبيين أبي الزهراء وجد الحسن والحسين

وأختهما الحوراء الذي أمرته السماء بتسميتها زينب

عليهم السلام أجمعين

الفقير إلى الله تعالى

كامل محمد رشيد بيضون

تقريظ بقلم سماحة الشيخ ماجد الفتلاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أطلعني جناب الأخ الأستاذ:
كامل بيضون على كتابه الموسوم
(درة الشام) فتصفحته وارتحت
لعيانه واهتززت لعنوانه وتمعنت فيه
وشدني ما فيه..

فلا أغالي إذا قلت إنه أنفس طالع وأكرم متطلع وأجل متوقع،
كتاب من الكتب الميامين التي تأتي من قبل اليمين، يصور
ويجسد لنا حقائق الأمور ودقائقها، بل يصدق لنا ما نتصور،
فنصدق ما نلمسه ونتدبر، ولا غرابة، فإن المؤلف ذو تجارب^(١)،
ويبدو لي أن المؤلف أيده الله تعالى كان يكتب وأحشاؤه لعظم
المصاب محترقة، وعيونه بمائها غارقة.. كَتَبَهُ ودمعه واكف.. وحزنه
عاكف، على ما جرى على سادة الوري، لا سيما مولاتنا زينب
الكبرى عليها السلام، وكيف لا يحزن ويأسى فالمصاب عظيم والخطب

(١) للمؤلف عدة مؤلفات بين مخطوط ومطبوع وكان قد صدر له كتابي: الإمامة في عهد
الخلافة والزبانيون.

جسيم، وما الحيلة وقد حلَّ القضاء، وفرض العزاء، ونزل البلاء، ولا نسخط لقدر الله تعالى وهو عدل، ولا نكره لقضائه وهو فصل.. فإننا لله وإنا إليه راجعون.. تسليماً لما أمضاه.. ورضاً بما قضاه.. والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه..

لقد جهد المؤلف كل جهده، وبذل أقصى وسعه، وتناهى في ذلك إلى أقصى الاستطاعة.. وغاية الطاعة.. وبلغ غاية طوقه، ولا أنسى حين كان يباحثني في كتابه ودموعه تجري على خديه، وكان أحياناً يختنق بعبرته، فأبكي لبكائه، ويبدو عليه التوجع على ما جرى على مولاتنا زينب عليها السلام من بلايا ورزايا ومصائب مما إذا وقعت على الجبال الرواسي لهدتها.. وقد أبدع في تأليف هذا الكتاب المستطاب، فله دره وعليه أجره، وأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يأخذ بيده ويفيض عليه من خيره وبركاته، وأن يجعله في ميزان أعماله، وأن ينفع به المؤمنين، ويرزقنا وإياه حسن الختام، وشفاعة محمد وآله الكرام، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

كتبها بيده الجانية أقل الوري علماء وعملاً

ماجد الفتلاوي

دمشق - السيدة زينب (ع)

٣ ذو القعدة ١٤٢٩ هـ

تقديم بقلم سماحة الشيخ حسين أحمد شحادة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيدة زينب عليها السلام وشروط الكتابة التاريخية

كثيراً ما تراودني الأفكار التي
كتبتها مقالاً في النجف الأشرف قبل
نيف وثلاثين عاماً عن فلسفة التاريخ
كيف ندرسة ونكتبه ثم أتمنى اليوم
لتلك الأفكار أن تكون كتاباً يؤسس
لمنهاج جديد في تدوين التراث
الإسلامي لنستخلص من وثائقه
صفوة العبرة والموعظة من قراءة
التاريخ من أجل أن نضع حلاً علمياً
وموضوعياً لمشكلتين من مشكلات
التدوين وإشكالات القراءة.

إحدهما: مشكلة اختلاط المفاهيم العقائدية بموروثات الثقافة

التاريخية في مجال التدوين والتحقيق

وثانيهما: إشكال الطابع المذهبي الذي تدور عليه مراجعات القراءة التاريخية في غياب الركائز الأساسية لعلم النقد ومعايره لكي لا يتورط العقل الإسلامي المعاصر في انتهاك سلامة - الذاكرة - عبر إنتاج معرفة مفككة غامضة لا تمت بأية صلة لطريقة الباحثين والعلماء في تحليل الحدث التاريخي كشفاً واطاءة.

ولك أن تستعرض اليوم مكتبتنا الإسلامية لترى من ألوف الألوف مما يطبع وينشر في غير عاصمة عربية كيف تتعرض - الثقافة - التاريخية - في الأشخاص والأحداث لذلك التحوير الذي يصادر الغاية المرتجاة من قواعد الكتابة وحكمتها ولا سيما في مواضع الحديث عن تلك الرموز المضيفة التي نحتاجها في كل عصر متمثلة في القدوة والأسوة الحسنة، في واقع القيم التي تجسدها فكراً وسلوكاً ومواقف تشع بأروع ما صنعه القرآن من بناء الكمال والجمال ولا سيما في مجال وحدة الأسرة الإنسانية التي تصوغ قيمها الحضارية والأخلاقية على صورة الأسرة المباركة من أهل البيت عليهم السلام.

وها هنا يأتي اسم زينب في هذا الكتاب بوصفه مرجعاً لموضع المرأة الكاملة من جمال ووحدة الأمة التي لن يستقيم لها أمر في حاضرها ومستقبلها من غير الاستقامة على هدى الثقلين: كتاب الله والعترة الطاهرة من آل محمد عليهم السلام.

ولئن كانت الحوراء زينب عليها السلام وسيلتنا إلى وعي الغاية من عقيدة التوحيد وتجلياتها في وحدة التعاون والتكافل فلا مندوحة لنا إلا أن نبقي على الغاية المنشودة من توثيق سيرتها المباركة لتندرج في وجدان الأمة حقيقة وأمثلة لا يختلف عليها إثنان من المسلمين بكل ما تدل عليه

كلمة - زينب - عالمة آل محمد من سمو وكمال.

وأراني أوصي العزيز الغالي كامل بيضون ألا يتعجل في هذه المرحلة من مراحل إعداد كتابه عن عقيلة بني هاشم إلا بعد أن ينصت إلى كل نبرة تأتيه من بلاغة زينب عليها السلام حتى يملأ فصول كتابه الواعد بإدراك القيم التي جاءت بها رسالة زينب التي صورها البعض كأنما هي صخرة في فلاة وجعلها بيضون منزهة عن كل ما يحجب قامتها الشامخة إزاء كل التحديات وإني لأرجو من الكاتب عند تطبيقات هذا المؤلف المبارك أن تتسلسل فيه النتائج من مقدماتها ثم يضع نصب عينيه لا فيما كان من عمله والأعمال بالنيات وإنما كيف ينبغي أن يكون وتلك هي المفارقة الدائمة بين أقلام لا يجيء منها سوى الحبر على الورق وأقلام يجيء اليك منها لمعات من الضوء الجميل.

ومؤدى فلسفة التاريخ في نهاية المطاف أن نقيس الزبد الذي يذهب جفاء في فترة الزمان بالذي هو ماكث في الأرض متآلفاً بغراسه الطيبة التي تنفع الناس في كل زمان.

والباقيات الصالحات خير والله ولي التوفيق.

الشيخ حسين أحمد شحادة

كلمة الافتتاح

ملحمة اسمها زينب

عندما يتآلف القلب والروح مع القلم...
عندما تنبض الكلمات على صفحات... كتاب
عندما يتكلم الزمان عن قامةٍ شامخة...
عندما يتلألأ التاريخ بأحرف من .. نور
عندما تختصر البطولة في شخصية سيدة..
عندها تعبق بالأريج... صفحات المجد
عندما تنسج الأجدية ملحمة إنسانية...
عندها تدرك بالبديهة أنما المقصود هي... زينب
ولكن...؟

أن تستعرض كتب التاريخ... لا بأس!!
أن تستمتع أو تتأثر بقراءة التاريخ.. لا بأس!!
ولكن أن تسبر التاريخ وتمعن بمفرداته ومجملاته، وتقرأ

بقلب صادق، وعقل نير، وبصيرة نافذة، وبصبر وتأنٍ - بعد التوكل على الله-.

ذلك هو - وأيم الله- ما يوصلك للهدف المنشود، والحقيقة الدامغة المطلقة، والتي هي مرتجى وأمل كل باحث مجتهد لا يقبل بأنصاف الحلول - على الرغم مما طوى عليها الزمن -.

هذا الذي كان عليه دأبنا خلال هذه الحقبة من العمر التي قضيناها بجوار العقيلة زينب عليها السلام، فتتبعنا أثر ذلك الشعاع الذي لاح لنا في الأفق، فقرأنا ما بين الأسطر، وفي الزوايا المهملة، وضممنا شعاعاً إلى شعاع، حتى إذا ما أصبحت حزمة متكاملة، سطعت أنوارها على الملاء تعلن عن حقيقة أصابت عين الهدف بكل يسر وسهولة.

المؤلف

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الواحد الأحد الفرد
الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفواً أحد الذي بعد فلا
يرى وقرب فشهد النجوى تبارك
وتعالى.

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين أبي القاسم
محمد ﷺ، والمسمى في السماء أحمد، وأفضل السلام على
إمام المتقين ويعسوب الدين وخليفة الله ورسوله في المسلمين
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام زوج الزهراء عليها السلام بضعة
الرسول الكريم والطاهرة المطهرة بنص الذكر الحكيم، وعلى
ذريتهما الطاهرة والعترة من الرسول ﷺ والرضا من الله عز وجل.
وأفضل التحية على أصحاب رسول الله ﷺ المنتجبين
والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين تحية تبلغهم أعلى المراتب
وأرقى الدرجات.

أما بعد: فهذه الصفحات التي ما بين أيديكم قد حررتها لكم يد عاجزة ومقصرة، ولا تستطيع مهما بذلت من جهد أن ترقى إلى أعتاب تلك القامات الشاهقة والمجلية في عالم الكتابة والتحقيق وخاصة فيما يخص أحوال وكرامات آل البيت الكرام عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص الذكر الحكيم وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين.

بيد أن الله تبارك وتعالى وبرحمته التي وسعت كل شيء أفاض علينا برؤى وأفكار شجعتنا للانضمام إلى مسيرة ركب المساهمين - وحسب إمكانياتنا المتواضعة جداً - للانتصار لآل البيت عليهم السلام ورفع الظلم عنهم والذي شملهم عهداً من الزمن.

وما أنا اليوم وبهذا العمل الخالص لوجه الله تعالى إلا ورقة صفراء ذابلة في تلك الشجرة الباسقة الغناء التي أنبتت تلك الأعمال الخالدة والتي كتبت بأحرف من نور فأضاءت لنا السبل لنمضي فيها بكل سهولة ويسر، حيث أنه لولا تلك الأعمال العظيمة والجليلة والتي فاض يراع كاتبها على تلك النفائس التي لا تقدر بثمن لما كنا استطعنا نحن اليوم أن نكتب كلمة واحدة، ولا استطعنا أن نحبو خلف تلك المسيرة الظافرة التي قطع أشواطاً فيها أولئك العلماء والأدباء والبلغاء وجهدت فيها حناجر الخطباء ولم تكل فيها خواطر الشعراء.

إلا أن ما كان يعتمل في صدري من محبة وتقديس لآل البيت الكرام عليهم السلام أبى إلا أن يفيض على صفحات هذا الكتاب الذي بين أيديكم والذي حفزني على كتابته بشكل كبير هو تواجدي اليومي في مقام السيدة زينب عليها السلام وعملي في خدمة زوارها بصفتي أحد خدام هذا المقام الشريف، وهو شرف عظيم أفتخر به - من الله به علي -

عندما سهل لي سبحانه وتعالى هذه الخدمة في أشرف وأطهر وأكرم مكان في دمشق بل في بلاد الشام كلها، ولتحصيل الأجر والثواب في خدمة آل بيت المصطفى والسهر على راحة زوار هذا الصرح العظيم والمحافضة على منشأته.

لكن هذا العمل - في هذا المقام الشريف - على الرغم من سموه ورفعته ومكانته عند الله تعالى ورسوله الكريم، إلا أنه يبقى بعيداً عن شيء اسمه كتابة أو تأليف.

فالعمل شيء والكتابة شيء آخر وخاصة إذا كان المخصوص به شخصية عظيمة كتلك التي كانت تتمتع بها العقيلة زينب عليها السلام.

وكذلك تسابق أولئك العظماء عبر التاريخ في التكلم عنها خلال قرون طويلة من الزمن فلم يتركوا (أثابهم الله) صغيرة ولا كبيرة من المسيرة الظافرة لهذه العالمة غير المعلمة إلا ذكروها وشرحوها ودونوها في مؤلفاتهم وأعطوها حق قدرها وجلّ اهتمامهم.

من هنا كانت مسؤوليتنا كبيرة ومهمتنا صعبة للغاية، فالمنافذ للدخول إلى الموضوع جميعها مغلقة والشغرات معدومة.

ولكن أين يذهب من كان يكن في قلبه هذا الحب والولاء المطلق لآل البيت عليهم السلام وهو الذي يعرف تلك المكانة العظيمة لهذه الفئة الطاهرة عند الله تعالى وكذلك حجم الأجر والثواب الكبير الذي يأمل أن يناله منه تعالى عند الإسهام في نصرة الحق وإزهاق الباطل فما كان منا إلا أن سبرنا كتب التاريخ بحثاً وتدقيقاً عسى ولعل أن يهدينا الله إلى أمر يكون فيه إضافة جديدة وفائدة تهم عشاق أهل هذا البيت النبوي الطاهر عليهم السلام ومما ساعدنا في هذا الموضوع سهولة الحصول على المعلومات عن طريق جهاز الكمبيوتر والذي بضغط زر واحدة

يعطيك مئات بل آلاف المعلومات المطلوبة، وبعد التحري والتقصي والتسديد من الله تعالى، ومن خلال مقارنات وإسقاطات عديدة استطعنا أن نخرج بنتيجة معقولة فيها جلاء ووضوح يغني القارئ إن شاء الله ويقفه على أمور هامة تتجلى فيها الحقيقة بأبهى صورها وأهمها:

إثبات مرقد العقيلة زينب عليها السلام أنه في قرية راوية دمشق دون غيرها. حيث أننا تتبعنا مسيرة حياة هذه السيدة الجليلة عليها السلام وكذلك مسيرة حياة أختها الصغرى أم كلثوم عليها السلام إلى أن عادنا من واقعة الطف فتوفيت أم كلثوم صغرى بنات سيدنا علي وفاطمة عليهما السلام ودفنت في المدينة بعد مكوثها فيها أربعة أشهر وعشرة أيام (روايات) وأنه في ١٥ رجب عام ٦٥ هجرية عندما توفيت العقيلة زينب عليها السلام لم يكن من أبناء سيدنا علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليهما السلام على قيد الحياة سوى السيدة زينب عليها السلام. وتابعنا البحث إلى أن وصلنا إلى مقامات أهل البيت عليهم السلام في مصر فتبين لدينا أنه لم يدخل أحدٌ إليها من صلب سيدنا علي عليه السلام المباشر نهائياً حياً كان أو ميتاً وكذلك أمور أخرى مساندة كقبر الخادمة فضة النوبية في دمشق وأمور أخرى كثيرة كالعبر والمشاهد من واقعة الطف وغيرها.

نرجو من الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا إلى ذلك حيث أن هذا العمل الهام كان يحتاج إلى كواهل قوية يعجز عنها كاهلي وهو يحتاج أيضاً لمفكرين وباحثين وأعلام متمكنين تتوفر فيهم القدرات والملكات العلمية لكي ينتج عنهم عملاً متكاملًا ودقيقاً.

لذا كنت وأنا أمضي في البحث أو الكتابة، تراودني أفكار في الإقدام والإحجام، واستمرت هذه الأفكار تراودني مدة طويلة إلى أن

تولدت عندي قناعات جيدة وظهرت لي بعض الوسائل التي توصلني للهدف المنشود من خلال طريق واضح المعالم وغني بالإشارات المساعدة فكان كتابي هذا الذي بين أيديكم وأتمثل أخيراً بخير الكلام، قوله تعالى:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١).

والحمد لله رب العالمين وهو المعين وهو وراء القصد

كامل محمد رشيد بيضون

القسم الأول

العقيلة زينب (ع)

العقيلة زينب (سلام الله عليها)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحديث عن السيدة
زينب عليها السلام حديث له شجون
ومعاناة مما يفوق الوصف أو مما
يتبادر للذهن من عصارة الفكر.

بل إن الحديث عنها عليها السلام يحتاج إلى تمعن وتبصر وتفكر
لكي يؤتي أكله وتوفى صاحبته حقها ولا يبخس منه شيئاً.

كيف لا وهي التي ولدت في بيت من بيوت الله التي ﴿أَذِنَ
اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ وهو بيت رسول الله ﷺ وعلي
وفاطمة عليهما السلام فكانت تلك بداية الغيث والعطاء الرباني لهذه
الإنسنة الفاضلة عليها السلام.

ليشتد عضد هذه الطفلة الوديدة وهي تتقلب ما بين الأيادي
المباركة رسول الله ﷺ وأبويها علي وفاطمة عليهما السلام لتزكى روحها
ويصفو قلبها، لتتفتح بواكير وعيها في حجرٍ كان الوحي أنيسه
وملائكة الرحمن زواره وحرسه وأطهر الكائنات تسبح فيه بالغدو

والآصال، في هذا الجو المفعم بعبق الإيمان الصادق ولدت الطفلة زينب عليها السلام وترعرعت في ربوع الوحي والتنزيل وتربت تلك التربية الفريدة والتي لم ينل ولو قسطاً صغيراً منها سواها وأخويها الإمامين - إذا قاما أو قعدا وسيدا شباب أهل الجنة - الحسن والحسين عليهما السلام وأختهم الصغرى أم كلثوم عليها السلام.

فكان لهذه الإنطلاقة الفاضلة للسيدة زينب عليها السلام أكبر الأثر في نضجها وعلو مقامها إلى جانب ما وهبها الله تعالى من ذكاء مفرط ونزاهة وقداسة لا تتوافران إلا في الذين كشف الله عنهم الغطاء فعرفوا الله وعرفهم من النبيين والأئمة الأبرار وجميع الأولياء والصديقين الطاهرين.

زينب (عليها السلام) اسم من السماء

لقد كان من فضل الله تعالى الكبير على نخبة من عباده الصالحين أن اختار لهم أسماءهم بنفسه العلية وفي ذلك إشارة عظيمة منه تعالى لهذه الفئة وتبوؤهم ومكانة لا تطالها أيادي جميع خلقه، وفيها أيضاً دلالة واضحة بأن هذا الإنسان سيكون معقوداً عليه خلال مسيرته في هذه الحياة مهام جسام وأمرٌ مصيرية، غير مهياً لتنفيذها إلا هذا الإنسان بالذات دون غيره من سائر البشر.

للإمعان في التأكيد منه تعالى وللفت نظر الناس جميعاً إلى تفوق هذه النخبة اقتصر هذا العطاء الإلهي على عددٍ ضئيلٍ جداً من عباده المقربين فكان منهم:

تلك الأنوار المتألثة والسابحة في ملكوت الله عَزَّ وَجَلَّ قبل خلق الأشياء

وهم:

سيدنا محمد ﷺ وفاطمة عليها السلام وعلي عليها السلام والحسن عليها السلام والحسين عليها السلام والمتعددة بلغت إلى حدّ التواتر والتي كان لها في قرآن الله تعالى أعظم حجة وأبلغ دليل فكانوا عليهم السلام آل طه وآل ياسين والمذكورين في كثير من المواقع العظيمة في قرآن الله تعالى.

وكذلك كان منهم سيدنا يحيى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام من خلال

آياتِ بَيِّنَاتٍ يردّها المسلمون آناء الليل وأطراف النهار.

ومن خلال سعي هذه النخبة وكدهم خلال مسيرة حياتهم، يظهر لك الدليل المشرّع والواضح على عظمة وتفوق أصحاب هذه الأسماء، وأنّ الله تعالى ما اختارهم إلا ليكونوا القدوة الحسنة والمثال المحتذى لجميع عباده، فألقى على كواهلهم تلك المهام العظيمة والجسيمة، فحملوها بكلّ نفسٍ راضية ومضوا - يسعون بين الناس - بتنفيذها بكلّ عزيمة واقتدارٍ بما يرضي الله تعالى ويرضاه.

وقد ألحق سبحانه وتعالى السيّدة زينب ابنة علي وفاطمة عليهما السلام بهذه النخبة من عباده الطاهرين حتّى إذا ما ولدتها السيّدة الزهراء عليها السلام هبط جبرائيل عليه السلام مرسلًا من عند الله إلى نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله ليقول له إنّ الله قد أسمى هذه المولودة المباركة (زينب)^(١).

فكان هذا الفضل وتلك المِنَّة منه تعالى أبلغ دليلٍ لما سيكون من عظم الشأن لهذه الإنسنة الفاضلة وأنها ما سمّيت بأمره وإرادته إلا لأمرٍ هامٍّ سيلقى على عاتقها وبما سيعهد إليها من مهماتٍ سامية لا يقدر على تحمّلها والقيام بها سواها عليها السلام، شأنها شأن جميع من خصّهم بالذكر سبحانه وتعالى فأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة فظهر لهم المولد وأعلى فيهم النسب لما سيكون لهم من عظيم الشأن لاحقاً فبادر تعالى في تمكينه فيهم قبل وقتٍ كافٍ جدًّا سبق يوم ولادتهم بألاف السنين.

وإليك بعض النصوص المؤيِّدة لذلك:

جاء في بحار الأنوار للمجلسي ج ١١ ص ١١٧

عن أبي عبد الله عليه السلام فيما يخصّ الأسماء التي علّمها تعالى لسيدنا آدم عليه السلام بقوله الكريم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى

(١) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد ص ٢٨ وحياة السيّدة زينب ط ١ ص ٤٣ للنقدي.

الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْني أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

قال الإمام عليه السلام: «الأسماء هي أسماء الأنبياء وأسماء: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والطيبين من آلهم».

ثم عرضهم على الملائكة فقالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

فقال تعالى: ﴿يَتَقَدَّمُ أُنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾.

فلما أنبأهم عرفوها، وأخذ عليهم تعالى العهد والميثاق بالإيمان بهم والتفضيل لهم.

وفي التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام ص ٢١٨، قال الإمام عليه السلام:

«إِنَّ سَجُودَ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ عليه السلام كَانَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاطْمِئْنَانٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ عليه السلام وَسَوَّاهُ وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ وَعَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ جَعَلَ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهم السلام أَشْبَاحًا خَمْسَةً فِي ظَهْرِ آدَمَ، وَكَانَتْ أَنْوَارُهُمْ تَضِيءُ فِي الْآفَاقِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْحَجَبِ وَالْجَنَانِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْعَرْشِ فَسَجَدَتْ الْمَلَائِكَةُ تَعْظِيمًا لِآدَمَ عليه السلام لِأَنَّهُ جَعَلَهُ وَعَاءً لَتِلْكَ الْأَشْبَاحِ الَّتِي عَمَّتْ أَنْوَارُهَا الْآفَاقَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي أَنْ يَمْتَثِلَ لِلَّهِ وَيَتَوَاضِعَ لِآدَمَ وَلَتِلْكَ الْأَنْوَارِ الَّتِي فِي صَلْبِهِ فَقَالَ: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لِأَعْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴿١﴾

فيما كان جواب الله ﷻ إلا أن قال له: فالحقّ والحقّ أقول، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١).

وفي بحار الأنوار للمجلسي ج ٦٢ ص ٣٤٣

روى الصدوق بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله ﷻ لإبليس:

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(٢) فمن هم العالون؟

فقال ﷺ: «أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نستبح لله فستبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله ﷻ آدم بألفي عام، حتى خلق آدم أمر الله الملائكة أن يسجدوا فسجدت الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد فقال تعالى: يا إبليس ما منعك أن تسجد ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أي أنهم هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم على سرادق العرش فنحن باب الله الذي يؤتى منه، وبنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبه الله، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه النار، ولا يحبنا إلا من طاب مولده».

تلك كانت ثلاث روايات هامة اخترناها من جملة كبيرة من أمثالها وردت في أهم الكتب المعتمدة توخياً للاختصار ولعدم الإطالة.

حيث أنّها أوضحت لنا الفائدة المرجوة منها ألا وهي:

إنّ هذه الأشباح والأنوار التي كانت تسبح في ملكوت الله وتخرق الحجب وقد خلقها الله تعالى قبل أن يخلق الأشياء كلّها وقرأنا كيف

(١) سورة ص: الآيتان ٨٢ و٨٣

(٢) سورة ص الآيتان ٨٤ و٨٥.

(٣) سورة ص الآية: ٧٥

كانت تسبح الله فتعلمت الملائكة منها التسبيح وفي المختصر للحلي ص ١٦٥ قال: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ثم خلق الله تعالى الملائكة فسبحنا وسبحت الملائكة، وهللنا فهللت الملائكة، وكبرنا فكبرت الملائكة وأنه سبحانه وتعالى ما خلق الجنة والنار إلا لأجلهم، ولولاهم ما خلق آدم».

فلقد جاء في عالم الأظلة ص ٥٢ من حديث طويل مرفوع إلى الإمام الرضا عليه السلام «قال الله تعالى لسيدنا آدم عندما خلقه: ارفع رأسك، فرفع سيدنا آدم عليه السلام رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد مكتوباً عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله، علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال آدم عليه السلام: يا رب من هؤلاء، فقال عز وجل: هؤلاء ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار».

مما سبق نهدي:

١. أن الله تعالى قد خلق سيدنا محمداً ﷺ قبل خلق الأشياء.
٢. وخلق معه سيدنا علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والحسين عليه السلام.
٣. وخلق من ذريتهما الأئمة المعصومين عليهم السلام.
٤. فكانوا جميعاً أشباحاً وأنواراً تسبح في ملكوت الله عز وجل.
٥. وخلق من بعدهم الملائكة فتعلموا منهم التكبير والتسبيح والتهليل...
٦. ثم أن الله تعالى خلق سيدنا آدم عليه السلام وأتبعه بسيدتنا حواء عليها السلام.
٧. وجعل في صلبه تلك الأنوار - سيدنا محمد ﷺ وآله الكرام عليهم السلام.
٨. فسجدت الملائكة ﷺ لسيدنا آدم عليه السلام بأمر الله تعالى والرضا والقبول منهم عليهم السلام.

٩. إِيَّا إبليس الذي أبى أن يسجد فكان من الضالين.

من خلال ما سبق تعرّفنا على أسماء خمسةٍ ورد ذكرها بشكلٍ جلي فكانت للرسول الكريم سيّدنا محمد ﷺ وأخيه وابن عمّه الإمام عليّ ﷺ والصديقة الزهراء ﷺ وابنيهما الإمامين الحسن والحسين ﷺ والبقية الباقية من الأئمة المعصومين من ذريّتهم التي علّم الله تعالى أسماءهم لسيّدنا آدم ﷺ وأنبأها بدوره لملائكة الله عزّ وجلّ، والتي كانت الملائكة تشاهد أنوارهم تسطع وتتألأ في كلّ مكانٍ من غير أن يدركوا لها تفسيراً وكانت محلّ إعجابهم وتقديرهم وتعظيمهم إلى أن خلق الله تعالى سيّدنا آدم ونفخ فيه الرّوح وعلمه تلك الأسماء مع تلك العلوم كلّها فكانت تلك من أهمّ ما اشتاقت إليه الملائكة لتعرفه لأنّها كانت تسعى فيما بينهم وهي من العظمة والرفعة ما فاق قدرات معرفتهم وإدراكهم.

فلما أنبأهم سيّدنا آدم ﷺ بأسمائها كان وقع ذلك عظيماً عليهم وعلموا أنّ هذا المخلوق الجديد الذين سجدوا له هو من العظمة والتفوّق ما يفوق تصوّرهم وهو قابلٌ للتنمية والتعليم والاستيعاب بحيث يستطيع أن ينال بها أعلى الدرجات عند الله تعالى ولديه من القدرة بأن يحتلّ مكانةً سامية عند الله تعالى تعلو وترقى كثيراً عن مرتبات ملائكة الله المقربين.

لأنّه خلقهم ﷺ من نورٍ وخلقهم من ترابٍ وشتان ما بين الاثنين وخلقهم كي يعبدوه ولا يعصوه بطرفة عين فكانوا الساجدين العابدين الموحدين المسبحين والمنصاعين لجميع ما أمر الله به.

بينما هذا المخلوق قد خلقه الله من صلصال ووضع فيه طاقة محايدة بتعادل فيها الخير والشر وإمكانية انحيازه التام نحو الشرّ من غير مانع

قسري يحدّ من تنازعه هذا ولم يكن يمتلك قوانين طبيعية أو كونية صارمة تحكم بينهما.

لذا عندما ينحاز هذا المخلوق ولا يعمل إلا الخير ويفوض جميع أموره لله ويعبده حقّ عبادته ولا يشرك به شيئاً عندها سيتفوق على الملائكة لأنّه فعل ذلك مع قدرته الكاملة لأن يفعل ما يخالفها تماماً فنبذها جميعاً وأبعدها عن مسيرته الظاهرة ولم يرض إلا بما يرضي الله تعالى منذ أن حمل تكليفه على عاتقه إلى آخر يوم في حياته لذلك عندما قال الله تعالى لملائكته: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تخطت معرفة الملائكة لهذا الشأن بل كان نابعاً من إرادة إلهية لها موجباتها وأسبابها في خلق كائن حي ينمو ويتعرعر ويتعلّم فيصنع قدره ومصيره بيده من خلال قبس وهدى جبله مع الفطرة التي فطر الكائنات البشرية عليها وتنمية هذه الفطرة بشكلٍ دائم والتفكر بالله وبما خلق وبرأ وذرأ، لتتشكّل على إثر ذلك الفئات البشرية وتسمو بعضها فوق بعض.

فكان سيّدنا محمد ﷺ وأهل بيته الطيبين الكرام أسمى هذه المخلوقات جميعها وأطهرها وأكرمها وأعبدتها وأزهدتها بنصّ الذكر الحكيم من الله المتعال الذي كان لهم أوّل الذاكرين وأهمّ المادحين وأوسع المعطين.

الذي أنبت فرعهم الطاهر من تلك الشجرة الطيبة والثابتة والتي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وفي ذلك إشارة واضحة لفرع سيّدنا محمد ﷺ الذي تطاول حتى بلغ عنان السماء بما اجتمع فيه من الأسباب المطلوبة فكان طهر المولد وعلوّ النسب بداية غيبتها، والذي سبقه بألاف السنين (والحساب عند الله) تلك الأنوار المتألّثة التي كانت تحوم حول العرش إلى أن خلق الله تعالى سيّدنا آدم ﷺ فزرعها في صلبه فخرت

ملائكة الله على إثر ذلك سجداً لهذا العبد المكرم والذي جعله تعالى خليفته على الأرض بعدما زوّده بملكات وخصائص من نفسه العلية مثل: العدل والكرم والتسامح....

حيث كلما سمت وعلت هذه الخصائص عند هذا الإنسان قرب من الله تعالى إلى أن يصبح في مقعد صدق عند مليك مقتدر فكان هؤلاء الأبرار الأطهار من الرسل والأنبياء والأئمة الأطهار وجميع الصديقين الأبرار.

فسجود الملائكة لسيدنا آدم عليه السلام كان له عدة موجبات ودلالات وإشارات وإحدى تلك الدلالات الهامة كان إذعان الملائكة لأمر الله تعالى ورفض إبليس.

فالملائكة عليهم السلام أجمعين بادئ ذي بدء أبدت مخاوفها من هذا المخلوق الجديد بعدما تبين لها أنه يملك قدرات محايدة ولديه من العزم والتصميم على تجاوز حدود الله والإفساد في الأرض، وبالمقابل لديه أيضاً إمكانيات النهوض الأمثل في عبادة الله الواحد الأحد ولا يشرك به شيئاً وليس هناك ما يمنعه عن القيام بالعملين معاً كلٌّ على حساب الآخر من غير رادع قسري يحدّ بينهما إلا أنها (أي الملائكة) عندما قامت بما أوجب الله عليها فأدّت مهمتها بكلّ نفس راضية وسجدت لأدم عليه السلام.

وهنا نتلمّس دالة هامة لا بدّ من الإشارة إليها، فالذي عرف مكانة هذه الأنوار عند الله ومكانتها السامية عنده تعالى سجد ذلك السجود العظيم بعدما آمن وصدق وأعطى عهوده الموثقة لله تعالى بالإيمان بهم والتفضل لهم وهو ما جاء في الأحاديث المسندة السابقة.

والحال كذلك فإنّ أول من انتصر لمحمد عليه السلام وآله الكرام عليهم السلام هم

الملائكة أجمعين ﷺ، وأول من تنكر واستكبر كان إبليس اللعين فما كان جزاؤه من الله تعالى إلا الطرد من جنة الله تعالى وهو ملعونٌ رجيمٌ بقوله الكريم:

﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(١).

فخرج إبليس (اللعين) من الجنة مذموماً مدحوراً وهو يقول:

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٢).

ولكن أنى لهذا الشيطان أن يقرب من هؤلاء الذين عرفوا الله وعرفهم واتبعوا ما أنزل الله على نبيه الكريم وآمنوا واتفقوا ولم يحيدوا عن وصايا رسول الله ﷺ في أهل بيته ﷺ فلم يتقدموا عنهم ولم يتأخروا، فعرفوا مكانتهم وطهارتهم وقدسيتهم عند الله تعالى ورسوله الكريم.

لذا تجد إبليس يستثني هذه الفئة من برنامج الخبيث فيقول:

﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾

فيرد الله تعالى عليه:

إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ لَأَنَّهُمْ مُحَصِّنِينَ بِحَصْنِ مَنِيْعٍ وَمَنْ

الاستحالة النفاذ إليهم بقوله الكريم:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَاوِينَ ﴾^(٣).

وبالتالي تكون الفكرة قد وضحت تماماً، فالذي قدر هذه الأنوار حق قدرها ورضي بما يرضي الله (يوم رضي لنا الإسلام ديناً) بعدما أتم نعمته على الناس جمعياً واتبع الإسلام ديناً بجميع شرائعه وسننه ولم يتجاوز حدود الله نهائياً والتي كانت تلك الفئة المطهرة من آل البيت

(١) سورة الحجر: الآية ٣٤، ٣٥.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٩.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٢.

الكرام عليهم السلام إحدى هذه الحدود الهامة، نستطيع أن نجزم القول بأن هذا الإنسان الواعي والمتبصر والذي حفظ مكانة آل البيت عليهم السلام هو من حزب الملائكة الذين سجدوا لآدم عليه السلام وعاهدوه تعالى بالإيمان به والتفضل لهم.

أما من تنكّر لآل البيت عليهم السلام وظلمهم وغصبهم حقوقهم ومس كرامتهم ولم يعتد بهم أو سبقهم أو تأخر عنهم ولم يقدمهم في جميع أموره في الدنيا والآخرة.

كان هذا الإنسان من حزب الشيطان الذي أبى أن يسجد لآدم فكان من الغاوين والذين مأواهم جهنم وبئس المصير مع الأبالسة والشياطين. وعليه فإنّ الفائدة ممّا سبق أصبحت ظاهرة للعيان على أنّ البحث كان يحتاج إلى أضعاف مضاعفة عمّا سبق وذكرناه في الصفحات السابقة لأهميته ووضوح دلائله في سبيل الانتصار لآل البيت وإقرار حقوقهم بشكل دامغ لا يقبل الشك نهائياً إلا أننا اكتفينا حالياً بما بين أيديكم على أن نوفي البحث حقّه لاحقاً.

بيد أنّ الأسماء التي وردت في الروايات السابقة والتي كان فيها إعلان واضح وجلّي من الله تعالى لمكانة هذه الفئة العظيمة والمكرمة منه تعالى فخصّهم بالذكر دون غيرهم، فعرفنا عليهم بالعين والاسم: فكان سيدنا محمد صلى الله عليه وآله سيّد الكونين، والإمام علي عليه السلام والصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام والإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام.

التسعة المعصومون من ذريّته الطاهرة.

وفيما يلي نستعرض بعض الأسماء الطاهرة التي عرفنا عليها سبحانه وتعالى من خلال قرآنه الكريم، والتي كان لها دورٌ عظيمٌ في الأرض:

١. سيدنا آدم عليه السلام وسيدتنا حواء عليها السلام، ولقد ابتدأها تعالى بسيدنا آدم عليه السلام بقوله الكريم: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(١).
﴿ وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾^(٢).

٢. سيدنا زكريا عليه السلام، وسيدنا يحيى عليه السلام: ﴿ يَذْكُرْنَا إِنَّا نَبِّشْرُكَ بِعُلْمِ
أَسْمِهِ وَيَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾^(٣).

٣. سيدنا إبراهيم عليه السلام والأنبياء الطاهرين عليهم السلام من ذريته: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا
نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴾^(٤).

٤. سيدنا عيسى عليه السلام وسيدتنا مريم عليها السلام: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ
إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾^(٥).

ولعدم الإطالة سنكتفي بما استعنا به من شاهدٍ عظيم من القرآن الكريم في توضيح الفكرة التي نحن بصددتها لتعلم أن الله تعالى لم يأت على ذكر اسم من هذه الأسماء التي احتوتها دفتي القرآن الكريم إلا وكان لصاحبه دورٌ عظيمٌ وبارزٌ ومعقودٌ عليه الآمال من قبل الله تعالى لإفشاء كلمته وإحلال شريعته في الأرض، وعلى رأسهم تلك الأنوار التي كانت تسبح في ملكوته والتي أودعها في صلب سيدنا آدم عليه السلام ونقلها سبحانه وتعالى من صلبٍ طاهرٍ وعابدٍ وساجدٍ إلى آخر مثله ﴿ وَتَقَلِّبُكَ

(١) سورة البقرة: الآية ٣١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٥.

(٣) سورة مريم: الآية ٧.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٣٢.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

فِي السَّجْدَيْنِ ﴿١﴾ إِلَى أَنْ وَلَدَ هَذَا النُّورَ يَوْمَ وَلَدَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْإِمَامَ عَلِيَّ عَالِيَهُ السَّلَامُ وَالْبُضْعَةَ الطَّاهِرَةَ الْبَتُولَ عَالِيَهُ السَّلَامُ، لِتَسْتَضِيْفَ تِلْكَ الشَّجْرَةَ الثَّابِتَةَ الْأَصِيلَةَ الَّتِي ذَكَرَهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ الْكَرِيمِ ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

فَكَانَ هَذَا الْفَرْعَ الَّذِي يَعَانِقُ السَّمَاءَ هُوَ فَرْعُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِ بَيْتِهِ الْكِرَامِ عَالِيَهُ السَّلَامِ.

وَالَّتِي كَانَتْ السَّيِّدَةَ زَيْنَبَ عَالِيَهُ السَّلَامُ جِزْءًا هَامًّا لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ الَّتِي وَهَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْفِئَةِ الطَّاهِرَةِ وَالْمُطَهَّرَةِ.

حَيْثُ عَلِمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُسَبِّقًا أَنَّ لِهَذِهِ الْإِنْسَانَةَ الْعَظِيمَةَ شَأْنًا آخَرَ بِمَا سَيَعْبُدُ إِلَيْهَا مِنْ مَهْمَاتٍ سَامِيَةٍ وَجَلِيلَةٍ لَا تَقَلُّ شَأْنًا أَوْ قَدْسِيَّةً عَنِ تِلْكَ الَّتِي مَضَى عَلَيْهَا هَوْلَاءُ الْمُنْتَخِبِينَ مِنْهُ تَعَالَى وَالْمُنْتَجِبِينَ وَالطَّاهِرِينَ الْمُطَهَّرِينَ حَتَّى إِذَا مَا أَوْلَدَ اللَّهُ تَعَالَى أُمَّهَا الصَّدِيقَةَ الطَّاهِرَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ عَالِيَهُ السَّلَامُ وَوَضَعْتَهَا أَنْثَى هَبَطَ جِبْرَائِيلُ عَالِيَهُ السَّلَامُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى لِيُزِفَ الْبَشْرَى لِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ﷺ وَيَقُولُ لَهُ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبَارِكُ لَكَ فِي هَذِهِ الْمَوْلُودَةِ وَيَقُولُ لَكَ اسْمُهَا (زَيْنَبُ) ﴿٢﴾ وَأَنَّهَا سَيَكُونُ لَهَا شَأْنٌ هَامٌّ، وَلَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ وَعْدَهُ.

حَيْثُ أَنَّ الْمَسِيرَةَ الظَّافِرَةَ لِهَذِهِ الْإِنْسَانَةَ الْمُخْتَارَةَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى رَغْمِ فِدَاخَةِ خَطُوبِهَا، إِلَّا أَنَّهَا عَالِيَهُ السَّلَامُ كَانَتْ قَدْ حَافِظَتْ عَلَى عَهْدِهَا وَأَدَّتْ رِسَالَتَهَا وَأَبْرَأَتْ ذِمَّتَهَا أَمَامَ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٩.

(٢) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد هامش ص ٢٨.

الولادة

اتفق الرواة وأهل الخير والخبر على أن العقيلة زينب عليها السلام قد ولدت في اليوم الخامس من جمادى الأولى في العام الخامس أو السادس للهجرة والأول هو الأقوى.

ويعد هذين العامين من الأعوام الهامة في إرساء معالم الدين الحنيف وتثبيت وجود الكيان الإسلامي ودرء الأخطار المتلاطمة التي كانت تحيط بالإسلام والمسلمين من كل حذب و صوب.

وفي هذين العامين لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله ليعود من غزوه حتى كان يعد العدة في تجهيز الفصائل والسرايا إلى جانب تحصين عاصمته في وجه أي خطر محتمل وهو ما حدث بالفعل يوم تأمر اليهود وقريش وغطفان والعديد من قبائل الكفر وعبؤوا جيوشهم وجاؤوا بكامل عدتهم وعتادهم لينالوا من محمد صلى الله عليه وآله ومن كان على دينه ليصطدموا بخندق أعده النبي صلى الله عليه وآله وصحبه حول المدينة أحبط كيدهم فلم يستطع النفاذ منه سوى نفر قليل منهم وعلى رأسهم فارسهم الأعظم عمرو بن ود العامري الذي أطاح به الإمام علي عليه السلام بضربة واحدة كان لها وقعها الكبير وأثرها الطيب عند الله ورسوله فذكرها سبحانه وتعالى بقوله الكريم في سورة الأحزاب الآية ٢٥:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْفِتَالَ

وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿﴾ حيث كفى الله المؤمنين القتال بضربة علي عليه السلام لعمر بن ود، حدثت هذه الواقعة في شوال السنة الخامسة للهجرة بعدما عاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من غزو بني المصطلق في شعبان من العام نفسه حيث كانوا يقيمون ما بين مكة والمدينة والذين كانوا يستعدون للهجوم على المسلمين عند أول فرصة سانحة.

إلى جانب درء أخطار جمة أخرى حدثت في هاتين السنتين أهمها: غزوة ذات الرقاع: في محرم للسنة الخامسة للهجرة ضد جماعة بني غطفان وبني محارب وبني ثعلبة بنجد.

• غزوة دومة الجندل: في ربيع الأول للسنة الخامسة للهجرة ضد المشركين في الشام.

• غزوة بني قريظة: وهم من اليهود تآمروا مع الأحزاب ضد المسلمين في واقعة الخندق في أواخر ذي القعدة للسنة الخامسة للهجرة.

كما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عدة سرايا في العام السادس للهجرة ونذكر منها حسب ما جاء في كتاب المغازي للحافظ الذهبي:

- سرية (نجد) بقيادة محمد بن مسلمة.
 - سرية عكاشة بن محصن إلى الغمر قرب المدينة.
 - سرية أبي عبيدة إلى ذي القصة قرب المدينة.
 - سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم قرب المدينة وأخرى إلى وادي القرى طريق الشام.
 - سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بفدك.
- وفي العام السادس حدث أمر هام فقد اعترفت قريش بالكيان

الإسلامي على أثر صلح الحديبية، الذي وصفه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بأنه ﴿فَتَحَامِينَا﴾ بقوله الكريم في سورة الفتح آية رقم (1):
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾.

وعلى أثر ذلك قويت شوكة المسلمين، فلقد أصبحوا قوة أساسية - منظمة ومسددة من قبل الله عَزَّوَجَلَّ - ويحسب لها ألف حساب.

وتجد ذلك واضحاً عندما بعث رسول الله ﷺ في تلك السنة الرسائل إلى الملوك والحكام في أرجاء المعمورة وأهمها تلك التي أرسلت إلى كسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة والمقوقس في مصر.

وبدأ الدين الإسلامي الحنيف يتغلل في نفوس البشر ففضّلوه على دين الآباء والأجداد لما وجدوا فيه السكينة والخلوص.

ومن خلال هذه البشارات والنمو والازدهار التي كانت تتوالى تترى على المجتمع الإسلامي ممهدة الطريق أمام الزحف الإسلامي ليعم وينشر ويغطي عبا به على الأديان كافة ولا يبقى دين يُعبد به الله سوى هذا الدين الحنيف الذي أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للناس كافة إلى أن يرث أرضه ومن عليها.

جاءت بشرى ولادة الطفلة زينب بنت الإمام علي عليه السلام من نسل المطهرة البتول ومعدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة.

فلا مغمز فيها في نسب ولا يدانيها ذو حسب في البيت من قریش والذروة من هاشم والعترة من رسول الله ﷺ والرضا من الله عَزَّوَجَلَّ شريفة الأشراف والفرع السامي من عبد مناف والمسماة زينب من قبل الله سبحانه وتعالى وذلك عندما هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ

وقال له: «يا رسول الله إن ربك يقرئك السلام» ويقول: «يا حبيبي اجعل اسمها زينب» ثم قال جبرائيل وهو يبكي: إن حياة هذه البنية سوف تكون مقرونة بالمصائب والمتاعب من بداية عمرها إلى وفاتها^(١).

لذا تجد أهل البيت النبوي قد سادت به أجواء الحزن، والتف هذا المهد الجميل بظلال الكآبة بينما هم يتلقون التهاني بهذه المولودة المباركة.

ولقد جاء بالخبر الموثق أن النبي الكريم ﷺ: عندما ولدت المباركة زينب عليها السلام ضمها إلى صدره وجعل يوسعها تقبيلاً ثم بكى وقال لابنته الزهراء عليها السلام: أعلمي يا فاطمة أن هذه البنت بعدي وبعذك سوف تنصب عليها المصائب والرزايا.

وهكذا نجد أن حفيذة رسول الله ﷺ قد ظفرت بتربيته إسلامية لم تحظ بمثلها أية فتاة أخرى على مر العصور والدهور.

فقد حبت وترعرعت في بيت الخمسة أصحاب الكساء حيث مهبط الوحي والتنزيل فكانت تلك النشأة الفريدة في حضن جدها المصطفى ﷺ والذي كانت تتحسس منه آثار الوحي المبارك عندما كان يتنزل على جدها بنجوم القرآن الكريم فتتلقفه حواسها ويحتضنه عقلها ويسكن في لبها.

لتجدها عليها سلام الله قد تلقت أولى مسببات عيشها إلى جانب غذائها من اللبن الصافي من ثدي الزهراء البتول والدتها مع ذلك النور الذي كان يتنزل على جدها رسول الله ﷺ.

فكان لهذه السنوات الخمس التي عاشتها حتى غابت أمامها شمس الرسالة والأيام القليلة من بعده يوم غربت الأنوار الفاطمية، أعظم الأثر

(١) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد ص ٢٨.

في حياة هذه الجلييلة فتسلحت من خلالهما بمخزون وافر من نور الهداية الربانية مما جعلها مستودعاً مبصراً لتلك النفحات الرحمانية فاجتمع عندها ذلك العلم الملهم من الله سبحانه وتعالى إلى جانب صقل تلك الفطرة التي فطرها الله عليها فأصبحت ضمن فئة «أولو العلم» الذين ميزهم سبحانه وتعالى عن غيرهم من فئات خلقه فرفع مكانتها عليها السلام لتكون حجة لله على خلقه في كافة البلاد وإليها تفزع العباد لتصبح ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾^(١)

وبارتفاع روح سيدنا محمد صلى الله عليه وآله إلى بارئها وغيابه عن المسلمين، بدأت المصائب تنهال على البيت النبوي والتي كانت السيدة زينب عليها السلام شاهداً حياً على كافة مجريات حوادثها فعاصرت بألم شديد تلك الأحوال التي عصفت بأمرها البتول بعد وفاة أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأبلغ دليل على معاناة البيت النبوي نختصره بتلك الأبيات للسيدة الزهراء عليها السلام وهي تبث شكواها عند قبر أبيها^(٢) ومنها هذه الثلاث:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها
واختل قومك فاشهدهم ولا تغب
قد كان بعدك أبناءً وهنبة^(٣) لو
كنت شاهداً لم تكثر الخطب
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا
فغاب عنا فكل الخير محتجب

وهكذا نجد أن حفيذة رسول الله صلى الله عليه وآله درة البيت الفاطمي قد تربت في حضن النبوة ودرجت في بيت الرسالة ونمت وشبت على غذاء الهدى

(١) سورة القمر ٥٥.

(٢) كتاب الإحتجاج ص ٢٣٩

(٣) الهنبة: الشدائد.

والكرامة فاكتسبت فضائلها من جدها رسول الله الأعظم ﷺ وأبيها الإمام أمير المؤمنين ع عَلَيْهِ السَّلَامُ وأُمها سيدة نساء العالمين ع عَلَيْهَا السَّلَامُ وأخويها الحسن والحسين ع عَلَيْهِمَا السَّلَامُ سيدي شباب أهل الجنة.

فقطفت من ثمار المعرفة والإدراك وهي في هذا البيت المعظم أينع الثمار وأطيبها لتتوسع مداركها وتزهو روحها ويصلب عودها متجلية بجلايب العظمة والجلال ومرتدية رداء العفة والحشمة والوقار.

لتمضي هذه السيدة الجليلة في مسيرتها المظفرة وهي متسلحة بتلك العطاءات الربانية لتكون خير معين لها في ملاقات الصعاب والأهوال التي ستعرض لها وهي تمضي في سبيل الله لا تروم إلا وجهه الكريم ولا تبتغي سوى إشعاع فرقد الإسلام المندثر الذي أبى أعدؤه إلا أن يحطموه وهم ما زالوا على أعتابه.

ولكن أنى لهم هذا... وهيئات... هيئات أن يبلغوا ولو نذراً يسيراً من مرادهم فقد أبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره من كره وعاند من عاند فإن دين جد هذه العالمة الجليلة سيعم وينتشر ليملاً الخافقين ويصل إلى عنان السماء لأنها كلمة ثابتة قالها الله تعالى في كتابه العزيز ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١) وسمعتها ع عَلَيْهَا السَّلَامُ في فلق فم رسول الله ﷺ

وترددت على أسماعها مرات ومرات وهي في هذا البيت المحمدي العلوي الفاطمي، ولقد جند الله سبحانه وتعالى جنوده لهذه الغاية السامية والنبيلة من الأنبياء والمرسلين منذ أن جعل هذا الإنسان خليفة له على الأرض إلى أن وصلت إلى سيدنا محمد ﷺ ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين ورسالته هي الخاتم وإتماماً لجميع الرسالات السابقة كي لا

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

يبقى دين يتعبد فيه الناس جميعاً إلا الإسلام.

والسيدة زينب عليها السلام وبحكم موقعها في البيت النبوي والظروف التي عاشتها، وتسارع الأحداث بعد ارتفاع جدها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وكذلك أبيها الإمام علي عليه السلام وقبله والدتها السيدة الزهراء عليها السلام ومشاهدة أخويها الحسن والحسين عليهما السلام صرعى شهداء أمامها.

عندها أنبرت عليها السلام بجميع ما آتاها الله تعالى من قوة وحلم وعلم لتسد هذا الفراغ الكبير الذي كان يشغله أسلافها الطاهرين، فوقفت كالطود الأشم بجانب ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام لتحميه عن يد الجور والظلم ومتصدية بعقلها الراجح ومخزونها الوافر لأمر العامرة والخاصة، فعقيلة بني هاشم توقد نورها وفاح أريجها وفاض عذبتها.

فانبرت تضع الحجج إثر الحجج على الظلمة أعداء دين الله الحنيف الذين سلبوا حق آل البيت عليهم السلام أمثال: يزيد بن معاوية وأتباعه. فكانت لا تتكلم إلا ناراً ولظى على رؤوس هؤلاء الغاشمين من خلال مواقف تجلّى فيها أعظم الجهاد عند الله بوقفه زينب عليها السلام عند هذا السلطان الجائر ومن غير خوف ولا وجل من جبروت هذا السلطان الذي استباح دم الحسين وأهل بيته عليهم السلام في كربلاء من غير جنة اقتترفوها سوى أنهم من هذا النسل الطاهر الذي يعود إلى تلك الشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت والفرع الذي امتد ليعانق السماء ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤) ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ (٢٥).

من خلال هذه العجالة السابقة والتي إذا ما أردنا الاسترسال فيها لمألانا منها المجلدات المجلدة وهيئات منا أن نبلغ غايتنا، وعليه فإن

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤ و ٢٥

المسؤولية والعهد الذي تكلم عنهما سبحانه وتعالى بقوله الكريم ﴿إِنَّ
 الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ إلى جانب تلك المصائب التي تراكمت لتصب جام
 غضبها على البيت النبوي نجد أن لأم المصائب زينب عليها السلام النصيب
 الأكبر منها وهذا مناقض تماماً للحياة المترفة والغنية التي كانت تنعم
 بها يوم كان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله يسعى فوق هذه الأرض ولا يهنأ له بال
 إلا إذا تأكد أن بيت ابنته وبعلمها وأبنائها في أتم سرور وسعادة والذي
 كان هذا دأبه ليلاً ونهاراً وإذا به يغمض عينه ويرحل عن هذه الدنيا
 الفانية آمناً مطمئناً بعد ما بلغ الأمانة وصدع بما أمر وأدى بما حمل
 من أعباء الرسالة فتوفاه الله ورفع روحه إليه وهو عنه راضٍ موفور الحظ
 عظيم الشأن مخلفاً وراءه شريعة محكمة منزلة من لدنه سبحانه وتعالى
 محفوظة بحفظه ليس للمتطفل عليها بسلطان ولا يمسها إلا المطهرون
 في كتاب أحكمت آياته لا ينفذ الباطل إليه أبداً.

لتمضي الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما أراد الله ورسوله في طريق
 الهداية من غير حرج أو عوج فالطريق نيرٌ وواضح والشريعة منسقة
 والحلال بين والحرام بين، لم يعد يبقى سوى تنفيذ ما أمر الله به ورسوله
 ليزدهر دين الله الإسلام ويعم وينتشر ويظهر على الدين كله.

بيد أن الذي حصل أن التيار انحرف عن بيت الوحي والتنزيل
 وتفرقت الإمامة في بيوت قريش بعدما كانت آمنة ومستقرة في البيت
 الهاشمي، فانقلب الوضع رأساً على عقب فبدل أن تحافظ الرعية على
 آل بيت الرسول وتوفيتها حقها، وتصل هذه الفئة الطاهرة حسب وصايا
 الله ورسوله لا بل قطعوا ما أمر الله به أن يوصل.

من هنا... من هذا الموقع القريب جداً من عصر الوحي والتنزيل،
 وابتداء مرحلة السير بالنصوص والإرشادات الزاخرة بتعاليم السماء

والأوامر الثابتة والراسخة والنواهي المغلظة من قبل الله تعالى في سبيل الحفاظ على حدود الله وعدم المساس بها أو تجاوزها نهائياً، والتي كان لآل البيت نصيب وافراً منها من خلال نصوص ثابتة ومحكمة في أم الكتاب.

على الرغم من هذا كله إلا أن المصائب والأهوال بدأت تنهال على هذا البيت العظيم من كل حدب وصوب وممن؟ من أناسٍ مشوا مع رسول الله ﷺ حقبة كبيرة من الزمن وشهدوا معه معظم المشاهد وسمعوا رسول الله ﷺ وهو يقرئهم ما يتنزل عليه من السماء وكانوا من أقرب الناس إليه يوم أشار بيده الشريفة إلى بيت علي وفاطمة وقال لهم هذا من أعظم البيوت التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله الكريم:

﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾^(١)

وطهرهم سبحانه وتعالى بنص الذكر الحكيم بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢)

ولقد عدّ العلماء الآيات القرآنية التي نزلت بحق آل البيت ﷺ فكانت تربو عن ٣٠٠ آية قرآنية وقيل في موضع آخر لقد نزل في علي ﷺ وحده ربع القرآن (روايات).

وجميعها تهيب بالمسلمين بعلو مقامهم ودرجتهم الرفيعة عند الله ورسوله حتى أن الله سبحانه وتعالى أفرد لهم أجراً عظيماً امتد إلى أن يرث أرضه ومن عليها عندما أهاب بجميع المسلمين أن يوفوهم

(١) سورة النور ٣٦

(٢) سورة الأحزاب ٣٣

حقوقهم التي هي حق رسول الله ﷺ فيهم وهو في قوله تعالى:
 ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(١)

فكانت بداية اكتساب الحسنات من قبل هذا المجتمع المقيد بالأوامر
 المحكمة والموجه له هذه التعليمات بشكل مباشر وواضح وصريح، أن
 أبدلوها باقتراف السيئات عندما رموا جميع هذه التعاليم وراء ظهورهم
 وأغضبوا الزهراء عليهن السلام.

نعم لقد اغضبوا الزهراء عليهن السلام وما أدراك ما الزهراء.

هي بنت من؟

هي أم من؟

هي زوج من؟

من ذا يداني في الفخار أباهما

هي ومضة من نور عين المصطفى

هادي الشعوب إذا تروم هداها.

هي الكوثر التي وهبها الله تعالى لحبيبه المصطفى لكي تقرأ عينه بها
 ولا يحزن ويصلي شكراً لله وينحر قرباناً مباركاً على هذه النعمة العظيمة.

الزهراء عليهن السلام تلك التي يغضب رسول الله ﷺ إذا غضبت وإذا
 غضب رسول الله ﷺ غضب لغضبه الرب الجليل، وإذا غضب الرب
 الجليل غضب لغضبه كل شيء من ملائكة ورسول وأنبياء وجميع ما خلق
 وبراً وذكراً، في هذا الجو المشحون والمفعم بالانكسارات والانهيارات
 التي شرخت أسس الإسلام.

(١) سورة الشورى ٢٣

كثرت الأنواء على أهل بيت رسول الله ﷺ وعصفت بهم المحن وألمت بهم المصائب ورسول الله ﷺ لم يبرد دمه الزاكي بعد.

وكانت الطفلة الوديدة زينب عليها السلام تسمع وترى جميع ما يجري حولها وأشدها تلك التي ألمت بأمها الزهراء عليها السلام فشهدت معها المشاهد كلها فتحملتها مع أمها على رغم صغر سنها وغضاضة عودها، إلا أنها وعتها جميعها بأذن واعية وعين ثاقبة، وأبلغ دليل على ذلك هو ما نقله الرواة والمحدثين عنها عليها السلام عندما دونوا في كتبهم تلك الحقبة الهامة وخاصة ذلك الحيف الذي ألم بوالدتها الزهراء عليها السلام وتلك الخطبة المدوية التي هزت أركان الخلافة بحضور جميع صحابة رسول الله ﷺ وعلى رأسهم: أبو بكر حتى أن عبد الله بن عباس (حبر الأمة) اعتمد هذه الخطبة من رواية زينب عليها السلام.

كما أن الكثير من الرواة نقلوا عنها عليها السلام جملة من الأخبار عن جدها رسول الله محمد ﷺ وأمها الزهراء عليها السلام. ونحن إذ نتكلم عن هذه الروايات لا نتكلم من باب أنها موثقة وصحيحة وحسب بل للإشارة أيضاً أن هذه العالمة الجليلة لم تكن قد تجاوزت السنة الخامسة من عمرها بعد وهذا دليل هام على وعي وإدراك العقيلة زينب عليها السلام الذي اكتسبته في وقت مبكر جداً.

إن طفولة السيدة زينب عليها السلام والتي أبت الظروف والأيام إلا أن تحرمها منها فلم تنعم بها عليها السلام كغيرها من الأطفال، مما كان له أعظم الأثر عند هذه الإنسنة الفاضلة حيث أن الأحزان والآلام كانت قد غزت قلبها الغض في وقت مبكر جداً فكان أولها فقدانها لجدها رسول الله ﷺ ومن ثم مرض والدتها فاطمة الزهراء عليها السلام ومعاناتها وكدرها من العيش واعتكافها في بيت ظللته الأحزان والكآبة وهي ترى حقها

وحق بعلمها تتقاذفه الأنواء وتستأثر به وتهيمن عليه قوى السلطة من دون وجه حق.

مما أدى أخيراً إلى التحاقها بأبيها عليه السلام وارتفاعها للرفيق الأعلى وهي ساخطة غاضبة على جميع من ساهم واغتصبها حقها.

ومن ثم لتمضي الأيام مسرعة لترى زينب عليها السلام بأم عينها معاناة أخيها الحسن مع السلطة الأموية المتمثلة بمعاوية بن أبي سفيان وكذلك خذلان الناس له وهو الإمام المفترض الطاعة وسبط رسول الله وسيد شباب أهل الجنة إلى أن انقضت أيامه عليها السلام وهو صابر محتسب عند الله تعالى يشتكي من قلة الناصر والمعين وتكاتف قوى الظلم والبغي والعدوان ضد آل الرسول، والانحراف الخطير الذي ألم بالشرعية الإسلامية.

فكانت لتلك المصائب والأهوال - التي ما فتئت تنهال على العقيلة عليها السلام واحدة إثر أخرى - إلا أن تزيدها قوة ومنعة حتى إذا ما دقت الساعة وبلغ السيل الزبي فإنك ستجد امرأة فريدة من نوعها تقف بطول قامتها كالطود الأشم في وجه الطغيان تحامي على من بقي من آل البيت الكرام وتدفع الأذى عن الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أن يشتد عوده ويقوى ساعده فيشفى من سقمه ويتصدى لأمر الإمامة وهو بوافر صحته وعافيته وكامل طاقاته الجسدية وبعيداً عن كافة الأخطار التي كانت تحيط به.

خطبة الزهراء (عليها السلام)

لقد قسا الدهر على السيدة
زينب عليها السلام وابتدأت معاناتها مع المحن
والخطوب منذ نعومة أظفارها إلى أن
توفاها الله.

ورغم ذلك فإنها كانت تزداد صلابة يوم بعد يوم ولم يذكر المؤرخون
أنها قد هادنت أو داهنت في معتقدها في يوم من الأيام إنما بقيت على
العهد الذي مضى عليه جدها فأبوها وأخواها ولم تحد عنه قيد أنملة.

فعلى الرغم من فداحة الخطوب التي مرت على السيدة زينب عليها السلام
إلا أنها لم تنس حدثاً هاماً جرى معها في حياتها وبجميع مراحل نموها
بلا استثناء وشهد لها بذلك أهم المحدثين والرواة ممن رووا عنها
أحاديث هامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ووالدتها الزهراء.

ونحن إذ نخص بالذكر في هذا المقام جدها ووالدتها عليها السلام
دون غيرهم لأن ذلك فيه إشارة هامة لقوة وعي وإدراك هذه السيدة
الجليلة عليها السلام حيث أنها في ذلك الوقت لم تكن قد تجاوزت من العمر
خمس أو ست سنوات ورغم ذلك فإن ما ورد عنها في وصف الأحداث
بدقة متناهية عن تلك الفترة كان قد أزاح الستار عن معلومات هامة
تجلت بها الحقيقة بأبهى صورها وأبلغ معانيها.

وكان من أهم تلك الأحداث التي عصفت ببيت النبوة بعيد وفاة الرسول الأعظم ﷺ مباشرة ذلك الحيف الذي ألم بالبيت العلوي الفاطمي، والتي كانت زينب عليها السلام أحد أركانه والشاهد الحاضر لجميع مجرياته.

وهذا يقودنا مباشرة إلى خطبة السيدة الزهراء عليها السلام والأحداث التي رافقتها والتي نقلها الرواة عن السيدة زينب عليها السلام.

وهذا يعد دليل حي وهام على الذكاء المفرط الذي وهبه الله تعالى لها إلى جانب استعدادها الجسمي والذهني والمؤهلات الفريدة التي تتمتع بها عليها السلام الأمر الذي رفع مكانتها لتلامس بها مكانة الأئمة عليهم السلام. وخير شاهد هو هذه الكلمة المجلية للزهراء عليها السلام.

عن الشيخ الصدوق بسنده عن أحمد بن محمد بن جابر عن زينب عليها السلام وعدة مسانيد أخرى ومنها ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عنها عليها السلام الرواية كما روتها زينب عليها السلام:

روى عبد الله بن الحسن عليها السلام باسناده عن آبائه عليها السلام أنه لما أجمع أبوبكر على منع فاطمة عليها السلام فدك، وبلغها ذلك، لاثت خمارها على رأسها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذبولها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم فنيطت دونها ملاءة، فجلست، ثم أنت أنه أجهش القوم لها بالبكاء. فارتج المجلس. ثم أمهلت هنيئة حتى إذا سكن نسيج القوم، وهدأت فورثهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت عليها السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَلْهَمَ، وَالثَّنَاءُ بِمَا قَدَّمَ،

مِنْ عُمُومِ نَعْمِ ابْتَدَأَهَا، وَسُبُوحِ آلاءِ أَسْدَأَهَا، وَتَمَامِ مَنَنِ وَالِاهَا، جَمَّ عَنِ
الإِخْصَاءِ عَدَدُهَا، وَنَأَى عَنِ الْجَزَاءِ أَمْدُهَا، وَتَفَاوَتْ عَنِ الإِذْرَاقِ أَبْدُهَا،
وَنَدَبَتْهُمْ لِاسْتِزَادَتِهَا بِالشُّكْرِ لِاتِّصَالِهَا، وَاسْتَحَمَدَ إِلَى الخَلَائِقِ بِإِجْزَالِهَا،
وَوَثَّى بِالنَّدْبِ إِلَى أَمْثَالِهَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةً جَعَلَ الإِخْلَاصَ
تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ القُلُوبَ مَوْصُولَهَا، وَأَنَارَ فِي الفِكْرِ مَعْقُولَهَا. المُمْتَنِعُ
مِنَ الإبْصَارِ رُؤْيِيَّتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَّتُهُ، وَمِنَ الأَوْهَامِ كَيْفِيَّتُهُ. ابْتَدَعَ
الأَشْيَاءَ لَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنْشَأَهَا بِلا احْتِدَاءٍ أَمْثَلَةَ امْتَثَلَهَا، كَوْنَهَا
بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَهَا بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَى تَكْوِينِهَا، وَلَا فَائِدَةٍ لَهُ
فِي تَصْوِيرِهَا إِلَّا تَثْبِيثًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبِيهًا عَلَى طَاعَتِهِ، وَإِظْهَارًا لِقُدْرَتِهِ،
وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وَإِعْزَازًا لِذَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَضَعَ
العِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبَادِهِ عَنِ نِقْمَتِهِ، وَحِيَاثَةً مِنْهُ إِلَى جَنَّتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتَارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ
أَرْسَلَهُ، وَسَمَّاهُ قَبْلَ أَنْ اجْتَبَلَهُ، وَأَصْطَفَاهُ قَبْلَ أَنْ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الخَلَائِقُ
بِالْغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِاسْتِرِّ الأَهْوِيلِ مَصُونَةٌ، وَبِانْهِائَةِ العَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَآئِلِ الأُمُورِ، وَإِحَاطَةً بِحَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَوَاقِعِ
المَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِتْمَامًا لِأَمْرِهِ، وَعَزِيمَةً عَلَى إِمْضَاءِ حُكْمِهِ،
وَإِنْفَادًا لِمَقَادِيرِ حُكْمِهِ.

فَرَأَى الأُمَّمَ فِرْقًا فِي أَدْيَانِهَا، عُكْفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا،
مُنْكَرَةً لِلَّهِ مَعَ عِرْفَانِهَا. فَأَنَارَ اللَّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ظُلْمَهَا، وَكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ
بُهِمَهَا، وَجَلَّى عَنِ الإبْصَارِ غُمَّهَا، وَقَامَ فِي النَّاسِ بِالْهِدَايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ
مِنَ العَوَايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمَايَةِ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّينِ القَوِيمِ، وَدَعَاهُمْ
إِلَى الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ.

ثُمَّ قَبِضَهُ اللهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيَارٍ، وَرَغَبَةٍ وَإِيثَارٍ بِمُحَمَّدٍ ﷺ
عَنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ
الْغَفَارِ، وَمُجَاوَرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ. صَلَّى اللهُ عَلَى أَبِي نَبِيِّهِ وَأَمِينِهِ عَلَى
الْوَحْيِ، وَصَفِيَّهِ وَخَيْرَتِهِ مِنَ الْخَلْقِ وَرَضِيَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ
وَبَرَكَاتُهُ.

ثُمَّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت:

أَنْتُمْ عِبَادَ اللهِ نُصِبُ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دِينِهِ وَوَحْيِهِ، وَأَمْنَاءُ اللهِ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ، وَبُلْغَاؤُهُ إِلَى الْأُمَّمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقُّ لَكُمْ اللهُ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ
إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ اسْتَخْلَفَهَا عَلَيْكُمْ. كِتَابُ اللهِ النَّاطِقُ، وَالْقُرْآنُ الصَّادِقُ،
وَالنُّورُ السَّاطِعُ، وَالضِّيَاءُ اللَّامِعُ، بَيِّنَةٌ بِصَائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرَائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ
ظَوَاهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهَ أَشْيَاعُهُ، قَائِدٌ إِلَى الرِّضْوَانِ اتِّبَاعُهُ، مُؤَدِّ إِلَى النَّجَاةِ
إِسْمَاعُهُ. بِهِ تُنَالُ حُجُجُ اللهِ الْمُنَوَّرَةُ، وَعَزَائِمُهُ الْمُفَسَّرَةُ، وَمَحَارِمُهُ
الْمُحَدَّرَةُ، وَبَيِّنَاتُهُ الْجَالِيَّةُ، وَبَرَاهِينُهُ الْكَافِيَّةُ، وَفَضَائِلُهُ الْمُنْدُوبَةُ، وَرُخْصُهُ
الْمَوْهُوبَةُ، وَشَرَايِعُهُ الْمَكْتُوبَةُ.

فَجَعَلَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشُّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ
الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَمَاءً فِي الرِّزْقِ، وَالصِّيَامَ تَثْبِيثاً لِلْإِخْلَاصِ،
وَالْحَجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ،
وَإِمَامَتَنَا أَمَاناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهَادَ عِزاً لِلْإِسْلَامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى
اسْتِيجَابِ الْأَجْرِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلِحَةً لِلْعَامَّةِ، وَبِرَّ الْوَالِدَيْنِ وَقَايَةً
مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصَاصَ حِصْناً لِلدِّمَاءِ،
وَالْوَفَاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيراً
لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنِ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرَّجْسِ، وَاجْتِنَابَ الْقَذْفِ
حِجَاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السَّرْقَةِ إِجَاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشُّرْكَ إِخْلَاصاً لَهُ

بِالرُّبُوبِيَّةِ، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾
وَأَطِيعُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ
الْعُلَمَاءُ﴾.

ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا النَّاسُ! اْعَلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ، وَأَبِي مُحَمَّدٌ عليه السلام، أَقُولُ
عَوْدًا وَبِدْعًا، وَلَا أَقُولُ مَا أَقُولُ غَلَطًا، وَلَا أَفْعَلُ شَطَطًا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فَإِنْ تَعَزَّوهُ وَتَعَرَّفُوهُ تَجِدُوهُ أَبِي دُونَ
نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجَالِكُمْ، وَلِنِعْمِ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ عليه السلام، فَبَلَغَ
الرِّسَالَةَ صَادِعًا بِالنَّذَارَةِ، مَائِلًا عَنِ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضَارِبًا تَبَجُّهَهُمْ،
أَخِذًا بِأَكْظَامِهِمْ، دَاعِيًا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، يَكْسِرُ
الْأَصْنَامَ، وَيَنْكُتُ الْهَامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلُّوا الدُّبُرَ، حَتَّى تَفَرَّى اللَّيْلُ
عَنْ صُبْحِهِ، وَأَسْفَرَ الْحَقُّ عَنْ مَخْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ، وَخَرِسَتْ
شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ، وَطَاحَ وَشَيْطُ النِّفَاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقْدُ الْكُفْرِ وَالشَّقَاقِ،
وَفُهِتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِمَاصِ، وَكُنْتُمْ عَلَى شِفَا
حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مُدَقَّةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَمَوْطِيَّ
الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةٌ خَاسِئِينَ، ﴿تَخَافُونَ أَنْ
يَخْطَفَكُمْ النَّاسُ﴾ مِنْ حَوْلِكُمْ.

فَأَنْقَذَكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍ عليه السلام بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أَنْ
مُنِيَ بِهِمُ الرِّجَالِ وَذُؤْبَانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، ﴿كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، أَوْنَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ، وَفَعَّرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا، فَلَا يَنْكَفِي حَتَّى يَطَأَ صِمَاحَهَا بِأَخْمَصِهِ، وَيُخِمِدَ
لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا فِي ذَاتِ اللَّهِ، مُجْتَهِدًا فِي أَمْرِ اللَّهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ
اللَّهِ سَيِّدِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، مُشْمَرًا نَاصِحًا، مُجِدًّا كَادِحًا وَأَنْتُمْ فِي رَفَاهِيَةِ مَنْ

الْعَيْشِ، وَادْعُونَ فَاكِهِونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنَا الدَّوَائِرِ، وَتَتَوَكَّفُونَ
الْأَخْبَارَ، وَتَنكُصُونَ عِنْدَ النَّزَالِ، وَتَفِرُونَ عِنْدَ الْقِتَالِ.

فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، ظَهَرَ فِيكُمْ حَسِيكَةَ
النِّفَاقِ وَسَمَلَ جِلْبَابِ الدِّينِ، وَنَطَقَ كَاطِمُ الْغَاوِينَ، وَنَبَعَ حَامِلُ الْأَقْلِينَ،
وَهَدَرَ فَنِيْقُ الْمُبْطِلِينَ.

فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشَّيْطَانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِرِهِ، هَاتِفًا
بِكُمْ، فَأَلْفَاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجِيبِينَ، وَلِلْغَرَّةِ فِيهِ مُلَاحِظِينَ. ثُمَّ اسْتَنَهَضَكُمْ
فَوَجَدَكُمْ خِفَافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفَاكُمْ غَضَابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ،
وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شَرِبِكُمْ، هَذَا وَالْعَهْدُ قَرِيبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمَّا
يَنْدَمِلُ، وَالرَّسُولُ لَمَّا يُفْبِرُ، ابْتِدَارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾.

فَهَيْهَاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ،
أُمُورُهُ ظَاهِرَةٌ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَةٌ، وَأَعْلَامُهُ بَاهِرَةٌ، وَزَوَاجِرُهُ لَائِحَةٌ،
وَأَوَامِرُهُ وَاضِحَةٌ، قَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، أَرَعَبَتْهُ عَنْهُ تُرِيدُونَ، أَمْ
بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، ﴿يَتَسَّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إِلَّا رَيْثَ أَنْ تَسْكُنَ
نَفَرْتُهَا، وَيَسْلَسَ قِيَادَهَا ثُمَّ أَخَذْتُمْ تُورُونَ وَقَدْتَهَا، وَتَهَيَّجُونَ جَمْرَتَهَا،
وَتَسْتَجِيبُونَ لِهَتَافِ الشَّيْطَانِ الْغَوِيِّ، وَأَطْفَاءِ أَنْوَارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَاهْمَادِ
سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسْرُونَ حَسْرًا فِي ارْتِغَاءِ، وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي
الْحَمْرِ وَالضَّرَاءِ، وَنَضِيرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى، وَوَخَزِ السِّنَانِ فِي
الْحَشَا، وَأَنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَلَا أَرَأَيْتُمْ لَنَا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ
اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ أَفَلَا تَعْلَمُونَ؟ بَلَى تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ
أَنَّى ابْنَتْهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَغْلَبُ عَلَى ارْتِيَةِ يَا ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ! أَفِي كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَرِثَ أَبَاكَ، وَلَا ارِثَ أَبِي؟ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾، أَفَعَلَى عَمْدٍ تَرَكَتُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، اذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾، وَقَالَ فِيمَا افْتَضَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ اذْ قَالَ رَبِّ ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِ يَعْقُوبَ ﴿ وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وَقَالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَّيْنَ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، وَزَعَمْتُمْ أَلَا حِظْوَةَ لِي، وَلَا ارِثَ مِنْ أَبِي لَارِحِمَ بَيْنَنَا!

أَفَخَصَّكُمْ اللَّهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْهَا أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولُونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لَا يَتَوَارَثَانِ، وَلَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُغُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمِّي؟ فَدُونَكُمَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُومَةٌ. تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكْمُ اللَّهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيَامَةُ، وَعِنْدَ السَّاعَةِ مَا تَخْسِرُونَ، وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِهَا نَحْوَ الْأَنْصَارِ فَقَالَتْ: يَا مَعَاشِرَ الْفِئَةِ، وَأَعْضَادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصَارَ الْإِسْلَامِ! مَا هَذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسَّنَةُ عَنْ ظِلَامَتِي؟ أَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَبِي يَقُولُ: «الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ»؟ سَرَّعَانَ مَا أَحَدْتُمْ، وَعَجَلَانَ ذَا إِهَالَةَ، وَلَكُمُ طَاقَةٌ بِمَا أُحَاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلَى مَا أَطْلُبُ وَأُزَاوِلُ!

أَتَقُولُونَ مَاتَ مُحَمَّدٌ ﷺ؟! فَخَطْبُ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهَيْئُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْأَمَالَ، وَخَشَعَتِ الْجِبَالَ، وَأَضْيَعَ الْحَرِيمَ، وَأَزِيلَتِ الْحُرْمَةَ عِنْدَ مَمَاتِهِ. فَتِلْكَ وَاللَّهِ النَّازِلَةُ الْكُبْرَى، وَالْمُصِيبَةُ الْعُظْمَى، لَا مِثْلَهَا نَازِلَةٌ وَلَا

بَائِقَةً عَاجِلَةً أَعْلَنَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - فِي أَفْنِيَّتِكُمْ فِي مُمَسَاكُمُ
وَمُضَبِّحِكُمْ هِتَافاً وَصُرَاخاً وَتِلاوَةً وَإِحَاناً، وَلَقَبْلَهُ مَا حَلَّ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ
وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَضْلٌ وَقَضَاءٌ حَثْمٌ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يُضْرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

أَيُّهَا بَنِي قَيْلَةَ! أَأَهَضُمُ ثُرَاثَ أَبِيهِ وَأَنْتُمْ بِمَرَأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، وَمُتَبَدِّئاً
وَمَجْمَعاً؟! تَلْبَسُكُمْ الدَّعْوَةُ، وَتَشْمُلُكُمْ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ،
وَالْأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمْ السَّلَاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوَافِيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيبُونَ،
وَتَأْتِيكُمُ الصَّرْحَةُ فَلَا تُغِيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكَفَاحِ، مَعْرُوفُونَ
بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَالنُّجْبَةُ الَّتِي انْتَجَبْتَ، وَالْخَيْرَةُ الَّتِي اخْتِيرْتَ! قَاتَلْتُمْ
الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمْ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ، وَنَاطَحْتُمُ الْأُمَّمَ، وَكَافَحْتُمُ الْبُهَمَ، فَلَا
نَبْرَحُ أَوْ تَبْرَحُونَ، نَأْمُرُكُمْ فَتَأْتِمِرُونَ حَتَّى دَارَتْ بِنَا رَحَى الْإِسْلَامِ، وَدَرَّ
حَلْبُ الْأَيَّامِ، وَخَضَعْتَ نَعْرَةَ الشُّرْكِ، وَسَكَنْتَ فَوْزَةَ الْإِفْكِ، وَخَمَدَتْ
نِيرَانُ الْكُفْرِ، وَهَدَّاتِ دَعْوَةَ الْهَرَجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظَامُ الدِّينِ؛ فَأَنَّى جُرْتُمْ
بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الْإِعْلَانِ، وَنَكَضْتُمْ بَعْدَ الْإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ
الْإِيمَانِ؟ ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ
وَهُمْ بَكْدُوكُمْ أَوْلَى مَرَّةً اتَّخَشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾.

أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ
بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضُّيْقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ
مَا وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمْ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً
فَاتَّ اللَّهُ لَعْنَتِي حَمِيدٌ﴾. أَلَا وَقَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذَلَةِ الَّتِي
خَامَرْتَكُمْ، وَالْعَدْرَةَ الَّتِي اسْتَشَعَرْتَهَا قُلُوبُكُمْ، وَلَكِنَّهَا فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْسُهُ

الغَيْظِ، وَخَوْرُ الْقَنَا، وَبَيْتَةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ.
فَدُونَكُمْوَمَا فَاحْتَقَبُوهَا دَبْرَةَ الظَّهْرِ، نَقَبَةَ الخُفِّ، بَاقِيَةَ العَارِ، مَوْسُومَةَ
بَغْضَبِ اللَّهِ وَشَنَارِ الأَبَدِ، مَوْصُولَةَ بِنَارِ اللَّهِ المُوَقَّدَةِ الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الأَفْتَدَةِ.
فَبَعَيْنِ اللَّهِ مَا تَفْعَلُونَ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، وَأَنَا ابْنَةُ
نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (١٧١)
وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾.

فَاجَابَهَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَقَدْ كَانَ
أَبُوكَ بِالمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَوْوفًا رَحِيمًا، وَعَلَى الكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
وَعِقَابًا عَظِيمًا؛ فَإِنْ عَزَوْنَاهُ وَجَدْنَاهُ أَبَاكَ دُونَ النِّسَاءِ، وَأَخَا لِبَعْلِكَ دُونَ
الأَخِلَاءِ، آثَرُهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ، وَسَاعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لَا يُحِبُّكُمْ
إِلَّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلَا يُبْغِضُكُمْ إِلَّا كُلُّ شَقِيٍّ؛ فَأَنْتُمْ عِثْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
الطَّيِّبُونَ، وَالأَخِيْرَةُ المُتَنَجِّبُونَ، عَلَى الأَخِيْرِ أَدِلَّتْنَا، وَإِلَى الجَنَّةِ مَسَالِكُنَا،
وَأَنْتِ - يَا خَيْرَةَ النِّسَاءِ وَابْنَةَ خَيْرِ الأَنْبِيَاءِ - صَادِقَةٌ فِي قَوْلِكَ، سَابِقَةٌ فِي
وُفُورِ عَقْلِكَ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكَ، وَلَا مَصْدُودَةٌ عَنْ صِدْقِكَ، وَوَاللَّهِ،
مَا عَدَوْتُ رَأْيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورِثُ
ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا دَارًا وَلَا عِقَارًا، وَإِنَّمَا نُورِثُ الكُتُبَ وَالأَحْكَمَةَ، وَالأَعْلَمَ
وَالتَّبَوَّةَ، وَمَا كَانَ لَنَا مِنْ طُعْمَةٍ فَلَوْلِي الأَمْرُ بَعْدَنَا أَنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ».
وَقَدْ جَعَلْنَا مَا حَاوَلْتِهِ فِي الكِرَاعِ وَالسَّلَاحِ يُقَابِلُ بِهِ المُسْلِمُونَ،
وَيُجَاهِدُونَ الكُفَّارَ، وَيُجَالِدُونَ المَرْدَةَ ثُمَّ الفُجَارَ. وَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ مَنْ
المُسْلِمِينَ لَمْ أَنْفَرْدُ بِهِ وَخَدِي، وَلَمْ أَسْتَبِدَّ بِمَا كَانَ الرَّأْيُ فِيهِ عِنْدِي. وَهَذِهِ
حَالِي، وَمَالِي هِيَ لَكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ، لَأَنْزُوي عَنْكَ وَلَا نَدْخِرُ دُونَكَ، وَأَنْتِ
سَيِّدَةُ أُمَّةِ أَيْبِكَ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكَ، لَا يُدْفَعُ مَا لَكَ مِنْ فَضْلِكَ، وَلَا
يُوضَعُ مِنْ فَرْعِكَ وَأَصْلِكَ؛ حُكْمُكَ نَافِذٌ فِيمَا مَلَكَتْ يَدَايَ، فَهَلْ تَرِينَ أَنْ

أُخَالَفَ فِي ذَلِكَ أَبِيكَ ﷺ؟

فَقَالَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقًا، وَلَا لِأَحْكَامِهِ مُخَالَفًا، بَلْ كَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ، أَفْتَجْمَعُونَ إِلَى الْعَدْرِ أُغْتِلَالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهَذَا بَعْدَ وَفَاتِهِ شَبِيهٌ بِمَا بُغِيَ لَهُ مِنَ الْعَوَائِلِ فِي حَيَاتِهِ. هَذَا كِتَابُ اللَّهِ حَكَمًا عَدْلًا، وَنَاطِقًا فَضْلًا، يَقُولُ:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالِي عِثْقَابٍ﴾ ، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ فَبَيَّنَ بِرِثَتِكَ فِيمَا وَرَعَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْسَاطِ، وَشَرَعَ مِنَ الْفَرَايِضِ وَالْمِيرَاثِ، وَأَبَاحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرَانِ وَالْإِنَاثِ مَا أَزَاحَ عِلَّةَ الْمُبْطِلِينَ، وَأَزَالَ التَّظَنِّيَ وَالشُّبُهَاتِ فِي الْغَابِرِينَ، كَلَّمَ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبِرُوا جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَتْ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الْحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الْحُجَّةِ، لَا أَبْعُدُ صَوَابِكَ، وَلَا أَنْكِرُ خِطَابَكَ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، قَلَدُونِي مَا تَقَلَّدْتُ، وَبَاتَّفَاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ مَا أَخَذْتُ غَيْرَ مُكَابِرٍ وَلَا مُسْتَبِدِّ وَلَا مُسْتَأْثِرٍ، وَهُمْ بِذَلِكَ شُهُودٌ.

فَالْتَفَتَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَقَالَتْ: مَعَاشِرَ النَّاسِ الْمُسْرِعَةِ إِلَى قِيلِ الْبَاطِلِ، الْمُغْضِيَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْرًا عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَا أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصَارِكُمْ، وَلَيْسَ مَا تَأْوَلْتُمْ، وَسَاءَ مَا أَشْرْتُمْ، وَشَرَّ مَا مِنْهُ اعْتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ - وَاللَّهِ - مَحْمِلَهُ ثَقِيلًا، وَغَيْبَهُ وَبِيلاً إِذَا كُشِفَ لَكُمْ الْغِطَاءُ، وَبَانَ مَا وَرَاءَهُ الضَّرَاءُ، وَبَدَا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَحْتَسِبُونَ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾.

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ:

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَنْبَةٌ لَوْ
كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْبُرِ الْخَطْبُ
إِنَّا فَقَدْنَاكَ فَقَدْ الْأَرْضُ وَإِلِهَا
وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدَهُمْ وَقَدْ نَكَبُوا
وَكُلُّ أَهْلِ لَهُ قُرْبَى وَمَنْزِلَةٌ عِنْدَ
الْإِلَهِ عَلَى الْأَذْنَيْنِ مُقْتَرِبُ
أَبَدَتْ رِجَالٌ لَنَا نَجْوَى صُدُورِهِمْ
لَمَّا مَضَيْتِ وَحَالَتِ دُونَكَ التُّرْبُ
تَجَهَّمْتَنَا رِجَالٌ وَاسْتُخِفَّ بِنَا لَمَّا
فُقِدْتَ وَكُلُّ الْأَرْضِ مُغْتَصَبُ
وَكَنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضَاءُ بِهِ
عَلَيْكَ تُنْزَلُ مِنْ ذِي الْعِزَّةِ الْكُتُبُ
وَكَانَ جِبْرِيلُ بِالْآيَاتِ يُونِسْنَا
فَقَدْ فُقِدْتَ فَكُلُّ الْخَيْرِ مُحْتَجِبُ
فَلَيْتَ قَبْلَكَ كَانَ الْمَوْتُ صَادَفَنَا
لَمَّا مَضَيْتِ وَحَالَتِ دُونَكَ الْكُتُبُ
إِنَّا رُزِينَا بِمَا لَمْ يُرَزْ ذُو شَجَنِ
مِنَ الْبَرِيَّةِ لَا عَجْمٌ وَلَا عَرَبُ

ثُمَّ انْكَفَأَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَوَقَّعُ رُجُوعَهَا إِلَيْهِ، وَيَتَطَلَّعُ
طُلُوعَهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِهَا الدَّارُ قَالَتْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ابْنَ
أَبِي طَالِبٍ! اسْتَمَلَّتْ شِمْلَةَ الْجَنِينِ، وَقَعَدَتْ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضَتْ
قَادِمَةَ الْأَجْدِلِ، فَخَانَكَ رِيشُ الْأَعْزَلِ؛ هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَرِئُنِي نُحَيْلَةَ
أَبِي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ فِي خِصَامِي، وَالْفَيْتُهُ أَلَدَّ فِي كَلَامِي، حَتَّى

حَبَسْتَنِي قَيْلَةً نَصْرَهَا، وَالْمُهَاجِرَةَ وَضَلَّهَا، وَغَضَّتِ الْجَمَاعَةَ دُونِي
 طَرْفَهَا؛ فَلَا دَافِعَ وَلَا مَانِعَ، خَرَجْتُ كَاطِمَةً، وَعُدْتُ رَاغِمَةً، أَضْرَعْتَ
 خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ خَدَّكَ، إِفْتَرَسْتَ الذَّنَابَ، وَافْتَرَسْتَ التُّرَابَ، مَا كَفَفْتُ
 قَائِلًا، وَلَا أَغْنَيْتُ بَاطِلًا، وَلَا خِيَارَ لِي. لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَنَيْتِي وَدُونَ زَلَّتِي.
 عَذِيرِي اللَّهُ مِنْكَ عَادِيًا وَمِنْكَ حَامِيًا. وَيَلَايَ فِي كُلِّ شَارِقٍ، مَاتَ الْعَمْدُ،
 وَوَهتِ الْعَضُدُ.

شَكُوَايَ إِلَى أَبِي، وَعَدُوَايَ إِلَى رَبِّي. اللَّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلًا،
 وَأَحَدٌ بِأَسَا وَتَنَكِيلاً.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا وَبِلَ عَلَيْكَ، الْوَيْلُ لِلسَّائِيكِ، نَهْنَهِي عَنْ
 وَجْدِكَ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةِ النُّبُوَّةِ، فَمَا وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلَا أَخْطَأْتُ
 مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقِكَ مَضْمُونٌ، وَكَفَيْلِكَ مَأْمُونٌ،
 وَمَا أَعَدَّ لَكَ أَفْضَلَ مِمَّا قُطِعَ عَنْكَ، فَاحْتَسِبِي اللَّهَ، فَقَالَتْ: حَسْبِيَ اللَّهُ،
 وَأَمْسَكَتْ.

خطوب السيدة زينب (عليها السلام)

أول تلك الخطوب التي مرت على
السيدة زينب عليها السلام كان قد أصابها عندما
كانت في العام الخامس من عمرها يوم
فقدت الأمة الإسلامية جمعاء رسول
الله صلى الله عليه وآله وسيد الكونين وحبيبه المصطفى
ورسوله المؤتمن على سننه وشرائعه،
لتكون نبراساً دائماً وعظيماً وهاماً أنزله من
لده سبحانه وتعالى وحفظه بعينه التي لا
تنام إلى أن يرث أرضه ومن عليها وثبت
ذلك في كتابه الكريم بقوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١)

وكان صلى الله عليه وآله قبل أن يغمض عينيه الكريمتين ويعود إلى ربه موفور
الحظ عالي الشأن، قد أبرء ذمته كاملة أمام الله وملائكته والناس أجمعين
وأوصاهم بوصايا ثبتها سبحانه وتعالى في أم الكتاب ومنها:
أيها الناس هذا محمد صلى الله عليه وآله قد مات بعدما بلغ بما صدع وهذه
الشيعة المثلى قد تجلت أمامكم بأبلغ صورها وأدق معانيها.

(١) سورة الحجر ٩

فإياكم ثم إياكم أن تعودوا عنها ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(١)
وسطر تعالى ذلك في كتابه العزيز...

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾^(٢)

ومن الأمور الهامة أيضاً التي أوصى بها رسول الله ﷺ وهبطت بها الرحمة من عند الله تعالى لتؤكد ذلك هي أن يحافظوا على أسرة نبيه من بعده، فهي جزء لا يتجزأ منه ففيها بضعته الغالية وأخوه الإمام علي وذريتهما من الأئمة والمعصومين الصديقين الطاهرين.

هؤلاء الذين أمر الله تعالى جميع المسلمين أن يحفظوهم ويحموهم ويراعوهم، ليثبت سبحانه وتعالى ذلك في كتابه العزيز بقوله الكريم:

﴿قُلْ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾^(٣)

ليتدبر الناس بعد رسول الله ﷺ آيات الله البينات ويتبعوا ما أمر الله به وينتهوا عما نهاهم عنه ويحافظوا على حدود الله ولا يتجاوزونها نهائياً، والتي كان إكرام آل طه ﷺ من إحدى تلك الحدود الهامة.

الذي عبر عنهم سبحانه وتعالى بقرآنه الكريم بكلمة (القربى) على أن من أراد إكرامهم أكثر وأكثر فلقد أخذ الله عهداً على نفسه العلية أن يزددهم حسنات فوق حسنات، وحذرهم سبحانه وتعالى من أن ينقلبوا على أعقابهم حيث لا جزاء لهذا المنقلب إلا الخسران المبين.

كانت تلك قراءة سريعة ومقتضبة لسنة الله تعالى التي سنّها لخلقه

(١) سورة الحجرات ١١

(٢) سورة آل عمران ١٤٤

(٣) سورة الشورى ٢٣

أجمعين في سبيل المحافظة على أهل البيت عليهم السلام وأنه سبحانه وتعالى سيوفي الناس أجورهم على هذا العمل الفاضل لا بل سيزيدهم حسنات فوق حسنات.

والسؤال الهام الذي يطرح نفسه في هذا المقام وهو:

هل حافظت الرعية على وصايا الله ورسوله في سبيل إحقاق أهل البيت حقوقهم؟ وكيف جرى ذلك؟

إليك بعض المشاهدات التي توضح ذلك:

لقد كانت العقيلة زينب عليها السلام أحد أفراد البيت النبوي العلوي الفاطمي فمن خلال ما جرى عليها عليها السلام في غياب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نستشف منها أموراً هامة تسلط الضوء على مجريات الأحداث والأمور بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد كان فقدان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة للعقيلة زينب عليها السلام يشكل فقدان غذاء الروح عندها لأنها عليها السلام كانت قد فطرت على الوحي وهو يتنزل على قلب جدها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعلت وسمت روحها وهي تتغذى من هذا النبع المعين الصافي وهي في هذا البيت المكرم من قبل الله تعالى وملائكته المقربين والشاهد الحي تجده في القرآن والسنة اللذين يقران ذلك، لا بل يزيدان بأن هذا البيت هو من أطهر البيوت وقاطنوه يعدون من أطهر الكائنات البشرية منذ بدأت الخليقة إلى يوم يبعثون.

ولقد كانت السيدة زينب عليها السلام أحد أقطاب هذا البيت الهام والمشار إليها من خلال نصوص عامة وخاصة، منذ أول ذرة أو كسجين دخلت رثيتها، حين أبت أمها الزهراء عليها السلام عند ولادتها أن تطلق عليها اسماً إلى أن أتى أبوها علي عليه السلام فأبى سيدنا علي عليه السلام أن يطلق عليها اسماً

إلى أن يسأل جدها الرسول الأعظم ﷺ فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن سأل الله تعالى، ليهبط حامل الوحي جبرائيل عليه السلام بالاسم زينب من عند الله تعالى وهذه الحادثة مشهورة عند الكثير من الرواة^(١).

وقد حظيت السيدة زينب عليها السلام خلال سنواتها الخمس الأولى من حياتها باهتمام بالغ من جدها رسول الله ﷺ وهذا الاهتمام من قبله ﷺ لم تكن دوافعه عاطفية وحسب وليس لكونها أحد أفراد هذا البيت الطاهر أيضاً. بل لأمر هام وجليل سيكون معقوداً أمره على هذه الإنسانية في المستقبل وأنها ستتحمل من المشاق والصعاب من مسيرتها المظفرة ما ينوء بحمله أولو العزم والبأس والقوة فلم تمهلها الأيام عليه السلام سوى قليل، لتبدأ محنة السيدة زينب عليها السلام بعيد وفاة رسول الله ﷺ مباشرة.

فكان البعض كان يتربص ويتحين وفاة النبي الأكرم ﷺ لينبذوا كتاب الله تعالى خلف ظهورهم ويتغافلوا عن وصايا رسول الله ﷺ في تقديم أهل بيته والالتزام بما يصدر عنهم وتعظيمهم وإكرامهم، إلا أن الهجر كان قد حرّمهم النوم ولم يعودوا يطيقون معه صبراً وحجر العثرة هذا المائل أمامهم لا بد لهم من إزاحته حتى ولو كان بيتاً فيه فاطمة بنت محمد ﷺ قرة عين رسولهم، لتتوزع الخلافة على إثر ذلك في بطون قريش عدا بطن هاشم والذي هو أوسطها وأسمائها وأعلاها لا بل هو صاحبها الحقيقي.

وينحرف التيار عن البيت الهاشمي بعد أن كان قبلةً وملاذاً آمناً لأهل الأرض والسماء ومهبط الوحي والتنزيل.

ليصبح اليوم مهجوراً ومنبوذاً ويلقى فيه أهله أقسى أنواع الحرمان وكانت زينب عليها السلام ترى وتسمع جميع ما كان يجري من أحداث

(١) راجع حاشية كتاب زينب الكبرى من المهد إلى اللحد ص ٢٧ و ٢٨

تعصف في هذا البيت الطاهر وتتفاعل معها بجميع جوارحها ويعتصر قلبها من شدة الحزن وهي تشاهد والدتها الزهراء وهي تبكي وتنوح على فقد أبيها عليه السلام واغتصاب صحابته حقوق آل البيت عليهم السلام وتقول:

تجهمتنا رجالٌ واستخفَّ بنا
لَمَّا فُقدت، وكل الإرث مغتصب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا فقد
فُقدت، فكل الخير محتجب
وفي منظوم آخر تثن وتشتكي عليها السلام وتناجي أبيها عليها السلام وتقول:

قل للمغيب تحت أطباق الثرى
إن كنت تسمع صرختي وندائيا
قد كنت ذات حمى بظل محمد
لا أختشي ضيماً وكان جماليا
فاليوم أخضع للذليل وأتقي
ضيماً وأدفع ظالمي بردائيا^(١)

وهجعت الزهراء عليها السلام في بيت الأحزان على مرأى ومسمع من جميع أفراد عائلتها الطاهرة وهم يرونها تذوي أمامهم وتردى صحتها يوماً بعد يوم حتى ذاب جسمها وفتكت بها الأمراض ولم تعد تقوى على النهوض والحركة، وكانت زينب عليها السلام بجانبها ترعاها وتقوم بخدمتها ومن جانب آخر لتكون مستودعاً لآلامها وأحزانها إلى أن ذوت بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله فتسارعت خطا المنية إلى قلب هذه الشابة ذات التسعة عشر ربيعاً وارتفعت لتكون بجوار أبيها عليها السلام ليعوض لها ربها تلك الحياة وذلك العذاب بجنات عرضها السموات والأرض.

(١) السيدة زينب للقرشي ص ٩٧.

أما زينب عليها السلام ففي فقدان والدتها الزهراء عليها السلام يكون قد ثلم قلبها بشرخ ثانٍ لا يندمل.

بعد أن فقدت عليها السلام جدها رسول الله ﷺ ووالدتها الزهراء عليها السلام غزت قلبها الأحزان وخاصة وهي ترى تلك الوجوه النضرة قد علت سيماها علامات الحزن والكآبة من فداحة الخطوب وهول الأحداث التي ما فتئت تنهال عليهم من كل حدب وصوب ومن غير سبب ظاهر سوى أنهم أصحاب حق عرفته تلك الفئات وآلت على نفسها إلا سلبهم إياه، حتى ولو كانوا أولي القربى وبقية رسول الله ﷺ فيهم وأصحاب الإشارة الواضحة في قرآن الله تعالى وسنة رسولهم ﷺ فطوق هؤلاء المتنكرون فضل رسول الله ﷺ ورموه خلف ظهورهم وهو الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليخرجهم من ظلمات الكفر والإلحاد، وعبادة الحجارة وقتل بعضهم بعضاً من غير وجه حق ووأد بناتهم فلذات أكبادهم وقسوة قلوبهم والتي كانت أشد قساوة من الحجارة الصم، فبعد أن كانوا شراذم متفرقة يتربص بعضهم بعضاً، بعث الله لهم رسولاً من أنفسهم ليبسط الشريعة السمحة بين الناس وليرأف بهم ويللمم شراذمهم ويجعلهم أمة واحدة بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)

ليتنكر هؤلاء المنافقون لعظيم أجر وفضل هذا النبي الكريم ويتناسوا مكانته ويتجاهلوا قدره ويعودوا إلى عصبيتهم ومزاجية عيشهم التي كانوا عليها قبل الإسلام وفي ذلك يحذر الله تعالى هذه الفئة فيقول لهم وهو يخاطب نبيه الكريم ﷺ:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^(١)

فإذا ما تمعنت في هذا الشاهد القرآني العظيم وأمثاله التي وردت في هذا المصحف الطاهر الصادق أبد الأبدین، لتجلت لك الحقيقة بأنصع صورها ولتلاشت أمامك جميع الصور الضبابية الأخرى، فتدرك بالبديهة الحاضرة، أن رسول الله ﷺ يوم كان يسعى بين الناس، اجتمعت من حوله أعظم الشخصيات وأسمائها وأكثرها إيماناً وصدقاً وعهداً.

وبالمقابل مشى مع هذه المجموعة العظيمة والمظفرة بعض المنافقين الذين أظهروا الإسلام ولما يدخل الإيمان قلوبهم بقوله الكريم:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

على ضوء ما سبق:

نجد أن الله تعالى كان يعلم مسبقاً أن هناك فئة من المسلمين ستتولى عن تعاليم الإسلام وتتنكر لتلك العهود التي أظهرتها أمام نبي الرحمة ﷺ فقال سبحانه وتعالى:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣)

وأن هذه الفئة سوف لن تكثر ولن تلتزم بحدود الله إنما ستلتزم بما عاهدت نفسها عليه وقطع ما أمر الله به أن يوصل.

فكانت أولى ضحاياهم عترة رسول الله ﷺ وبقيته الطاهرة فيهم

(١) سورة التوبة ١٢٩

(٢) سورة الحجرات ١٤

(٣) سورة آل عمران ٨٦

فنبذوهم وأداروا لهم الظهر وسلبوهم حقوقهم بعيداً عن النصوص
الملزمة في القرآن الكريم والسنة الشريفة فقعدت الزهراء عليها السلام وزوجها
علي عليهما السلام وذريتهما في بيتهم الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز بأنه
بيت من بيوت الله ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾

وبقيت عليها السلام ملازمة هذا البيت الكريم أسيرة الأحزان والآلام إلى أن
توفاهها الله تعالى ورفعها إليه وهي غاضبة على القوم ومدلهمه تبتُّ أنينها
وشكواها إلى الله تعالى.

أما أمير المؤمنين علي عليهما السلام فلقد التزم بوصايا رسول الله صلى الله عليه وآله
والنصوص الصريحة الواردة في القرآن الكريم وفوض الأمر إلى الله تعالى
وقال مقولة رسول الله صلى الله عليه وآله التي أمره الله أن يقولها عند تلك المعضلات
وهي قوله تعالى ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾^(١)

وكفاه بالله حسيباً ووكيلاً ومعيناً ونصيراً

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)

﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾^(٣)

أما زينب عليها السلام فلقد قعدت مع أبيها وأخويها عليهم السلام في الظل بعدما
فقدوا جميعاً رسول الله وبضعته البتول عليها السلام لتبدأ من هنا مرحلة نضال
جديدة من حياة السيدة زينب عليها السلام وهي مرحلة زاخرة بالانعطافات
والانكسارات التي انصبت على هذا البيت الكريم وتحملها طواعية الإمام
علي عليهما السلام حفاظاً على الإسلام من التشتت والتفرق والضياع وخوفاً على
شريعة الله كي لا تنمحي وتندثر.

(١) سورة التوبة ١٢٩ .

(٢) سورة الشعراء ٢٢٧

(٣) سورة آل عمران ١٤٤

وبالمقابل كنت تجد السلطة الحاكمة آنذاك تضيق الخناق على الإمام علي عليه السلام وتقطع عنه أسباب النهوض بمصالح الأمة.

فبعد أن تم تأمين فدك وحرمان الزهراء عليها السلام وذريتها منها وضمها إلى بيت مال المسلمين وهي التي كانت ملكاً خاصاً لرسول الله صلى الله عليه وآله إذ لم يوجف المسلمون عليها بخيل أو ركاب ونزلت بحقها آية صريحة لقوله تعالى: ^(١)

﴿وَأَتِذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يُبْدِرْ بُدِيرًا﴾ ^(٢)

أنحل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ابنته الزهراء عليها السلام فدكاً فكانت في يدها حتى انتزعا منها: أبو بكر بعيد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله. مما أغضب السيدة فاطمة عليها السلام وبقيت كذلك مدلهمة حزينة إلى أن فارقت الحياة.

ونقول: ليت أبا بكر لم يغضب فاطمة عليها السلام بل ليته أكرمها وزادها لعدة أسباب موجبة فالرسول صلى الله عليه وآله لم يكد يغيب عنهم وهذه الإنسانية الفاضلة بضعته الوحيدة بين ظهرائهم وكان يجوز للخليفة أن يخص من يشاء بما يشاء وقد خص الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض تركات النبي صلى الله عليه وآله أما فدك لم تلبث أن أقطعها عثمان لمروان بن الحكم بعد أن أخرجها من بيت مال المسلمين متجاوزاً بذلك قرار الخليفة وحكمه الصارم فيها بأنها تخص جميع المسلمين والمسلمات بلا استثناء ولا يجوز الاستئثار بها لشخص واحد حتى لو كانت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

فيا ليت لو أن أبا بكر أرضى فاطمة عليها السلام بما كان يقبله العقل والمنطق - مع اختلاف رأيه - لأنه كما ذكرت أوصى غيرها من نفس

(١) راجع أسباب النزول في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٧ ولياب العقول ج ١ ص ١٣٦ وفتح القدير ج ١ ص ٢٢٤.

(٢) سورة الإسراء ٢٦.

التركة ولم يتركها عليه السلام ثكلى كارهة غاضبة انقلبت ضد الخليفة راغمة بائسة ثم تموت عليها السلام مدلهمة هاجرة له.

علماً بأن أبا بكر تذكر هذه الحادثة وهو على فراش الموت وتمنى لو أنه لم يغضب فاطمة إضافة لأمر آخرى.

وهكذا نجد أن ربيع فدك الذي كان يعتبر مورداً هاماً يجري بين يدي آل رسول الله صلى الله عليه وآله قد منع عنهم مما ضيق عليهم غاية التضيق فحرمهم من وسيلة هامة من وسائل العيش.

وللإمعان أيضاً في التضيق على البيت العلوي منعت عنهم السلطة سهم ذوي القربى المذكورة في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾^(١)

ولقد أجمع الرواة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يخصص نفسه بسهم من الخمس ويخص أرحامه بسهم آخر منه وكانت هذه سيرته إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره.

فلما تولى أبو بكر أسقط من الخمس هذين السهمين وصادر (فدك) وما بقي من خمس خيبر^(٢).

وهكذا نجد أن الضغط والحصار الذي فرض على آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله كان يزداد شدة وضراوة مع مرور الأيام مما حدى بالإمام علي عليه السلام بأن يجمع أبناءه ويقعد معهم في بيته معتزلاً الحياة الاجتماعية والسياسية وجميع ما يتعلق بأمر الدولة وقد كظم غيظه وهو يتجرع الغصص مفوضاً أمره إلى الله تعالى ضارباً كفأ على كف متحسراً

(١) سورة الأنفال ٤١

(٢) راجع البخاري ح ٨٦٢ و ٣٤٣٥ ومسلم ح ٣٣٠٥.

عما آلت إليه الأمور متخوفاً مما هو آت مفوضاً الأمر كله إلى الله تعالى.
وأبلغ دليل وأعظم شاهد عما جرى وما كان يجري نجده في خطبته
الشقشقية لقوله فيها **عَلَيْهَا السَّلَامُ** إنها شقشة هدرت ثم مرت:

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ
الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثُوبًا وَطَوَيْتُ
عَنْهَا كَشْحًا وَطَفِقتُ أَرْتِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَاءٍ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ
عَمِيَاءَ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى
رَبَّهُ.

فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحَجَى فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَدَى وَفِي الْحَلْقِ
شَجًّا أَرَى تُرَائِي نَهْبًا حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَذَلِّي بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ ثُمَّ
تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الْأَعْشَى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا

وَ يَوْمٌ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا
تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا فَصَبَّرَهَا فِي حَوْزَةِ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلْمَهَا وَيَخْشُنُ مَسْهَا وَيَكْثُرُ
العِثَارُ فِيهَا وَالِاعْتِدَارُ مِنْهَا فَصَاحِبُهَا كَرَائِبِ الصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ
أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمِ فَمِنِّي النَّاسُ لَعَمْرُ اللَّهِ بِخَبِطِ وَشِمَاسِ وَتَلَوْنِ وَاعْتِرَاضِ
فَصَبْرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمُخَنَةِ حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ جَعَلَهَا فِي
جَمَاعَةِ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَا لِلَّهِ وَلِلشُّورَى مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ
مِنْهُمْ حَتَّى صِرْتُ أَقْرَنُ إِلَى هَذِهِ النَّظَائِرِ لَكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسْفُوا وَطَرْتُ إِذْ
طَارُوا فَصَعَا رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ وَمَالَ الْأَخْرُ لِصَهْرِهِ مَعَ هِنٍ وَهِنٍ إِلَى أَنْ
قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ بَيْنَ نَشِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضُمُونَ
مَالَ اللَّهِ خِضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ إِلَى أَنْ انْتَكثَ عَلَيْهِ فَتُلُهُ وَأَجْهَرَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ

وَكَبْتُ بِهِ بَطْنَهُ فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانَ وَشُقَّ عِظْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ
 الْغَنَمِ فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ كَأَنَّهُمْ
 لَمْ يَسْمَعُوا اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ
 عُلوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فسادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ بَلَى وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا
 وَلَكِنَّهُمْ حَلَبَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَرَاقَهُمْ زَبْرُجُهَا أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ
 النَّسْمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيَّ
 الْعُلَمَاءِ إِلَّا يُقَارُؤُوا عَلَيَّ كِظَّةَ ظَالِمٍ وَلَا سَعْبَ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَيَّ
 غَارِبَهَا وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلِيهَا وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ
 عَفْطَةِ عَنَزٍ قَالُوا وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَيَّ هَذَا الْمَوْضِعِ
 مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابًا قِيلَ إِنَّ فِيهِ مَسَائِلَ كَانَ يُرِيدُ الْإِجَابَةَ عَنْهَا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ
 فِيهِ.

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ، قَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَوْ اطَّرَدَتْ
 خُطْبَتُكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ
 ثُمَّ قَرَّتْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَوَاللَّهِ مَا أَسْفَتْ عَلَيَّ كَلَامَ قَطُّ كَأَسْفِي عَلَيَّ هَذَا
 الْكَلَامَ إِلَّا يَكُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ.

وانطوت نفوس أبناء الإمام علي عليه وعليه السلام كما والدهم على حزن
 لاذع وأسى عجيب، وكان للعقيلة زينب عليها السلام نصيب وافر منها فبعدها
 كانت تهنأ برغد العيش بين أحضان جدها المصطفى وكذلك جميع أفراد
 أسرتها الطاهرة يتنكر القوم لهم اليوم ويذيقونهم أنواع التنكر والجحود
 فيحرمونهم من حقوقهم ويستولون على مواردهم ويستمر هذا الانحراف
 والبعد عن آل البيت عليهم السلام وتعاليم الدين الحنيف إلى أن بلغت حدود
 المحالفات الصريحة غايتها ولم يعد بالإمكان تجاهلها أو التغاضي عنها.

حدث ذلك في أواخر حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان. وهنا لابد لنا من وقفة للتمعن والتبصر ولو كانت قصيرة ولكن لابد منها لأن فيها دليلاً وإعلاناً واضحاً ودامغاً على خطأ المسيرة السابقة والذي أدى إلى تهدم أركان النظام الوضعي السائد - وهو نتيجة حتمية لما آلت إليه الأمور - عندما تتبع الناس ما يعتمل في نفوسها وتهمل الشريعة المحكمة التنزيل.

ولقد دام هذا الخلل حقبة لا بأس بها من الزمن واستمرت منذ ارتفاع سيدنا محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلى نهاية حكم عثمان بن عفان، فتوارث الحكم خلال هذه الفترة من الزمن خلفاء ثلاثة وضعهم الناس على رأس الحكم على خلفيات متنوعة لا تشبه إحداها الأخرى.

فالخليفة الأول أهله سقيفة بني ساعدة ليكون سيدها المطاع بعد أحداث وشغب كبيرين أحبطتا بجهود مضنية من قبل أقطاب هذه السقيفة وصفها عمر بن الخطاب بعد حين بعد بأنها «فلتة وقى الله شرها».

ولكي لا ينفلت زمام الأمور من أيديهم أورثها الأول للثاني بعيداً ونقداً صريحاً لإعلان السقيفة والشورى الشرعية التي جهدوا من أجل إظهارها للناس أنها دون غيرها التي أمر الله تعالى أن يتبعها الناس لاختيار الحاكم المطلق ليكون على رقاب الناس كافة أما الخليفة الثالث فقد أهله لها شورى فريدة من نوعها اخترعها عمر بن الخطاب وهو على فراش الموت لم يأت التاريخ على ذكر مثيلها نهائياً ولم تتكرر ثانية إلى يومنا الحاضر، على الرغم من شهرتها وإذاعتها في الأفاق.

وهكذا نجد أن المعيار الدقيق الناظم والحاكم لأمر الراعي والرعية قد انعدم بين الناس وهو نتيجة حتمية لابتعادهم عن النصوص الملزمة

والحاكمة للأمر والمنزلة من لدنه تعالى لتكون نبراساً وإماماً للناس جميعاً إلى أن يرث سبحانه وتعالى أرضه ومن عليها.

ولكن ابتعاد الناس عن التشريع السماوي الثاقب والعمل بما ترغب به النفوس وما يعتمل فيها من رغبات هو أمر، لا يحقق من أهداف سوى ما ظهر منها ويغفل عن بواطن الأمور وخفاياها، مما يؤدي في المستقبل القريب منه أو البعيد إلى عواقب لا تحمد عقباه.

وهو ما حدث على أرض الواقع بالفعل عندما تراكضت الرعية وقلبت على عثمان ظهر المجن واستردت ما وهبته له بالأمس باليمين لتسترجه اليوم بالشمال بعدما تأكد لها زيف الشعارات المعلنة ووصول المخالفات إلى حد لا يمكن السكوت أو التغاضي عنه.

لتبدأ بعد عثمان مرحلة هامة وجديدة يوم تراكضت الرعية نحو الإمام علي عليه السلام المهجور والمنبوذ فترة كبيرة من الزمن لتحمله على الأكف إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وتبايعه بالخلافة.

فبعد ربع قرن من الزمن صحت عقول الناس على هول المخالفة التي اقترفت أيديهم وهبوا ليعيدوا الأمور إلى نصابها، وبلغ السرور غايته بين الناس وعمت الفرحة جميع الأمصار وهدج إليها الكبير وتحامل نحوها العليل وتم الأمر للإمام علي عليه السلام إلا أن أزمات السلطة السابقة المتمثلة ببعض وجوه قريش والمنتفعين من الخلل الذي كان سائداً بالماضي، ثقلَ عليهم الأمر خوفاً على مصالحهم التي تضررت والأموال التي كانت تجري بين أيديهم من غير وجه حق والتي لا بد أن ينتزعها منهم هذا الإمام العادل وإرجاعها إلى نصابها الصحيح بما يرضي الله ورسوله، وهو ما حدث فعلاً على أرض الواقع، فصودرت الأموال المنهوبة وعزل ولاية السوء، وأعلنت المساواة العادلة بين الناس، وتحقق الإصلاح بكافة

صوره ومعانيه، وطبق قانون الإسلام الحقيقي وتعاليم القرآن الكريم، فثقل هذا العدل وتلك المساواة على أصحاب المصالح المتضررة.

لتبدأ المؤامرات تحاك في سبيل التخلص من علي عليه السلام وحكومته، فاجتمعت أقطاب المعارضة في مكة المكرمة وحملوا عائشة على جمل وأتوا بها إلى البصرة ليستباح دم آلاف المسلمين في هذه الموقعة وما سيلها في صفين لتكون جثث المسلمين وأشلائهم ودمائهم مطية لهؤلاء القوم كي يتخلصوا من الإمام علي عليه السلام ويعودوا إلى حكم الجاهلية الأولى.

وهكذا نجد أن السنوات الخمس التي قضاها الإمام علي عليه السلام وهو على رأس الخلافة قد صاحبتهما الأحقاد والدسائس والمؤامرات والتي لم تكن تهدأ في مكان حتى تثار عليه في مكان آخر، إلى أن تجرأ أشقى أهل الأرض شقيق عاقر ناقة ثمود عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله) فضربه على رأسه الشريف فقدَّ جبهته الشريفة وخضب الدم لحيته الشريفة فصار عليه السلام يتحسس مكان الضربة ويقول فزت ورب الكعبة... فزت ورب الكعبة، عليكم بابن ملجم.

نعم لقد فزت ورب الكعبة يا إمام المتقين ويعسوب الدين فأني فوز أعظم من فوزك.

فلقد أقمت الدين

وجاهدت في سبيل الله حتى أتاك اليقين

فجزاك الله عن ملة الإسلام والمسلمين خير جزاء

موقف العقيلة زينب (عليها السلام)

هرعت السيدة زينب عليها السلام - عندما سمعت خبر ضربة أبيها - ذاهلة عن الدنيا ويعتصر قلبها ألماً وحرزناً على هذا المصاب الجلل الذي أعاد إلى أذهانها ذلك اليوم الذي فقدت فيه جدها رسول الله صلى الله عليه وآله ووالدتها السيدة الزهراء عليها السلام وذلك الفراغ الكبير الذي سيخلفه غياب أبيها وحجم المسؤولية الكبيرة الذي ألقى على عاتق هذه الإنسنة الفاضلة ودورها عليها السلام الأساسي والحاسم في هذه المرحلة الدقيقة والحساسة.

ولقد شعرت العقيلة عليها السلام بفداحة هذا الخطب وأن المصائب قد اقتربت أكثر وأكثر وأن المحن قد أقبلت كقطع الليل المظلم.

وأعاد إلى أذهان هذه الفاضلة الجليلة حديث أم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وآله عما يجري عليها من حوادث وخطوب وهو:

وكأني بك ونساء أهلك سبايا في هذا البلد، أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً... إلى آخر الحديث^(١)

وتجلدت العقيلة زينب عليها السلام وتصبرت وتجملت وقعدت مع أخويها الحسن والحسين عليهما السلام تواسيهما ويواسيانها وينصتون إلى أبيهم الإمام علي عليه السلام وهم يسمعون منه كلماته الأخيرة.

(١) السيدة زينب للقرشي ص ١٥٤

فوجه عَلَيْهَا السَّلَامُ كلامه إلى الحسينين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وأوصاهما:
أوصيكمما وجميع ولدي وأهلي، ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم
أمركم، وصلاح ذات بينكم، فإنني سمعت جدكما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يقول:
صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام
الله... الله في الأيتام فلا تغلبوا أفواههم (الصلة بالطعام)، ولا يضيعوا
بحضرتكم.

الله... الله في القرآن لا يستبقكم بالعمل به غيركم
والله... الله في الصلاة فإنها عمود دينكم
والله... الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم
تناظروا «أي لم ينظر إليكم بالكرامة».
والله... الله... في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله،
وعليكم بالتواصل والتبازل (العطاء)، وإياكم والتدابير والتقاطع. لا تتركوا
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولى عليكم شراركم، ثم تدعون
فلا يستجاب لكم.

ثم أمر بني عبد المطلب ألا يقتلن به إلا قاتله.
وهكذا تكون قد أفلت دولة الحق وقامت على أنقاضها دولة الباطل
فكان أثر ذلك عظيماً على العقيلة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ وهي تمر عليها النكبات
واحدة إثر الأخرى وحجم المسؤولية الذي كان يثقل كاهلها يوماً بعد
يوم.

فمعاوية بن أبي سفيان الذي فعل جميع الأفاعيل الباطلة ومكر هو
وعصبته حتى تخلصوا من علي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وإمامته، فكانت تلك مطيته
للتخلص من رئاسة بني هاشم، وفرض نفسه عليهم ليعيد ذلك المجد

الغابر الذي قوضه رسول الله ﷺ على أعتاب الإسلام وليستعيد الطلقاء دورهم القيادي الذي كانوا يتنعمون به بالجاهلية، ليلتفت معاوية ليجد أن قلوب الناس قد مالت بعد الإمام علي عليه السلام إلى ذريته الطاهرة وعلى رأسهم سيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام.

فبدأ يعد العدة لمجزرة رهيبة لكي يقطع دابر آل بيت الرسول ﷺ ويجتث الفرع العظيم لهذه الشجرة المباركة من أصوله. فدور بني هاشم قد انتهى والملك عاد إلى بني أمية. والدم المهدور الذي سفح والمؤامرات والدسائس التي حيكت من أجل هذا اليوم لا يعقل أن يذهب سدى.

إذن فلا بد من عمل متم لتلك الأعمال المشينة كي تبقى الرئاسة في آل سفيان وإبعاد الجميع عنها ولسان حالهم يقول:

لعبت هاشم بالملك

فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌّ نزل

فبعد أن حبست السنون والأيام ذلك الحقد الدفين في صدور آل سفيان وبعد أن لاحت في السماء بوادر التغيير بوفاة الإمام علي عليه السلام ومن قبله نبي الأمة ﷺ. سوف لن يقف أي عائق اليوم في وجه هذا الطاغية فقد آن الأوان لساكنه الغل أن تتحرك وتأخذ في طريقها جميع من ينبت ببنت شفة في حق آل البيت عليه السلام أو يكُن لهم في صدره أي فضل أو رفعة، فكيف سيكون حال أهل البيت عليه السلام إذن؟

لذا تجد معاوية كان قد أعد العدة وجهاز جميع الوسائل في سبيل النيل من كرامة آل المصطفى عليه السلام وإبخاسهم حقهم وتلفيق شتى أنواع الافتراءات الكاذبة والمضلة بهم.

ولكن أنا له ذلك.

﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١)

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ

كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾^(٣)

لذلك كان لابد من أن تتعرض هذه الأسرة المطهرة لأنواع الاضطهاد سراً وعلانية أما أم المصائب زينب عليها السلام فلقد أعدت عدتها وجهزت نفسها لاستقبال مزيد من الهموم والمصاعب والآلام.

فالإمامة الشرعية آلت اليوم لأخيها الحسن عليه السلام والطاغية معاوية يتربص به المنون ويرسل عليه العيون، ويحيك الدسائس والمؤامرات من حوله فما كان منه إلا أن تنكر للعهود والمواثيق التي كان قد أبرمها معه، وأذاع في الآفاق أن برأت الذمة ممن يذكرون بخير الإمام علي عليه السلام وكذلك ولديه الحسن والحسين عليهما السلام، ليس هذا وحسب بل أمر بأمر سلطاني على طول البلاد وعرضها بإعلان البراء من علي عليه السلام وقذفه ولعنه في جميع المناسبات والتجمعات وأثناء الصلوات وعلى المنابر وفي خطب أيام الجمع والمناسبات. فكان من الهين عليه التخلص من الإمام الحسن عليه السلام من خلال مؤامرة دنيئة عن طريق زوجة الإمام (جعدة) فدست له السم في يوم شديد الحر وكان صائماً فيه.

ودخلت عليه زينب عليها السلام وهو يصارع سكرات الموت، فنظرت العقيلة إلى ريحانة رسول الله ﷺ وهو يتقيأ قطعاً من أمعائه في الطست وطافت بها موجات مذهلة من الألم والحزن وأنه عليها السلام مفارقها لا محال،

(١) سورة هود ١٢٣

(٢) سورة التوبة ٣٢

(٣) سورة الأنفال ٣٠

فوفاه الأجل المحتوم ولسانه يلهج بذكر الله وسمت روحه العظيمة إلى بارئها وقام الإمام الحسين عليه السلام بتجهيز جنازته ودفنه في جبانة البقيع في المدينة المنورة، فلم يمهل الله تعالى معاوية إلا قليلاً ليأخذه الله مع أثقاله وأثقالاً فوق أثقاله وانتهت تلك السنون السوداء بهلاك معاوية.

لتبدأ من هنا مسيرة الإمام الحسين عليه السلام.

فلم يبق سبط لرسول الله صلى الله عليه وآله على وجه الأرض سوى سيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء الإمام الحسين عليه السلام.

فالمهمة مهمته ودين الإسلام الذي كدّ وسعى جده المصطفى صلى الله عليه وآله كي يصل إلى الناس كافة وبسط شريعة الله في الأرض قد ضربَ به عرض الحائط يزيد بن معاوية الذي تربع على عرش الملك فكان دين الإسلام لا يعني له من شيء سوى كونه مطية ليستعيد من خلاله أمجاد أسلافه الغابرة التي حطمها رسول الله صلى الله عليه وآله على أعتاب الإسلام وجعل حكم الله الواحد الأحد ليكون هو السائد والوحيد ضمن تشريع ونظام دقيق وثاقب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾^(١)

إلا أن الدعي يزيد كان له رأي مغاير آخر، فالأمر لا يتعدى عنده سوى كونه لعب في الملك وكان بيد بني هاشم والآن أصبح بيد بني أمية فنسف جميع التعاليم التي أتى بها رسول الرحمة صلى الله عليه وآله ووضع بدلاً عنها قانونه الذي اختصره يزيد بهذه الكلمات:

معشر الندمان قوموا

واسمعوا صوت الأغاني

واشربوا كأس المدام
واتركوا ذكر المثاني
شغلتنى نعمة العيدان
عن صوت الأذان
وتعوضت من الحور
عجوزاً في الدنان

وتابع يزيد مسيرة جده وأبيه في النيل من الإسلام والمسلمين بشكل عام ومن الحسين عليه السلام وأهل بيته بشكل خاص، فلقد عرف مكنم الخطر - على ملكه - فلا بد له من التخلص من صاحب الأمر الشرعي والذي جمع قلوب الناس حوله والمتمثل اليوم بالحسين بن علي عليه السلام. وكانت زينب عليها السلام تعي وتدرك مكنم الخطورة التي باتت تطرق على الأبواب بشدة، فهي عالمة ببواطن الأمور وأن الحالة البائسة التي آلت إليها أمور آل البيت عليهم السلام إنما هي آخذة بالتصاعد والإزدياد. وكان الإمام الحسين عليه السلام يشارك أخته العقيلة زينب عليها السلام في هذا الشعور ويشاورها في معظم الأمور لما كان يعرفه عنها من رجاحة في العقل وسداد في الرأي.

العقيلة زينب (عليها السلام) وقمة الأحران

وهو اليوم الذي ابتداء مشوارها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام باتجاه كربلاء، والعقيلة زينب عليها السلام كانت تعي وتدرك حجم الأخطار التي ستنهال على آل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في هذه المرحلة العصيبة، والفاجرة الكبرى التي سيمنى بها هذا البيت الطاهر والأمة الإسلامية جمعاء.

فحديث رسول الله صلى الله عليه وآله لأم أيمن يوم ولدت عليها السلام ليس ببعيد عن أذهانها ولقد سألت أباهما الإمام علي عليه السلام عن هذا الحديث فقال لها عليها السلام: هو كما أخبرتك عنه أم أيمن:

عن أم أيمن عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ^(١)

وكأنني بك ونساء أهلك سبايا في هذا البلد، أذلاء خاشعين تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبراً.

فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم،

وعن أم أيمن قالت: ولقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله حين أخبرنا بهذا الخبر إن إبليس لعنه الله في ذلك اليوم - أي مقتل الحسين - يطير فرحاً فيجول الأرض كلها بشياطينه وعفاريطه فيقول: يا معشر الشياطين قد

(١) السيدة زينب للقرشي ١٥٤.

أدر كنا من ذرية آدم الطلبة، وبلغنا في هلاكهم الغاية وأورثناهم النار، إلا من اعتصم بهذه العصاة، فاجعلوا شغلكم بتشكيك الناس فيهم، وحملهم على عداوتهم وإغرائهم بهم وأولياهم،...

وخبر آخر^(١):

يقول الخبر: لما ولدت زينب عليها السلام أخبر النبي ﷺ فأتى منزل ابنته فاطمة عليها السلام وقال ﷺ: يا بنية إئتيني ببنتك المولودة فلما أحضرتها أخذها النبي ﷺ وضمها إلى صدره الشريف، ووضع خده على خدها فبكى بكاءً شديداً، وسالت دموعه على خديه فقالت فاطمة عليها السلام: مم بكاؤك، لا أبكى الله عينك يا أبتاه.

فقال ﷺ: يا بنتاه يا فاطمة، إن هذه البنت ستبتلى ببلايا وترد عليها مصائب شتى، ورزايا أدهى

يا بضعتي وقرّة عيني، إن من بكى عليها، وعلى مصابها يكون ثوابه كثواب من بكى على أخويها.

خبر ثالث^(٢):

لما دنت الوفاة من النبي ﷺ جاءت زينب عليها السلام إلى جدها رسول الله ﷺ وقالت: يا جداه رأيت البارحة رؤيا إنها انبعثت ريح عاصفة سودت الدنيا وما فيها وأظلمت، وحركتني من جانب إلى جانب فرأيت شجرة عظيمة فتعلقت بها من شدة الريح، فإذا بالريح خلعتها وألقتها على الأرض ثم تعلقت على غصن قوي من أغصان تلك الشجرة فقطعتها أيضاً، فتعلقت بفرع آخر فكسرتة أيضاً، فتعلقت على أحد الفرعين من فروعها فكسرتة أيضاً.

(١) زينب من المهد إلى اللحد ص ٢٧.

(٢) حياة السيدة زينب عليها السلام للنقدي ٢٣.

فاستيقظت من نومي ، فبكى عَلَيْهَا وقال:

الشجرة جدك

والفرع الأول أمك فاطمة

والثاني أبوك علي

والفرعان الآخران هما أخواك الحسنان

تسود الدنيا لفقدهم وتلبسين الحداد على رزيتهم.

هذه أخبار ثلاث مؤكدة إلى جانب أخبار أخرى لا تقل أهمية عنها،

كانت تعلمها السيدة زينب عَلَيْهَا علم اليقين، تحركت بها شجونها

وأحزانها عند بدء تحركها مع أخيها الحسين عَلَيْهِ باتجاه الكوفة.

مشاهد العقيلة مع أخيها الإمام الحسين (عليهما السلام)

أهم المحطات التي مرت بها السيدة زينب عليها السلام مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام باتجاه كربلاء نختصرها بما يلي:

• خروج أخيها الإمام الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة - بعد تولي يزيد سدة الحكم في دمشق - لكي لا يبايع يزيد ولقاء حجاج بيت الله الحرام أواخر شهر رجب عام ٦٠ هـ.

• مكاتبات أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام ومبايعته بالخلافة وتعجيلهم بالقدوم إليهم.

• إرسال مسلم بن عقيل بن أبي طالب سفيراً للإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة.

• عدم جدوى صرف نظر الإمام عليه السلام للعدول عن سفره للعراق هو وأهل بيته أو يترك النساء والأطفال وعدم اصطحابهم معه.

ليرد الإمام عليه السلام على الناصحين

أن الله قد شاء أن يراهن سبايا (الشرح يأتيك لاحقاً)

• بدء المسيرة والخروج من مكة المكرمة في يوم التروية بدل الخروج إلى عرفات لعلم الإمام عليه السلام بأنه مقتول لا محال حيث يقول عليه السلام: لئن قتلت بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أقتل

بمكة ويستحل بي، وأيم الله لو كنت في حجر هامة من هذه
الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا في حاجتهم والله ليعتدن عليّ
كما اعتدت اليهود في السبت.

فخرج عليه السلام منها خائفاً يترقب وهو يردد ويقول:
من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا...
في الطريق إلى كربلاء:

- وصول خبر استشهاد مسلم بن عقيل
- وصول خبر ميل أهل الكوفة عنه وإنضمامهم لجناح عبيد الله بن زياد.

- انضمام الصحابي الجليل زهير بن القين إلى معسكر الإمام عليه السلام.

- الحر بن يزيد الرياحي يجعجع بالحسين إلى أن وصل أرض الطف فسأل عنها الإمام عليه السلام فقالوا له إنها كربلاء فقال عليه السلام:
اللهم أعوذ بك من الكرب والبلاء ههنا محط ركابنا وسفك دمائنا
ومحل قبورنا بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله

وكان ذلك في الثاني من محرم سنة ٦١ هـ فجمع عليه السلام أهل بيته
وقال: اللهم إنا عترة نبيك محمد صلى الله عليه وآله قد أخرجنا وطرردنا وأزعجنا عن
حرم جدنا وتعدت بنو أمية علينا، اللهم فخذ لنا بحقنا وانصرنا على
القوم الظالمين.

وأقبل على أصحابه وقال:

الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درّت
معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون

ثم تابع عليه السلام وأجلى لأصحابه على ما هم مقدمين عليه والقتل الذي سيتعرضون له. إلا أن ذلك لم يزد هم إلا تصميمًا للمضي مع إمامهم ويردون مورده.

- وصول السرايا إلى أرض كربلاء:
 - عمر بن سعد على رأس ٤٠٠٠ مقاتل
 - شمر بن ذي الجوشن مع ٤٠٠٠ مقاتل
 - الحصين بن نمر في ٤٠٠٠ مقاتل
 - شيبث بن ربعي في ١٠٠٠ مقاتل
 - كعب بن طلحة في ٣٠٠٠ مقاتل
 - حجار بن أبجر في ١٠٠٠ مقاتل
 - مقابر بن رهينة المازني في ٣٠٠٠ مقاتل
 - نصر بن حرشه في ٢٠٠٠ مقاتل
- ليتكامل العدد في تسعة خلت من محرم ثلاثون ألفاً.
- نزول خيل ابن سعد على الفرات لحرمان وصول الإمام إليه حتى يضربهم العطش.
 - في اليوم السابع من محرم اشتد الحصار على معسكر سيد الشهداء ونفذ الماء وبدؤوا يعانون من لهيب العطش.
 - فندب الإمام عليه السلام أخاه العباس عليه السلام مع ٢٠ رجلاً ليأتوا بالماء فلم يستطع الجند ردهم إلا أنه كان ليس كافياً.
 - وكان اليوم التاسع:
 - ندب الإمام عليه السلام أخاه العباس عليه السلام كي يمهل القوم لغد وقد كان

له ذلك وكان معه حبيب بن مظاهر الذي ابتدرا القوم وقال لهم: أما والله لبئس القوم عند الله غداً قوم يقدمون عليه وقد قتلوا ذرية نبيه وعترته وأهل بيته وعبّاد أهل هذا المصر المتهجدين بالأسحار الذاكرين الله كثيراً.

ليلة التاسع من المحرم

جمع الحسين عليه السلام أصحابه قرب المساء فقال لهم فيما قال عليه السلام
أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء...
أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل
بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً...
ألا وإني أظن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً وإني قد أذنت لكم
فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم
فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، فجزاكم
الله جميعاً خيراً، وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم فإن القوم إنما يطلبونني
ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري.

فقال له إخوته وبنو أخيه وأبناء عبد الله بن جعفر: لم تفعل ذلك؟

نبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً!

بدأهم بهذا القول العباس بن علي وتابعه الهاشميون

والتفت الحسين إلى بني عقيل وقال:

حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا قد أذنت لكم.

فقالوا: إذا ما يقول الناس؟؟ وما نقول لهم؟؟

إنا تركنا شيخنا وسيدنا وبني عمومنا خير الأعمام، ولم نرم معهم

بسهم ولم نطعن برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا!!
لا والله لا نفعل ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، نقاتل معك
حتى نرد موردك فقبح الله العيش بعدك.

وقال أصحابه بمثل ما قال أهل بيته بأنهم غير مفارقيه حتى يعلم الله
أنهم حفظوا غيبة رسول الله ﷺ فيهم.

وقال له زهير بن القين:

والله وددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف مرة
وأن الله عزَّ وجلَّ يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتيان من
أهل بيتك.

وتكلم باقي الأصحاب بما يشبه بعضه بعضا فجزاهم الله عن
الحسين ﷺ كل خير ولسان حالهم يقول:

أسد قد أخذوا الصوارم حلية

وتسربلوا حلق الدروع هضابا

وجدوا الردى من دون آل محمد

عذباً وبعدهم الحياة عذابا

وبات الجميع في ليلة عاشوراء ما بين قائم وقاعد وساجد وقارئ
للقرآن ومبتهلٍ وداعٍ لله بفنون الدعوات.

ولقد سمع رجل منهم الإمام الحسين ﷺ وهو يقرأ:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ
الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ﴿١٧٩﴾﴾

وفي هذه الليلة سمعت زينب ﷺ أخاها الحسين ﷺ يرتجز

ويقول:

يا دهر أف لك من خليل
كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الدهر إلى الجليل
وكل حي سالك سبيل

فأتت عليها السلام تجر ذيلها حتى انتهت إلى أخيها الحسين عليه السلام فقالت:
ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي
الحسن.

يا خليفة الماضي وثمان الباقي

جعل يصبرها الإمام الحسين عليه السلام وعزّأها وقال فيما قال عليه السلام:
تعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون
وكل شيء هالك إلا وجهه، ولي ولكل مسلم برسول الله أسوة حسنة.
ثم أوصى عليها السلام حرائر بيت النبوة فقال لهم وهو يخاطب أخته
زينب عليها السلام: يا أختاه، يا أم كلثوم، يا فاطمة، يا رباب، انظرن إن
قتلت فلا تشقن عليّ جيباً، ولا تقلن هجراً ثم إلتفت عليها السلام إلى العقيلة
زينب عليها السلام (وأوصاها بأخذ الأحكام من ابنه علي بن الحسين عليه السلام
والقائها إلى الشيعة سترأ عليه).

ثم أن الإمام عليه السلام أمر أصحابه أن يقاربوا البيوت بعضها إلى بعض
ليستقبلوا القوم من وجه واحد، وأمر بحفر خندق من وراء البيوت يوضع
فيه الحطب ويلقى عليه النار إذا قاتلهم العدو كيلا تقتحمه الخيل فيكون
القتال من وجه واحد.

وخرج عليه السلام في جوف الليل إلى خارج الخيام يتفقد التلاع والعقبان فتبعه نافع بن هلال الجملي فسأله الإمام عليه السلام عما أخرجه فقال:
يا بن رسول الله أفزعني خروجك إلى جهة معسكر هذا الطاغى فقال
له الإمام عليه السلام:

إنني خرجت أتفقد التلاع والروابي مخافة أن تكون مكمناً لهجوم
الخيال يوم تحملون ويحملون ثم رجع عليه السلام وهو قابض على يد نافع
ويقول:

هي هي ، وعد لا خلف فيه .

ثم دخل عليه السلام إلى خيمة زينب عليها السلام فسمع نافع زينب عليها السلام وهي
تقول لأخيها الحسين عليه السلام:

هل استعملت من أصحابك نياتهم فإني أخشى أن يسلموك عند
الوثبة .

فقال لها: والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا الأشوس الأقعس ،
يستأنسون بالمنية استئناس الطفل إلى محالب أمه .

قال نافع: فلما سمعت هذا منه بكيت وأتيت حبيب بن مظاهر
وحكيت ما سمعت منه ومن أخته زينب

فقام حبيب ونادى يا أصحاب الحمية وليوث الكريهة ، فتناولوا من
مضاربيهم كالأسود الضارية . ثم أرجع بني هاشم وقال لهم: ارجعوا إلى
مقركم لا سهرت عيونكم

ثم التفت إلى أصحابه وحكى لهم ما شاهدته وسمعه نافع فقالوا
بأجمعهم: والله الذي منَّ علينا بهذا الموقف لولا انتظار أمره لعاجلناهم
بسيوفنا الساعة فطب نفساً وقرَّ عينا . (فجزاهم الله خيراً).

ثم جاء حبيب ومعه أصحابه وصاح:
يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم آلوا إلا يغمدوها
إلا في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم، أقسموا ألا
يركزوها إلا في صدور من يفرق دينكم.

فخرجت زينب عليها السلام وخرجت معها النساء، وهن يبكين وقلن:
أيها الطيبون حاموا عن بنات رسول الله وحرائر أمير المؤمنين.
فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تميد بهم.
إلى أن كان فجر يوم العاشر من محرم.

ورحم الله الشيخ هادي آل كاشف الغطاء عندما قال:

لو كان يدري يوم عاشوراء
ما كان يجري فيه من بلاء
ما لاح فجره ولا استنارا
ولا أضاءت شمسه نهارا

اليوم العاشر من المحرم (عاشوراء)

عظم الله أجورنا وأجوركم بمصائب الحسين عليه السلام
عظم الله أجرك يا سيدي يا صاحب الزمان بشهادة جدك
الحسين عليه السلام

عظم الله أجرك يا سيدي يا علي بن الحسين عليه السلام بمصائبك الجلل
عظم الله أجرك يا سيدتي يا أم المصائب زينب عليها السلام وصبرك على
هذا المصاب العظيم وتجلدك عمّا هو آت وأثابك وأعانك الله للمهمة
العظيمة التي آلت إليك بعد فقدان إمام الأمة الحسين الشهيد وعدم
تمكن الإمام زين العابدين عليه السلام بالقيام بمهامه إلى أن يقوى عوده
ويشفى سقمه.

في هذا اليوم (يوم عاشوراء) خرت دعائم الهدى وتداعت ملة الحق
بقتل أعداء الله (بني أمية) سبط النبي الأكرم الحسين عليه السلام

اليوم دين الهدى خرت دعائمه
وملة الحق جدت في تداعيها
اليوم عادت لدين الكفر دولته
اليوم نالت بنو هند أمانها^(١)

(١) الشيخ الهادي النحوي المقتل ٢٢٤

في هذا اليوم الأغبر:

لما بزغ فجر صباح يوم عاشوراء قام الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وصلى بأصحابه صلاة الصبح ثم أعقب وقال: إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال وكان عدد الذين معه (٨٢) فارساً وراجلاً (روايات) فوزعهم عليه السلام بحنكة ودراية وأعطى رايته أخاه العباس عليه السلام.

وأقبل عمر بن سعد نحو الحسين بـ ٣٠ ألف مقاتل. ولما نظر الإمام عليه السلام إلى جمعهم كأنهم السيل، رفع يديه بالدعاء وقال:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورخائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقة وعده، كم من هم يضعف منه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك، رغبة مني إليك عمن سواك فكشفته وفرجته، فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة فلما دنا منه القوم دعا براحلته، فركبها، ثم نادى بأعلى صوته بصوت عالٍ دعاء يسمع جل الناس:

أيها الناس! اسمعوا قلبي، ولا تعجلوني حتى أعظكم بما هو حق لكم علي، وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قلبي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، ولم يكن لكم على سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوا النصف من أنفسكم، فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب، وهو يتولى الصالحين. قال: فلما سمعت أخواته كلامه هذا، صحن وبكين وبكت بناته، فارتفعت أصواتهن، فأرسل إليهن أخاه العباس بن علي، وعلياً ابنه، وقال لهما أسكتاهن فلعمري ليكثرن بكأؤهن فلما سكتن، حمد

الله وأثنى عليه وذكر الله بما هو أهله وصلى على محمد صلى الله عليه وعلى ملائكته وأنبيائه فذكر من ذلك ما الله اعلم، وما لا يحصى ذكره، قال: فوالله ما سمعت متكلمًا قط قبله ولا بعده أبلغ في منطلق منه، ثم قال: أما بعد فانسبونني فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها فانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألسنت ابن بنت نبيكم ﷺ: وابن وصيه؟ وابن عمه؟ وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء به من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمي؟ أو لم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله ﷺ قال لي ولأخي «هذان سيدا شباب أهل الجنة» فان صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعمدت كذبا مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، ويضربه من اختلقه! وإن كذبتُموني فان فيكم من إن سألتُموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري! أو أبا سعيد الخدري! أو سهل بن سعد الساعدي! أو زيد بن أرقم! أو أنس بن مالك! يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ ولأخي أفما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟ فقال له شمر بن ذي الجوشن: هو يعبد الله على حرف، إن كان يدري ما تقول، فقال له حبيب بن مظاهر: والله اني لأراك تعبد الله على سبعين حرفا، وأنا اشهد انك صادق ما تدري ما يقول، قد طبع الله على قلبك! ثم قال لهم الحسين: فإن كنتم في شك من هذا القول أفتشكون أني ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم أنا ابن بنت نبيكم خاصة، أخبروني أتطلبونني بقتيل منكم قتلته! أو مال لكم استهلكته؟! أو بقصاص من جراحة؟ قال: فأخذوا لا يكلمونه، قال: فنأدى: يا شبث بن ربعي! ويا حجار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا يزيد بن الحارث! ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضر الجناب وطمت الجمام، وإنما تقدم

على جند لك مجندة، فأقبل! قالوا له: لم نفعل! فقال: سبحان الله! بلى والله لقد فعلتم! ثم قال: أيها الناس! إذ كرهتموني فدعوني انصرف عنكم إلى مأمني من الأرض، قال: فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم بني عمك، فإنهم لن يروك الا ما تحب، ولن يصل إليك منهم مكروه، فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل! لا والله لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله! إني عدت بربي وربكم أن ترجمون أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، قال: ثم إنه أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، وأقبلوا يزحفون نحوه.

ثم إن الحسين عليه السلام ركب فرسه، وأخذ مصحفا ونشره على رأسه، ووقف بإزاء القوم وقال: يا قوم إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال الخوارزمي: لما عبأ ابن سعد أصحابه، فأحاطوا بالحسين، من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة خرج الحسين من أصحابه، فأتاهم، فاستنصتهم، فأبوا ان ينصتوا فقال لهم: ويلكم! ما عليكم ان تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي! وإنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد! فتلاوم أصحاب عمر بن سعد، وقالوا: أنصتوا له، فقال: تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً! أحين استصرختمونا والهين، فأصرخناكم موجفين، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم علينا نارا اقتدحناها على عدونا وعدوكم، فأصبحتم ألبا لأعدائكم على أوليائكم، بغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، فهلا لكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجأش طامن، والرأي لما يستحصف، ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا، وتداعيتم عليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها فسحقا لكم

يا عبيد الأمة! وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومحرفي الكلم، وعصبة الآثم ونفثة الشيطان، ومطفئي السنن، ويحكم! أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون أجل والله غدر فيكم قديم، وشجت عليه أصولكم، تأزرت فروعكم، فكنتم أخبث ثمر، شجى للناظر وأكلة للغاصب! ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك، ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام، على مصارع الكرام، ألا وإني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر، ثم أنشد أبيات فروة بن مسيك المرادي.

فإن نهزم فهزامون قدما
وإن نُهزم فغير مهزمينا
وما إن طبنا جبن ولكن
منايانا ودولة آخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا
إذا ما الموت رفع عن أناس
بكل كلة أناخ بآخرينا

أما والله لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، عهد عهده إليّ أبي عن جدي رسول الله « فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقصوا إلي ولا تنظرون، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١). ثم رفع يديه نحو السماء وقال اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني

(١) سورة هود: الآية ٥٦.

يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة فإنهم كذبونا
وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك المصير. والله لا يدع أحدا منهم
إلا انتقم لي منه قتلة بقتلة وضربة بضربة وإنه لينتصر لي ولأهل بيتي
وأشياعي. وتكلم أيضاً بعض أصحاب الحسين عليه السلام أمثال زهير بن
القين والحر بن يزيد الرياحي وغيرهم ووضعوا الحجة على جند عمر بن
سعد.

وأخيراً استدعى الإمام عليه السلام عمر بن سعد فأتاه مكرهاً فقال له
الإمام عليه السلام: أي عمر أتزعم أنك تقتلني ويوليك الدعي بلاد الري
وجرجان والله لا تتهنأ بذلك، عهد معهود فأصنع ما أنت صانع، فإنك
لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، وكأني برأسك على قصبة يتراماه الصبيان
بالكوفة ويتخذونه غرضاً بينهم.
فأشاح بوجهه عنه مغضباً

توبة الحر

ولما سمع الحر بن يزيد الرياحي كلام الإمام عليه السلام واستغاثته أقبل
على عمر بن سعد وقال له:

أمقاتل أنت هذا الرجل؟

قال: إي والله قتالاً أيسره أن تسقط فيه الرؤوس وتطيح الأيدي.

قال: مالكم فيما عرضه عليكم من الخصال.

فقال: لو كان الأمر إلي لقبلت ولكن أميرك أبي ذلك، فتركه ووقف

مع الناس وكان إلى جنبه قرة بن قيس فقال لقرة: هل سقيت فرسك
اليوم؟ قال لا، قال: هل تريد أن تسقيه؟ فظن قرة من ذلك أنه يريد
الاعتزال ويكره أن يشاهده، فتركه فأخذ الحر يدنو من الحسين عليه السلام

قليلاً فقال المهاجر بن أوس: أتريد أن تحمل؟ فسكت وأخذته الرعدة، فارتاب المهاجر من هذا الحال وقال له: لو قيل لي من أشجع أهل الكوفة، لما عدوتك، فما هذا الذي أراه منك؟

فقال الحر: إني أخير نفسي بين الجنة والنار، والله لا أختار على الجنة شيئاً ولو أحرقت، ثم ضرب جواده نحو الحسين عليه السلام منكساً رمحه قلباً رأسه وقد طأطأ برأسه حياءً من آل الرسول بما أتى إليهم وجعجع بهم في هذا المكان على غير ماء ولا كلاً رافعاً صوته:

اللهم إليك أنيب فتب علي، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك! يا أبا عبد الله إني تائب فهل لي من توبة.

فقال الإمام عليه السلام: نعم يتوب الله عليك.

ثم توجه الحر بن يزيد الرياحي إلى أهل الكوفة وقال بعد أن أستأذن الحسين عليه السلام يا أهل الكوفة! لأمكم الهبل والعبير! إذ دعوتموه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب فمنعتموه التوجه إلى بلاد الله العريضة حتى يأمن وأهل بيته وأصبح كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وحلأتموه ونساءه وصبيته وصحبه عن ماء الفرات الجاري الذي يشربه اليهود والنصارى والمجوس وتمرغ فيه الخنازير السواد والكلاب!!!

وها هم قد صرعهم العطش بثس ما خلفتم محمداً في ذريته، لا سقاكم الله يوم الظمأ، فحملت عليه رجاله ترميه بالنبل، فتقهقر حتى وقف أمام الحسين عليه السلام

لتبدأ رزايا وموبقات يوم عاشوراء الأسود

ولتمتد يد البغي والكفر والعدوان وتعيثُ فساداً في أس الإسلام

القويم وتعتدي على أظهر الكائنات البشرية الموجودة فوق سطح هذه الأرض والبقية الباقية من عترة رسول الله ﷺ، وبكل جرأة وعناد ومن غير خوف من الله العزيز القدير ولا وجل، ولتحدث المواجهة المخزية والمذلة والتي لم يسطر التاريخ الإسلامي العريض أدنى أو أحط منها باستباحتهم هذا الدم الطاهر والمتمثل بالإمام الحسين عليه السلام، ورجالات أهله وصحبه - المؤمنون الطاهرون- من قبل تلك السلطة المتسلطة المتمثلة بيزيد وزبانيته.

فبرز أصحاب الحسين عليه السلام إلى مصارعهم يذبون عن دين الإسلام بأجسامهم وأرواحهم والتي نذورها فداءً لله ولعترة نبيهم.

ورحم الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء عندما وصفهم بقوله:

أعزاء لا تلوي الرقاب لفادح
ولا من ألوف في الكريهة ترهب
فما لسوى العلياء تاقت نفوسهم
ولم تك في شيء سوى العز ترغب
إلى أن تهاوت كالكواكب في الثرى
وما بعدهم يا ليت لا لاح كوكب
تهاووا فقل زهر النجوم تهافت
وأهـووا فقل شم الجبال تهدم

وأمعن جند سعد في قتل أصحاب الحسين حتى استشهدوا على آخرهم، والحسين عليه السلام يودعهم واحد إثر آخر ويدعو لهم ويبشرهم بمنزلهم في الجنة وأنه لا يلبث حتى يلحق بهم ويجتمعوا معاً عند النبي الكريم ﷺ فيوفيههم الله أجورهم وينتصر لمظلوميتهم ويسكنهم جنات عرضها السماوات والأرض أعدت للصابرين

فلم يبق مع الإمام عليه السلام سوى أهل بيته عليهم السلام فتجمعوا حول الإمام عليه السلام بنفوس أبية وعزيمة تقهر الجبال عازمين على ملاقاته الحتوف وأقبل بعضهم يودع بعضاً وأول من تقدم علي الأكبر بن الإمام الحسين عليه السلام وعمره آنذاك ٢٧ عاماً وكان عليه السلام مرآة الجمال النبوي ومثال خلقه السامي.

وبرز عليه السلام لأعداء الله والإسلام وهو يرتجز ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي
نحن ورب البيت أولى بالنبى
تالله لا يحكم فينا ابن الدعي
أضرب بالسيف أحامي عن أبي
ضرب غلام هاشمي قرشي

والإمام عليه السلام يتابع ولوج فلذة كبده في وجه هذا السيل العارم من جند الأعداء وهو رافع يديه إلى السماء ويدعو ويقول:

اللهم اشهد على هؤلاء فقد برز إليهم أشبه الناس برسولك محمد
خَلَقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا، وكنا إذا اشتقنا إلى رؤية نبيك نظرنا إليه،

اللهم فامنعمهم بركات الأرض وفرقهم تفريقاً ومزقهم تمزيقاً
واجعلهم طرائق قداداً، ولا ترض الولاة عنهم أبداً فإنهم دعونا لينصرونا
ثم عدوا علينا يقاتلوننا ثم تلا قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

فما زال عليه السلام يصول ويجول في ميدان المعركة حتى قتل من أعداء الإسلام حوالي ٢٠٠ كافر إلى أن طعنه (منقذ العبدى) لعنه الله برمح في

ظهره فوق من على ظهر فرسه فأحاط به الأعداء وقطعوه إرباً إرباً.
ثم إن الحسين عليه السلام اتجه نحوه فتفرق الناس من حوله فانكب عليه
واضعاً خده على خده وهو يقول: على الدنيا بعدك العفا، ما أجرأهم
على الرحمن وعلى انتهاك حرمة رسول الله...
وأمر عليه السلام فتياته أن يحملوه إلى القسطنطينية وحرائر بيت الوحي
ينظرون إليه محمولاً قد جللته الدماء.
فاستقبلته زينب عليها السلام وألقت بنفسها عليه وهي تضم إليها جمام
نفسها وحمى خدرها المنثلم وعماد بيتها المنهدم.
ثم برز إليهم عبد الله بن مسلم بن عقييل وأمه رقية بنت أمير
المؤمنين عليه السلام فكر على الأعداء ثلاث حملات إلى أن قتل منهم جماعة
فرماه يزيد بن الرقاد الجهني لعنه الله بسهم بجبهته الشريفة.

حملة آل أبي طالب عليهم السلام

عندها حمل آل أبي طالب حملة واحدة
فاستشهد منهم: عون بن عبد الله بن جعفر وأمه العقيلة زينب عليها السلام
وأخوه محمد عليه السلام
وعبد الله بن عقييل بن أبي طالب عليه السلام
وأخوه جعفر بن عقييل عليه السلام
ومحمد بن مسلم بن عقييل عليه السلام
وأصاب الحسن المثنى ابن السبط عليه السلام جراح عظيمة ولكنه لم
يستشهد واستشهد أبو بكر بن علي بن أبي طالب واسمه محمد وقاتله
زحر بن النخعي لعنه الله.

القاسم وأخوه عبد الله عليهما السلام

وخرج عبد الله الأكبر أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وأمه أم ولد يقال لها (رملة) فقاتل حتى قتل. وخرج من بعده أخوه لأمه وأبيه (القاسم) وهو غلام لم يبلغ الحلم فلما نظر إليه الإمام الحسين عليه السلام اعتنقه وبكى.

فمشى عليه السلام يضرب بسيفه هامات الأعداء وبينما هو كذلك شدَّ عليه عمرو بن سعد الأزدي وضربه بالسيف على رأسه فهوى الغلام فصاح: يا عماء فأتاه الحسين عليه السلام كالليث الغضبان فضرب عمرأ بالسيف فاتقاه بالساعد فأطنها من المرفق، فحملت جند ابن سعد لتستنقذه فوطأته بحوافرها فمات.

ثم وصل الحسين عليه السلام إلى مكان مصرعه ثم احتمله وكان صدره على صدر الإمام ورفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم احصهم عددا ولا تغادر منهم أحداً ولا تغفر لهم أبداً، صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً.

العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام

لما رأى العباس عليه السلام مقاتل الأصحاب والأقرباء من أهله قال لأخوته من أمه وأبيه (عثمان وجعفر)

تقدموا يا بني أمي حتى أراكم نصحتم لله ولرسوله

فقاتل عليه السلام فلم يزالا ينزلان الحتوف بصفوف الأعداء حتى

قضيا عليهما السلام

نعما قرا بين الإله
مجزرين على الفرات
من بعد ما قضاوا الصلاة
قضاوا فداءً للصلاة.

شهادة العباس عليه السلام

ضاق صدر العباس عليه السلام وهو يرى تلك الهامات الطاهرة وقد
تتهاوى متضرجة بدمائها، من الآل والأصحاب.
وعويل النساء الذي كان يتصاعد ويتعالى عند سقوط كل شهيد
وصراخ الأطفال الذين أعياهم الجوع والعطش
عندها طلب العباس عليه السلام من أخيه الحسين عليه السلام الرخصة كي
يلحق بركب هؤلاء الشهداء مدافعاً عن دين جده وذاباً عن إمامه وأخيه
الحسين عليه السلام

فقال له الحسين عليه السلام: يا أخي أنت صاحب لوائي.
فطلب منه الإمام عليه السلام أن يطلب الماء للأطفال
فخرج إليهم العباس عليه السلام منادياً بأعلى صوته:
يا عمر بن سعد هذا الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ قد قتلتم
أصحابه وأهل بيته وهؤلاء عياله وأولاده عطاشي، فاسقوهم من الماء،
قد أحرق الظمأ قلوبهم.
فما كان جواب الشمر له:
يا ابن أبي تراب لو كان وجه الأرض كله ماء تحت أيدينا لما سقيناكم
منه قطرة إلا أن تدخلوا في بيعة يزيد.

فلما رأى العباس عليه السلام منهم هذا الموقف ركب جواده وأخذ القربة فأحاط به الجند من كل مكان يرمونه بالسهام فلم ترعه كثرتهم، ولم يشعر القوم إلا والعباس عليه السلام يجندل الأبطال، فتفرقوا عنه ونزل إلى الفرات.

ولما اغترف من الماء ليشرب عليه السلام تذكر عطش الحسين عليه السلام والنساء والأطفال فرمى الماء وقال

يا نفس من بعد الحسين هوني
وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون
وتشربين بارداً المعين
تالله ما هذا فعال ديني

فملاً القربة وركب جواده وتوجه نحو المخيم، فقطع عليه الطريق وجعل يضرب حتى أكثر القتل بهم وكشفهم عن الطريق.

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني ومعه حكيم بن الطفيل السنبيسي (لعنه الله) فضربه على يمينه فبراها فقال عليه السلام

والله إن قطعتم يميني
إنني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين
نجل النبي الطاهر الأمين

وضربه حكيم بن الطفيل (لعنه الله) عن شماله فقطعها وتكاثروا عليه وأتته السهام كالمطر فأصاب القربة سهم وأريق ماؤها وأخر في صدره الشريف وضربه رجل بالعمود على رأسه ففلق هامته

فسقط عليه السلام على الأرض وهو ينادي

عليك مني السلام أبا عبد الله، فأتاه الحسين عليه السلام كالليث المجروح وهو ينادي ويقول: الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي، وشميت بي عدوي ورجع الإمام عليه السلام إلى المخيم وقلبه ينفطر حزناً فتدافعت الرجال على مخيمة فنادى عليه السلام أما من مغيث يغيثنا؟

أما من مجير يجيرنا؟

أما من طالب حق ينصرنا؟

أما من خائف من النار فيذب عنا؟

وصاحت زينب عليها السلام

وأخاه وا عباساه واضيعتنا بعدك.

فنادى الإمام عليه السلام بأعلى صوته:

هل من ذاب عن حرم رسول الله؟

هل من موحد ليخاف الله فينا

هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟

فنهض السجاد عليه السلام يتوكأ على عصاه ويجر سيفه وقد أعياه

المرض فصاح الحسين عليه السلام بأخته: احبسيه لثلاثا تخلو الأرض من نسل

آل محمد، فأرجعوه إلى فراشه.

شهادة الإمام الحسين عليه السلام

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام قام وودع عياله، وكانت عليه جبة خز

دكناء وعمامة موردة أرخى لها زاويتين والتحف ببرده رسول الله ﷺ

وتقلد سيفه، وطلب ثوباً لا يرغب فيه أحد يضعه تحت ثيابه لثلاثا يجرد

منه، لأنه مقتول لا محالة ودعا بولده الرضيع ليودعه، فأنته زينب عليها السلام

بابنه عبد الله وأمه الرباب فأجلسه في حجره يقبله ويقول بعداً لهؤلاء القوم.

ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه فتلقى الحسين عليه السلام الدم بكفه ورمى به نحو السماء فلم تسقط منه قطرة واحدة، ثم قال الحسين عليه السلام هَوَّنْ ما نزل بي أنه بعين الله تعالى، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل، إلهي إن كنت حبست عنا النصر فاجعله لما هو خير منه، وانتقم لنا من الظالمين، واجعل ما حل بنا في العاجل ذخيرة لنا في الآجل، اللهم أنت الشاهد على قوم قتلوا أشبه الناس برسولك محمد صلى الله عليه وآله.

ثم إن الحسين عليه السلام حفر للرضيع بجفن سيفه ودفنه مرملاً بدمه وصلى عليه وتقدم الحسين عليه السلام عند القوم مصلاً سيفه آيساً من الحياة ودعا الناس إلى المبارزة فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل جمعاً كثيراً وحمل على الميمنة فانكشفت عنه فصاح عمر بن سعد بالجمع:

هذا ابن الأنزع البطين

هذا ابن قتال العرب، احملوا عليه من كل جانب فأتته النبال من كل مكان وحالوا بينه وبين رحله فصاح بهم:

يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم وارجعوا إلى احسابكم ان كنتم عرباً كما تزعمون

ثم قال عليه السلام: أنا الذي أقاتلكم والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عُتاتكم عن التعرض لحرمي ما دمت حياً

وقصده القوم واشتد القتال وقد أخذ منه العطش كل مأخذ، فحمل

من نحو نهر الفرات على عمرو بن الحجاج وكان في أربعة آلاف فكشفهم عن الماء واقحم الفرس بالماء ولما مد يده الشريفه عليه السلام ليغرف من الماء ناداه رجل أتلتذ بالماء وقد هتكت حرملك! فرمى الماء عليه السلام ولم يشرب وقصد الخيمة.

ثم ودع عليه السلام عياله ثانية وأمرهم بالصبر وقال لهم:

استعدوا للبلاء، واعلموا أن الله تعالى حاميك وحافظكم وسينجيكم من شر الأعداء ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ويعذب عدوكم بأنواع العذاب ويعوضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة...

أما العقيلة زينب عليها السلام فإنها كانت مستبصرة لما هو آت وأن العروة الوثقى عرضة للانفصام، وحبل النبوة آيلٌ إلى الانعدام ومنار الشريعة إلى الخمود وشجرة النبوة إلى الذبول.

أما الملعون ابن سعد لما رأى الحسين عليه السلام مشغولاً بأهله نادى جنوده بأعلى صوته: ويحكم اهجموا عليه ما دام مشغولاً بنفسه وحرمه، والله إن فرغ لكم لا تمتاز ميمنتكم عن ميسرتكم، فحملوا عليه يرمونه بالسهم حتى تخالفت السهام بين أطناب المخيم مما أربع النساء فلجان إلى الخيم

وحمل الحسين عليه السلام عليهم كالليث الغضبان فلا يلحق بأحد إلا ضربه بالسيف فيقتله والسهام تتجه نحوه من كل صوب وهو يتقيها عليه السلام بصدرة ونحره. ورجع عليه السلام إلى مركزه وهو يكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ويطلب الماء من شدة العطش

فقال له الشمر (لعنه الله): لا تذوقه حتى ترد النار

وقال له آخر: لا تشرب منه حتى تموت عطشاً.

فقال الحسين عليه السلام: اللهم أمته عطشاً، فكان ذلك الرجل يطلب

الماء فيؤتى به ويشرب حتى يخرج من فيه إلى أن مات عطشاً
ورماه أبو الحتوف الجعفي بسهم في جبهته الشريفة فنزعه عليه السلام
وسالت الدماء على وجهه الشريف فقال عليه السلام:

اللهم إنك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة. اللهم احصهم
عدداً واقتلهم بدداً، ولا تذر على وجه الأرض منهم أحداً ولا تغفر لهم
أبداً.

ثم قال عليه السلام: يا أمة السوء بثما خلفتم محمداً في عترته، أما أنكم
لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم
إياي. وأيم الله اني لأرجو أن يكرمني الله بالشهادة ثم ينتقم لي منكم من
حيث لا تشعرون وبقي عليه السلام كذلك إلى أن ضعفت قواه من كثرة الجراح
وشدة العطش فرماه رجل بحجر على جبهته الشريفة ورماه آخر بسهم
محدد له ثلاث شعب فوقع على الأرض وقال:

بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ورفع رأسه إلى السماء وقال:
إلهي إنك تعلم أنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي
غيري ثم أخرج السهم وانبعث الدم كالميزاب فوضع يده تحت الجرح
فلما امتلأت رمى به نحو السماء وقال عليه السلام: هون ما نزل بي أنه بعين
الله، فلم يسقط من ذلك الدم قطرة على الأرض...!!! ثم لطح وجهه
الشريف ولحيته الطاهرة بالدماء وقال عليه السلام:

هكذا أكون حتى ألقى الله جدي رسول الله ﷺ وأنا مخضب بدمي
وأعياء النزف عليه السلام فجلس على الأرض فتقدم عليه مالك بن النسر
فضربه بالسيف على رأسه الشريف فدعا عليه الحسين عليه السلام وقال:

لا أكلت بيمينك ولا شربت وحشرك الله مع الظالمين

ثم أحاطوا بالحسين عليه السلام فنظر عبد الله بن الحسن السبط عليه السلام إلى عمه وكان له إحدى عشرة سنة، وأهوى بحر بن كعب بالسيف ليضرب الحسين عليه السلام فصاح الغلام: يا ابن الخبيثة أتضرب عمي؟ فأتقاها الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فصاح الغلام: يا عماء!! ووقع في حجر الحسين عليه السلام فضمه إليه وقال: اصبر يا ابن أخي على ما نزل بك واحتسب في ذلك الخير فإن الله تعالى يلحقك بآبائك الصالحين ورفع يديه قائلاً:

اللهم ان متعتهم إلى حين، ففرقهم تفريقاً واجعلهم طرائق قددا ولا ترض الولاة عنهم أبداً، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا ورمى الغلام حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام وبقي الحسين عليه السلام مطروحاً ملياً ولو شاؤوا أن يقتلوه لفعلوا إلا أن كل قبيلة تتكل على غيرها وتكره الإقدام.

فصاح الشمر اللعين، ما وقوفكم! وما تنتظرون بالرجل؟ وقد أثختته السهام والرماح احملوا عليه!

وضربه زرعه بن شريك على كتفه الأيسر ورماه الحصين وطعنه سنان بن أنس في ترقوته ثم في صدره ثم رماه بسهم في نحره وطعنه صالح بن وهب في جبينه ولما اشتد بالحسين عليه السلام الحال رفع طرفه إلى السماء وقال:

اللهم متعال المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، تدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، ذكور إذا ذكرت.

أدعوك محتاجاً، وأتوكل عليك كافياً

اللهم احكم بيننا وبين قومنا، فإنهم غرونا وخذلونا وغدروا بنا
وقتلونا ونحن عترة نبيك وولد حبيبك محمد ﷺ الذي اصطفيته
بالرسالة واثمنتته على الوحي، فاجعل لنا من امرنا فرجاً ومخرجاً يا
أرحم الراحمين

صبراً على قضائك يا رب

لا إله إلا سواك يا غياث المستغيثين

مالي رب سواك ولا معبود غيرك

صبراً على حكمك يا غياث من لا غياث له يا دائماً لا نفاذ له

يا محيي الموتى، يا قائماً على كل نفس بما كسبت، احكم بيني

وبينهم وأنت خير الحاكمين

وأقبل فرس الإمام نحو الخيام، فلما نظرت النساء إلى الجواد مخزياً

والسرج عليه ملوياً خرجن من الخدور

فنادت زينب عليها السلام وا محمداه واعلياه! واجعفراه! واحمزتاه!!

هذا حسين بالعراء صريع كربلاء ثم توجهت نحو السماء وقالت:

ليت السماء أطبقت على الأرض

وليت الجبال تدككت على السهل

وتوجهت نحو أخيها الحسين عليه السلام وهو يجول بنفسه الشريفة

وقالت:

ويحكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد!!

فصاح ابن سعد بالناس: انزلوا إليه!!

فبدر إليه شمر اللعين فرفسه برجله وجلس على صدره وقبض على

شيبته المقدسة وضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة، واحتز رأسه الشريف.

السلب بعد القتل

وأقبل القوم على سلبه
فأخذ إسحاق بن حوية قميصه
وأخذ الأحنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي عمامته
وأخذ الأسود بن خالد نعليه
وأخذ جميع بن الخلف الأودي سيفه ويقال أيضاً يحكم الأسود بن
حنظلة التيمي
وقطع بجدل إصبغه وأخذ خاتمه
وأخذ جعونه بن حويه الحضرمي ثوبه الخلق
وأخذ الرحيل بن حيثمة الجعفي وهاني بن شبيب الحضرمي وجرير
بن مسعود الحضرمي القوس والحلل
أيها القاتلون جهلاً حسيناً
أبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لعنتم على لسان ابن داود
وموسى وصاحب الإنجيل
كل أهل السماء يدعو عليكم
من نبي ومرسل وقتيل

دور العقيلة زينب بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

إن ما حدث في اليوم العاشر من محرم في أرض الطف سنة ٦١ هو وصمة خزي وعار لا تنمحي ولا تندثر مهما عفا عنها الزمن والله لقد لطحوا التاريخ الإسلامي بصفحة سوداء قاتمة يندى لها جبين كل إنسان واعٍ ذي ضمير واعٍ وحر.

وإنك لو سبرت أغوار التاريخ الإسلامي بجميع فتوحاته وغزواته وفتشت عن نذر يسير من ذلك الفتك المريع الذي حدث في كربلاء لما بلغت غايتك بل على العكس تماماً حيث كانت الرأفة والرحمة عنوان دائم لتلك الحملات حتى إذا ما وقع القتل فلم يكن يطال النساء والأطفال ولا المريض ولا العاجز ولا الجريح ولا من كف راجعاً عن القتال، كان هذا عند قتال الكفار ولكن في كربلاء كان القتل قد شمل الجميع ولم يستثن أحداً ولم تراع فيه كرامة أحد وسقطت فيه جميع العهود والذمم.

فكيف حصل ذلك؟

وكيف تجرأت تلك الفئة الباغية على تلك الأفعال الشنيعة؟ والنيل من هذه الفئة الطاهرة؟

فالشريعة واضحة ونيرة، وآيات الله البينات صريحة ودامغة ورسول الله ﷺ لم يكذب يغيب عنهم بعد، والجميع كان يعلم كيف كان رسول الله ﷺ يحامي ويحافظ ويرأف بأهل بيته ولم يكن يهناً له بال ﷺ حتى

يظمن على أحوالهم يومياً ويتأكد بأنهم بخير وأتم سعادة وهناء

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(١)

فإذا كان قرآن الله تعالى يناديهم ويأمرهم بأن يحذو حذو رسول الله في أهل بيته فكيف سولت لهم أنفسهم وضربوا هذه التعاليم المشددة من قبل الله ورسوله ﷺ عرض الحائط وأوغلوا بأهل بيت رسول الله ﷺ ذلك القتل المريع والعذاب المرير بجرأة وعناد غير عابئين لا بقرآن الله تعالى ولا بسنة نبيه الكريم ﷺ.

أنسوا أن هذه الفئة الطاهرة المطهرة التي امتدت أياديهم السوداء الضالة إليها إنما هي التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز ورفع مكانتها فوق جميع المسلمين والمسلمات فكانوا آل طه وآل ياسين وأهل البيت والقربى

أليس هذا الشهيد المقطوع الرأس في عرصات كربلاء هو خامس أصحاب الكساء

أليس هذا الشهيد المخرج بالدماء هو أحد هؤلاء الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكِيئًا وَبَيْئًا وَأَسِيرًا ﴾^(٢)

﴿ وَجَزَّئُهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾^(٣)

أليس هذا الشهيد المقدس هو سيد شباب أهل الجنة والذي أمرنا الله تعالى أن نصلي عليه في كل صلاة واجبة كانت أو مستحبة كي يتقبل الله تعالى هذه الصلاة وذلك عندما نزلت الآية الكريمة بقوله تعالى:

(١) سورة الأحزاب ٢٠

(٢) سورة الإنسان ٨

(٣) سورة الإنسان ١٢

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^(١)

ثم أليس هذا الشهيد المضرج بدمه والممدد في العراء هو من حاج به رسول الله يوم أمره الله أن يجمع أهل بيته ويحاجج بهم أهل نجران لينزل لعنته على الكاذبين بقوله تعالى:

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢)

فكان هذا الشهيد طفلاً وديعاً يحتضنه رسول الله ﷺ على صدره الشريف هو أحد هؤلاء المستجاب دعاؤهم يوم يدعو جدهم رسول الله ﷺ ويؤمنون على دعائه لينزل الله لعناته على أهل نجران ويحرق بدعائه هذا حرث ونسل أهل نجران.

ثم أليس هذا الشهيد المطعون عشرات الطعنات والمرمي عليه مئات السهام والمركول بالأرجل والمداس جسده الشريف بحوافر الخيل هو من أمر الله تعالى جميع المسلمين أن يودوه ويزيدوا في تكريمه وتعظيمه ومن يزدده يزد الله له حسناً بقوله تعالى:

﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا ﴾^(٣)

فكان أن رمت هذه الفئة الضالة والمضلة كلام الله تعالى خلف ظهورها، وكان هذه التعليمات الواضحة والمشددة كانت لملة غير ملتهم

(١) سورة الأحزاب ٥٦

(٢) سورة آل عمران ٦١

(٣) سورة الشورى ٢٢

(والعياذ بالله) ولكن إذا ما أردنا الاستفاضة في هذا الموضوع وتعداد تلك المخالفات الواضحة التي ارتكبتها السلطة بحق قرابة رسول الله ﷺ سيضطرنا ذلك إلى ملء مساحة كبيرة في كتابنا، ورغم ذلك لا نستطيع أن نطال غايتنا، ولكن ما أوردناه سابقاً يغني الموضوع ويقف القارئ على حجم هذا التجرؤ والتجاوز الكبير على حدود الله وعدم الاكتراث بشرع الله وهوان الله وكرامة رسوله وأهل بيته عليهم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وانجلت غبرة كربلاء على جثث وهامات وأشلاء طاهرة شريفة مبعثرة هنا وهناك وأعضاء مقطعة ونحور دامية. والصورة البشعة التي بلغت في ذلك اليوم هي أبلغ من أن يعبر واصف أو يصورها شاعر.

رجالٌ صرعى برؤوس ومن غير رؤوس

وجثث مهتكة مضرجة بدمائها وأطفال مذبحون

ونساءٌ مسبيات معفرات

وأطفالٌ هائمة على وجوهها لا تكاد تلتقط أنفاسها من شدة الجوع

والعطش ومعسكرٌ مهدمٌ وأخبية محرقة

هذا لعمرى غيظ من فيض من صورة ذلك اليوم المشؤوم

يومٌ أحمرت فيه السماء من فيض دمٍ طاهرٍ مهدور على صفحات

كربلاء

يومٌ انتقمت فيه هذه الفئة الباغية من الله تعالى لأنه فتح على نبيه

الكريم فتحاً كبيراً

فهو يومٌ بيوم فتح مكة

يومٌ انتقم فيه لكفار بدر

فهو يومٌ بيوم بدر

نعم إنه يوم الطلقاء

ويوم رد - الطلقاء - الدّين لمحمدٍ وأكذوبته الإسلام

إنه اليوم الذي سقط به اللثام عن وجه هؤلاء المنافقين الحاقدين الذين حبست السنون والأيام في صدورهم هذا الحقد الدفين فلم يعد يطيقون معه صبراً فلقد آن الأوان لاسترداد حقهم المسلوب المحطم على يد محمد ودينه الجديد وأخذهم ثأرهم من قتلة الكفار من بني العاص وأمّية

فويل لبني هاشم ومن يلوذ بهم، فقد آن الأوان لساكنة الغل أن تعلو وتهدر وتأخذ بطريقها جميع من آمن وصدق محمداً وأتبع ما أنزل الله عليه والتزم بشريعته.

غابت شمس عاشوراء وأخذت معها صبغة دم الحسين عليه السلام التي ملأت أركان السماء وأرخت تلك الليلة الظلماء ذيولها على أهل بيت النبوة، أطفالاً مروعين ونساء مفجوعة قد افترشن البيداء والتحفن بالسماء وإلى جوارهن أشلاء مبضعة وأعضاء مقطعة وأجساد مزرجة بالدماء طحنتها سنابك الخيل بعد أن نهلت منها بيض الصفاح وسمر الرماح.

وعقائل الوحي تذرف الدمع على تلك الأرواح الزواكي بنسيج وندب متقطع مخنوق على فقدانهم تلك البدور النيرة والصفوة الأبية.

وحدها زينب عليها السلام من وعت واحتوت ما آل إليه سوء الوضع وحجم المسؤولية الكبيرة الذي ألقى على عاتقها، فإمام زمانها الذي آلت إليه الخلافة بعد أخيها الحسين عليه السلام هو فلذة كبده والبقية الطاهرة من رجالات آل المصطفى الإمام السجاد عليه السلام فعلى رغم مرضه وقلة حيلته فالمنون كانت تتربص به من كل جانب وجند إبليس لا تفتأ

تتحين الفرص كي تلحقه بقتلى كربلاء وكأن هذا الدم الطاهر الزكي الذي سفحوه على عرصات كربلاء لم يشف صدورهم ولم يشبع نهمهم ولم يرو ظمأهم من آل بيت الرسول ﷺ، فكانت أولى أوليات العقيلة زينب عليها السلام هو درء الخطر عن إمامها وصونه ورعايته إلى أن يشتد عضده ويبرأ من سقمه ويستطيع القيام بواجباته من غير سوء يصل إليه.

والسيدة زينب عليها السلام كانت تعلم مسبقاً أن الأحداث التي ستوالى على آل الرسول ﷺ ستكون عسيرة جداً عليهم والإشارات الواضحة التي مرت بحياتها لم تكذ تغيب عن ذاكرتها: وخاصة ذلك الحلم الذي رآته وحدثت به جدها رسول الله فأخبرها بأنه سيأتي عليها يومٌ ستكون فيه وحيدة من غير ناصر أو معين وأن الخطوب ستوالى عليها من كل جانب، حيث ذكرت كتب التاريخ أن السيدة زينب عليها السلام رأت رؤيا مخيفة وهي في عمر الطفولة فحدثت بها جدها رسول الله ﷺ فقالت:

يا جداه رأيت - البارحة - أن ريحاً عاصفة قد انبعثت فاسودت الدنيا وما فيها، وأظلمت السماء، وحركتني الرياح من جانب إلى جانب، فرأيت شجرة عظيمة فتمسكت بها لكي أسلم من شدة الريح العاصفة، وإذا بالريح قد قلعت الشجرة من مكانها وألقتها على الأرض

ثم تمسكت بغصن قوي من أغصان تلك الشجرة فكسرتة الرياح، فتعلقت بغصن آخر فكسرتة الرياح العاصفة، فتمسكت بغصن آخر وغصن رابع ثم استيقظت من نومي!

وحينما سمع النبي ﷺ منها هذه الرؤيا بكى وقال ﷺ:

أما الشجرة فهي جدك، وأما الغصنان الكبيران فهما أمك وأبوك، وأما الغصنان الأخران فأخواك الحسنان، تسود الدنيا لفقدهم، وتلبسين

لباس المصيبة والحداد في رزيتهم^(١).

إن هذا الحديث عن رسول الله ﷺ والذي سمعته العقيلة زينب عليها السلام من فم رسول الله ﷺ ما زال يتحقق أمام عينيها يوماً بعد يوم إلى أن جاء يوم عاشوراء وفقدت فيه البقية الباقية من هؤلاء الخمسة الطاهرين المطهرين، لتتلفت من حولها فلا ترى سوى الأرامل من النساء واليتامى من الأطفال وابن أخيها الإمام زين العابدين مدد أمامها ما بين الحياة والموت.

إذن كان لابد لزينب عليها السلام أن تتحمل وتتصبر وتتجمل وتتفوق على الجراح وتملاً هذا الفراغ الكبير الذي هو حمل آل البيت دون غيرهم. من هنا برز دور، العقيلة زينب عليها السلام المصيري والهام، فلا بد من وجود شخصية عالمة كبيرة كتلك الشخصية التي كانت تتحلى بها العقيلة زينب عليها السلام من أجل إتمام الرسالة وعدم ضياع الأمة وهذا يقودنا للحديث الذي جاء على لسان الصدوق في كمال الدين ج ٢ ص ٥٨ والطوسي في الغيبة ص ٢٠٣ بالإسناد إلى أحمد بن إبراهيم الذي قال في حديث طويل اختزلنا منه هذه الفائدة^(٢):

دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن العسكري عليها السلام في سنة اثنتين وثمانين بالمدينة فكلمتها من وراء حجاب وسألتها وأجابت عن أمور إلى أن قالت: إن الحسين بن علي عليها السلام أوصى إلى أخته زينب بنت علي عليها السلام في الظاهر وكان ما يخرج من علي بن الحسين عليها السلام تستراً على علي بن الحسين عليها السلام..... إلى آخر الحديث

(١) حياة السيدة زينب للنقدي ص ٢٣-٢٤.

(٢) مرقد العقيلة زينب للسابقي ص ٢٣.

فالهدف العظيم والسامي أصبح الآن نصب عيني العقيلة زينب والمهمة الصعبة شبه المستحيلة يجب عليها تذليلها واستيعابها والمضي فيها مهما كانت الظروف ومهما كانت أحجام تلك الصعاب التي ستعرض لها.

فالحمل الثقيل قد ألقى على عاتق هذه الإنسانية الفاضلة.

ودورها المهيأ والمرسوم لها منذ فجر ولادتها لتكون الحلقة الأهم في ربط السلف بالخلف قد ابتداء في هذا اليوم، وقلبها المشخن بالجراح والمثقل بالهموم والأحزان وهول المصيبة التي نزلت بهذا البيت الكريم على الرغم من فداحة خطبه وجسامة خسارته، عليها تجاوزه ولا تدعه يقف عائقاً في طريقها بل عليها الاهتمام فقط بما هو آت من أمور عظام ومهام جسام.

فدين الإسلام الذي أتى به جدها المصطفى ﷺ للبشرية جمعاء في خطر محقق، والسلطة الحاكمة تلعب به وكأنه إرث توارثوه عن أسلافهم كانوا قد فقدوه فترة من الزمن وعاد إليهم اليوم، فويل ثم ويل لمن تسول له نفسه ويأتي على ذكر هذا الموضوع بعيداً عن هذا المنطق فلقد عادت لبني أمية أمجادهم الغابرة ليصبح طلقاء الإسلام بالأمس أسياد الناس اليوم وأرباب معاشهم وكلمة الله على الأرض يأمرون فيطاعون ولا راد لأمرهم ومن يعترض فلا جزاء له سوف القتل.

لذلك تجدهم قد استباحوا حرم المسلمين وسفحوا تلك الدماء الطاهرة على صفحات التاريخ وجعلوا من جثث القتلى وهامات الرجال وأشلائهم جسراً ومطية ليصلوا إلى ما هم عليه اليوم وحققوا من خلال هذا العبث الظاهر بدين الإسلام غاياتهم الدنيئة الدنيوية الرخيصة.

وكان آخرها ربحانة رسول الله ﷺ وأهله وصحبه الأطهار

فلم تشفع لهم تلك النصوص الثقيلة من الله ورسوله ﷺ ولا تلك القرابة من نبي الرحمة ﷺ ولا بكونه سيد شباب أهل الجنة فسفحوا دمه الزكي الطاهر واستباحوا حرمة رسول الله ﷺ في كربلاء. ولم يكتفوا بذلك وحسب ولكن إمعاناً منهم في الجرم والتنكر لرسول الله ﷺ وخروجاً عن ملته والشريعة السمحة التي أنزلها الله تعالى لتكون نبزاً وإماماً للناس كافة إلى أن يرث أرضه ومن عليها حزوا رؤوس الشهداء ورفعوها على رؤوس الرماح وطاقوا بها على البلاد.

وا لهف قلبي يا ابن بنت محمد
لك والعدى بك أدركوا ما شاؤوا
وعلى رؤوس السمر منكم أرؤوس
شمس الضحى لوجوها حرباء
وعلى السنان برأسه فالصعدة
السمراء فيها الطلعة الغراء
تبكي السماء دمأله أفلا
بكت ماء لغلة قلبه الأنواء

وجمعوا النساء والأطفال وحملوهم على أحشن مركب وأتوا بزين العابدين عليه السلام وغلوه بالأصفاد من رأسه إلى قدميه وكأنه أسير من أسارى غزو الروم أو الفرس أو الترك أو أدنى من ذلك بكثير وكان له عليه السلام من العمر ثلاث وعشرون سنة وحملوه على بعير ظالع بغير وطاء وقد أنهكته العلة (روحي فداء) وسار المركب فيهم كما يساق السبي وهم ودائع رسول الله ﷺ فيهم.

في لحظة الوداع هذه لم تتمالك العقيلة زينب عليه السلام نفسها فصاحت روعي لها الفدى:

يا محمداه!! هذا حسين بالعرء

مرملاً بالدماء، مقطّع الأعضاء

وبناتك سبايا وذريتك مقتلة

ثم بسطت يديها تحت بدنه المقدس ورفعته نحو السماء وقالت:

إلهي تقبل منا هذا القربان

ورحم الله العلامة الميرزا محمد علي الأوردبادي عندما وصف حال

زينب عليها السلام عند مقتل الإمام الحسين عليه السلام عندما قال:

وتشاطرت هي والحسين بدعوة

حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه

في حيث معترك المكاره في السبا

وبعد أن نفست عليها السلام عن كربتها، تجلّدت وتصبرت والتفتت إلى

إمام زمانها الإمام زين العابدين وسيد الساجدين وقالت له:

ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وأخوتي، فوالله إن هذا

العهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم...

فيجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرجة فيوارونها

وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره ولا

يمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع

الضلال في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا علواً.^(١)

وركبت العقيلة زينب ناقتها بعد أن تفقدت النساء والأطفال وتوجه

الركب فيهم إلى الكوفة

(١) مقتل للمقرم ص ٣٠٨.

ودخلت زينب عليها السلام إلى قصر بن زياد

يقول الراوي: فكثرت اللغظ والضوضاء من كثرة الناس الذين تحلقوا حول سبايا آل البيت عليهم السلام فأومأت العقيلة زينب عليها السلام إلى الناس فسكتت الأنفاس وهدأت الأصوات وتسمرت في أماكنها الناس حتى كأن على رؤوسهم الطير.

عندها اندفعت أم المصائب عليها السلام بكل طمأنينة وثبات نفس وشجاعة أبيها علي عليه السلام وخطبت فيهم بصوت جهوري فصيح:
الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار.

أما بعد:

يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون الدمعة فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنه، إنما مثلكم كمثل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾، ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف «القذف بالفجور»، والعجب والكذب والشنف^(١) وملق الإمام وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنه، «ظاهره جيد وباطنه سام» أو كقصه على ملحودة^(٢)، ألا بئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون، أي والله فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً، وأنى ترحضون، قتل سليل خاتم النبوة، ومعدن الرسالة، ومدرة حججتكم، ومنار محججتكم، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، وسيد شباب أهل الجنة، ألا ساء ما تزرون.

(١) ((المبغض بغير حق))

(٢) ((القبور المجصّنة بالجص فهي من الخارج جص أبيض وداخله جيفة تتنت))

فتعسأ!! تعسأ!! وبعداً لكم وسحقاً، فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله ورسوله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة.

ويلكم يا أهل الكوفة!! أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم؟؟

وأي كريهة له أبرزتم؟؟

وأي دم له سفكتم؟؟

وأي حرمة له انتهكتم؟؟

لقد جئتم شيئاً إداً، تكاد السموات يتفهطن منه، وتنشق الأرض،

وتخر الجبال هداً!!

ولقد أتيتم بها خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض، وملء السماء

أفعبجبتم ان أمطرت السماء دماً، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون،

فلا يستخفنكم المهل، فإنه لا يحفضه البدار، ولا يخاف فوت الثار، وان

ربكم لبالمرصاد^(١).

ولما انتهت من خطبتها عليها السلام انبرى لها الإمام السجاد عليه السلام وقال

فيها كلمته المشهورة: أنت يا عمة بحمد الله «عالمة غير معلمة فهمة غير

مفهمة».

ولقد أجلنا التعليق على هذه الكلمة وكذلك شهادة الإمام

السجاد عليه السلام - بعلم وفهم عمته زينب - إلى مكان لاحق لتكون الفائدة

منه أعم وأشمل.

وكذلك انبرت فاطمة ابنة الإمام الحسين عليه السلام ونفست عن مكنون

صدرها بخطبة عظيمة نذكر منها:

(١) المقتل للمقرم ص ٣١٢.

الحمد لله عدد الرمل والحصى، ووزنة العرش إلى الثرى، أحمد
وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن
محمدًا عبده ورسوله، وأن أولاده ذبحوا بشط الفرات، من غير ذحل ولا
ترات...

أما بعد:

يا أهل الكوفة، يا أهل المكر والغدر والخيلاء، فإننا أهل بيت ابتلانا
الله بكم وابتلاككم بنا...

فكذبتموننا وكفرتموننا، ورأيتم قتالنا حلالا، وأموالنا نهبا، كأننا أولاد
ترك أو كابل، كما قتلتم جدنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل
البيت لحقد متقدم.

قرت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم...

تبأ لكم فانظروا اللعنة والعذاب...

ويلكم!! أتدرون أية يد طاعتنا منكم، وأية نفس نزعنا إلى قتالنا،
أم بأي رجلٍ مشيتم إلينا، تبغون محاربتنا...

تبأ لكم يا أهل الكوفة، أي تراث لرسول الله قبلكم، وذحول له
لديكم... حسدتمونا ويلاً لكم على ما فضلنا الله تعالى، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾

ثم وقفت أم كلثوم أخت الإمام الشهيد عليها السلام وقالت:

صه يا أهل الكوفة!! تقتلنا رجالكم، وتبكيانا نساؤكم، فالحاكم بيننا
وبينكم الله يوم فصل الخطاب.

يا أهل الكوفة سوءة لكم، ما لكم خذلتم حسيناً وقتلتموه وانتهبتم
أمواله وسببتم نساءه وبكيتموه، فتبأ لكم وسحقاً!! ويلكم أتدرون أي

دواه دهمتكم، وأي وزر على ظهوركم حملتم، وأي دماء سفكتكم، وأي
كريمة أصبتموها، وأي صببة أسلمتموها وأي أموال انتهبتموها.
قتلتكم خير الرجالات بعد النبي، ونزعت الرحمة من قلوبكم، ألا إن
حزب الله هم المفلحون، وحزب الشيطان هم الخاسرون.

خطبة الإمام السجاد عليه السلام

وجيء بالإمام علي بن الحسين عليه السلام وهو مغلول وأوداجه تشخب
دماً وقد أنهكته العلة وتعب الطريق الطويل وهو يقول:

يا أمة السوء لا سقيا لربكم
يا أمة لم تراع جدنا فينا
لو أننا ورسول الله يجمعنا
يوم القيامة ما كتم تقولونا؟
تسيرونا على الأقتاب عارية
كأننا لم نشيّد فيكم دينا

ثم قال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا من انتهكت حرمة، وسلبت نعمته،
وانتهب ماله، وسبي عياله.

أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات

أنا ابن من قتل صبيرا وكفى بذلك فخرا!!

أيها الناس ناشدتكم الله هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه.
وأعطيتموه من أنفسكم العهود والميثاق والبيعة، وقاتلتموه.

فتباً لكم لما قدّمتم لأنفسكم، وسوءة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله إذ يقول لكم:

قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فليست من أمتي
فارتفعت الأصوات بالبكاء وقالوا: هلكتم وما تعلمون
ثم أردف قائلاً عليه السلام:

رحم الله امرأً قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله
وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة.
فقالوا بأجمعهم.

نحن يا ابن رسول الله سامعون مطيعون حافظون لدمامك، غير
زاهدين بك، ولا راغبين بذلك، فمرنا بأمرك يرحمك الله فإننا حرب
لحربكم وسلم لسلمكم، نبراً ممن ظلمك وظلمنا.
فقال عليه السلام:

هيهات! هيهات! أيها الغدرة المكرة!

حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم
أبي من قبل، كلا ورب الراقصات، فإن الجرح لم يندمل، قتل أبي
بالأمس وأهل بيته ولم ينس ثكل رسول الله وثكل أبي وبني أبي، إن
وجده والله بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصته تجري في
فراش صدري

وسكت عليه السلام عن الكلام المباح ولسان حاله يقول: (١)

فكأنني يوم الحساب بأحمدٍ
بالرسل يقدم حاسراً عن معصم

(١) من قصيدة للحاج رضا الأزدي مقتل الحسين للمقرم ص ٣١٨.

ويقول ويلكم هتكتم حرمتي
وتركتم الأسياف تنطف من دمي
تدرون أي دم أرقتم في الثرى
أم أي خودٍ سقتم في المغنم
هذا جزائي منكم فلقرب ما
ضَيَّعْتُمْ عهدي بينتي وابنم

في قصر الإمارة بالكوفة

وضع ابن زياد بن أبيه الزاني وأمه الزانية الرأس الشريف أمامه وجعل
ينكت بالقضيب ثناياه.

فلم تتمالك العقيلة زينب عليها السلام نفسها وخاصة عندما وجه ابن
زياد كلامه إليها وقال شامتاً: الحمد لله الذي فضحككم وقتلكم وأكذب
احدوثتكم.

فقالت عليها السلام: الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس
تطهيراً إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا

قال ابن زياد: كيف رأيت فعل الله بأهل بيتك؟

قالت عليها السلام: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل
فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر
لمن الفلج يومئذ؟ ثكلتك أمك يا بن مرجانه

فغضب ابن مرجانه، واستشاط من كلامها ثم قال:

لقد شفى الله قلبي من طاغيتك والعصاة المردة من اهل بيتك فرقت

العقيلة زينب عليها السلام وقالت:

لعمري لقد قتلت كهلي وأبرزت أهلي وقطعت فرعي واجتثت
أصلي فإن يشفك ذلك هذا فقد اشتفيت.

والتفت الملعون ابن زياد إلى الإمام علي بن الحسين عليه السلام وقال له:
ما اسمك؟

فقال الإمام علي عليه السلام: أنا علي بن الحسين

فقال له: أو لم يقتل الله علياً

فقال الإمام عليه السلام: كان لي أخ أكبر مني يسمى علياً قتله الناس
فرد عليه الطاغية بأن الله قتله.

فقال الإمام عليه السلام: الله يتوفى الأنفس حين موتها وما كان لنفسٍ أن
تموت إلا بإذن الله.

فكبر على ابن زياد أن يرد عليه الإمام عليه السلام فأمر أن تضرب عنقه

هنا اتبرت العقيلة زينب عليها السلام وعانقت ابن أخيها وقالت:

حسبك يا ابن زياد من دمائنا ما سفكت، وهل أبقيت أحداً غير هذا
فإن أردت قتله فاقتلني معه.

فقال الإمام السجاد عليه السلام: أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا من

الله الشهادة

فنظر ابن زياد إليهما وقال: دعوه لهما!! عجباً للرحم ودت أنها تقتل

معه

ثم أمر ابن مرجانة إرسال الجميع إلى السجن

تسيير السبايا إلى الشام

وبعث ابن زياد إلى يزيد يخبره بقتل الحسين عليه السلام ومن معه وأن عياله في سجن الكوفة.

فعاد الجواب بحملهم والرؤوس معهم

فحملت الرؤوس وسرح على أثرهم الإمام زين العابدين عليه السلام والأغلال في عنقه ويديه، وعياله معه وعلى أحشن مركب وأسوأ حال وسار المركب من الكوفة بمحاذاة نهر الفرات إلى أن وصلوا إلى مشارف حلب فابتعدوا عن الفرات ودخلوا حلب ثم حماة فحمص فبعلبك ومنها مباشرة إلى دمشق

وعلى مشارف أسوار دمشق أخرجوا الرؤوس ورفعوها على رؤوس الرماح وجعلوها في وسط المحامل وهم في حاله من البؤس تقشعر منها الأبدان، فرق قلب بعض الناس عندما علموا أن هذه السبايا إنما هي البقية الباقية من آل الرسول ﷺ فدنا سهل بن سعد الساعدي منهم وقال لسكينة ابنة الحسين عليها السلام:

ألك حاجة؟

ف قالت له: ادفع بحاملي الرؤوس إلى المقدمة حتى يشتغل الناس بالنظر اليهم ولا ينظرون إلى حرم رسول الله

فقال سهل: فدنوت من صاحب رأس الحسين عليه السلام ووعده
بأربعمائة دينار إذا تقدم بالرأس ففعل.

ودنا شيخ من الإمام السجاد عليه السلام وقال له: الحمد لله الذي أهلككم
وأمكن الأمير منكم!

فقال له الإمام عليه السلام: يا شيخ أقرأت القرآن؟

قال: بلى

قال الإمام عليه السلام: أقرأت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾

وقرأت قوله تعالى ﴿وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾

وقوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي

الْقُرْبَىٰ﴾

قال الشيخ: نعم قرأت ذلك.

قال الإمام: أقرأت قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

قال الشيخ: بلى

فقال عليه السلام: نحن أهل البيت الذين خصهم الله بالتطهير.

قال الشيخ: بالله عليك أنتم هم

فقال عليه السلام: وحق جدنا رسول الله لنحن هم

فوقع الشيخ على قدميه يقبلهما وهو يقول: أبرأ إلى الله ممن قتلكم

كان دخول السبايا إلى دمشق في غرة رجب من باب الساعات

وأوقفوهم على درج الجامع حيث يقام السبي وأدخلوا الرأس

المقدس على يزيد فوضعه بين يديه

وأوثقوا الجميع بالحبال وأدخلوهم على الطاغية يزيد
وعندما دخل الإمام عليه السلام بادر يزيد بالقول:
ما ظنك برسول الله ﷺ لو يراني على هذه الحال، مما أخرج يزيد
أمام الحاضرين معه في مجلسه فأمر بفك الغلال عنه
ثم أمر يزيد الخطيب أن يصعد المنبر ويشي على معاوية وينال من
الحسين وآله فأكثر الخطيب من النيل من آل البيت عليهم السلام وأكثر الوقعة
في علي والحسين عليهما السلام فصاح الإمام السجاد عليه السلام بالخطيب.
لقد اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوا مقعدك من النار
وطلب الإمام عليه السلام الإذن ليرقى هذه الأعواد فقال له:
أتأذن لي أن أرقى هذه الأعواد فأتكلم بكلام فيه لله تعالى رضا
ولهؤلاء أجر وثواب فأبى يزيد فألح الناس عليه، فقال يزيد: ان هؤلاء
ورثوا العلم والفصاحة وزقوا العلم زقاً، وما زالوا به متى أذن له
فقال الإمام السجاد عليه السلام:
الحمد لله الذي لا بداية له، والدائم الذي لا نفاذ له، والأول الذي لا
أولية له، والآخر الذي لا آخريه له، والباقي بعد فناء الخلق، قدر الليالي
والأيام وقسم فيما بينهم الأقسام، فتبارك الله الملك العلام، إلى أن قال:
أيها الناس: أعطينا ستاً وفضلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم
والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين وفضلنا بأن
منا النبي والصديق والطيّار وأسد الله وأسد رسوله وسبطا هذه الأمة.
أيها الناس: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي
ونسبي
أيها الناس: أنا ابن مكة ومنى

أنا ابن زمزم والصففا

أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردى

أنا ابن خير من ائتزر وارتدى وخير من طاف وسعى وحج ولبي

أنا ابن من حُمل على البراق وبلغ به جبرائيل سدرة المنتهى، فكان

من ربه كقاب قوسين، أو أدنى

أنا ابن من صلى بملائكة السماء

أنا ابن من أوصى إليه الجليل ما أوصى

أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ببدر وحنين ولم يكفر بالله

طرفة عين

أنا ابن صالح المؤمنين ووارث النبيين ويعسوب المسلمين ونور

المجاهدين وقاتل القاسطين والمارقين ومفرق الأحزاب، أربطهم جأشا

وأمضاهم عزيمة ذاك أبو السبطين الحسن والحسين علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء وابن خديجة الكبرى

أنا ابن المرمل بالدماء

أنا ابن ذبيح كربلاء

أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء

وناحت الطير في الهواء

ما زال عليه السلام يقول: أنا وأنا حتى ضج الناس بالبكاء وخشي يزيد من

الفتنة فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة فقال المؤذن:

الله أكبر

قال الإمام: الله أكبر وأجل وأعلى وأكرم مما أخاف وأحذر

فلما وصل المؤذن إلى: أشهد أن محمداً رسول الله

التفت الإمام عليه السلام إلى يزيد وقال:

هذا الرسول العزيز الكريم جدي أم جدك؟

فإن قلت جدك علم الحاضرون والناس كلهم إنك كاذب، وإن قلت

جدي فلم قتلت أبي ظلماً؟

وانتهبت ماله وسبيت نساءه، فويل لك يوم القيامة، إذا كان جدي

خصمك!!

خطبة العقيلة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد

عن الشيخ الطبرسي والاحتجاج ، قال ابن نما وابن طاووس وغيرهم^(١)
أنه لما جاؤوا برأس الإمام الحسين عليه السلام ووضعوه بين يدي يزيد في
طشت ، فجعل يضرب ثناياه الشريفة بمخصرة كانت بيده وهو يقول يوم
بيوم بدر ويتمثل قول الحصين بن الحمام

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت

قواضب في ايماننا تقطر دما

نفلق هاماً من رجال أعزة

علينا وهم كانوا أعق وأظلما

ثم انتفخت أوداجه وانبرى يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الاسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لقد قتلنا القرم من ساداتهم

وعدلناه ببدر فاعتدل

(١) من كتاب زينب الكبرى للقزويني ص ٢٩ وما بعدها .

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف^(١) إن لم أنتقم

من بني أحمد ما كان فعل

عندها لم تتمالك العقيلة زينب عليها السلام نفسها وشرعت تخطب في

الناس فقالت:

الحمد لله رب العالمين والصلاة على جدي سيد المرسلين

صدق الله سبحانه حيث يقول:

﴿ ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ اسْتَوُوا السُّوَاءِ أَنْ كَذَّبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا

يَسْتَهْزِئُونَ ﴾^(٢)

أظننت - يا يزيد - حين أخذت علينا الأقطار، وضيقت علينا آفاق

السماء فأصبحنا لك أسارى، نساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا

ذو اقتدار، أن بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامةً وامتناناً، وأن ذلك

لعظم خطرك وجلالة قدرك، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك،

تقرب أصدريك فرحاً، وتنفض مزرويك مرحاً، حين رأيت الدنيا لك

مستوسقة، والأمور لديك متسقة، وحين صفا لك ملكنا، وخلص لك

سلطاننا، فمهلاً... مهلاً... لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله عز وجل:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّامًا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا

إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾^(٣)

أمن العدل - يا بن الطلقاء - تخديرك حرائرك وإمائتك، وسوقك

(١) خندف: إمره في الجاهلية من جدات يزيد

(٢) سورة الروم ١٠

(٣) سورة آل عمران ١٧٨

بنات رسول الله سبايا، قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد، ويستشرفهن المناهل والمعازل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والشريف والوضيع، والدنيء والرفيع، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي، عتواً منك على الله، وجحوداً لرسول الله، ودفعاً لما جاء به من عند الله.

ولا غرو منك ولا عجب من فعلك، وأتى ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الشهداء، ونبت لحمه من دماء السعداء، ونصب الحرب لسيد الأنبياء، وجمع الأحزاب، وشهر الحراب، وهز السيوف في وجه رسول الله، أشدُّ العرب لله جحوداً، وأنكرهم له رسولا، وأظهرهم له عدواناً، وأعتاهم على الرب كفراً وطغياناً.

ألا إنها نتيجة خلال الكفر، وضَبُّ يجرجر في الصدر لقتلى يوم بدر فلا يستبطئ في بغضنا - أهل البيت - من نظر إلينا بالشنف والشنآن والأحن والأضغان، يُظهر كفره برسول الله، ويُفصح ذلك بلسانه وهو يقول فرحاً بقتل وسبي ذريته، غير متحوب، ولا مستعظم، يهيف بأشياخه:

لأهلواواستهلوا فرحاً

ولقالوا: يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبد الله - وكانت مُقبَّل رسول الله ﷺ -

ينكتها بمخصرته، قد التمع السرور بوجهه

لعمري لقد نكأت القُرحة، واستأصلت الشأفه، بإراقتك دم سيد شباب أهل الجنة، وابن يعسوب الدين وشمس آل عبد المطلب.

وهتفت بأشياحك، وتقربت بدمه إلى الكفره من أسلافك، ثم صرخت بندائك، ولعمري لقد ناديتهم لو شهدوك، ووشيكاً تشهدهم

ولن يشهدوك، ولتود يمينك - كما زعمت - شلت بك عن مرفقها
وجذت، وأحببت أمك لم تحملك، وإياك لم تلد، حين تصير إلى
سخط الله، ومخاصمك رسول الله

اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمتنا، واحلل غضبك على من سفك
دمائنا، ونقض ذمارنا، وقتل حماتنا، وهتك عنا سدولنا.

وفعلت فعلتك التي فعلت، وما فريت إلا جلدك، وما جزرت إلا
لحمك، وسترد على رسول الله بما تحملت من دم ذريته، وانتهكت من
حرمته، وسفكت من دماء عترته ولحمته، حيث يجمع به شملهم، ويلم
به شعثهم، وينتقم من ظالمهم، ويأخذ لهم بحقهم من أعدائهم، فلا
يستفزك الفرح بقتلهم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ
يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾

وحسبك بالله وليا وحاكما، وبرسول الله خصما وبجيرئيل ظهيرا
وسيعلم من بواك ومكنك من رقاب المسلمين أن ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾
- وأيكم شرّ مكاناً وأضل سبيلاً

وما استصغاري قدرك، ولا استعظامي تقريعتك توهماً لانتجاع
الخطاب فيك، بعد أن تركت عيون المسلمين - به - عبرى، وصدورهم
- عند ذكره - حرى

فتلك قلوب قاسية، ونفوس طاغية وأجسام محشوة بسخط الله،
ولعنة الرسول، قد عشش فيها الشيطان وفرخ، ومن هناك مثلك ما درج،
فالعجب كل العجب لقتل الأتقياء، وأسباط الأنبياء، وسليل الأوصياء
بأيدي الطلقاء الخبيثة، ونسل العهرة الفجرة!!!

تنطف أكفهم من دمائنا، وتتحلب أفواههم من لحومنا.
تلك الجثث الزاكية على الجيوب الضاحيه، تنتابها العواسل،
وتعفرها أمهات الفواعل.
فلئن اتخذتنا مغنماً، لتجد بنا - وشيكاً - مغرماً، حين لا تجد إلا ما
قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد.
فإلى الله المشتكى والمعول، وإليه الملجأ والمؤمل.
ثم كد كيدك، واجهد جهدك
فوالله الذي شرفنا بالوحي والكتاب، والنبوة والانتخاب، لا تدرك
أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا يرحض عنك عارها.
وهل رأيك إلا فند؟
وأيامك إلا عدد؟
وجمعك إلا بدد؟
يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين.
والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة،
ببلوغ الإرادة، ونقلهم إلى الرحمة والرأفة، والرضوان والمغفرة.
ولم يشق - بهم - غيرك، ولا ابتلى - بهم - سواك
ونسأله أن يكمل لهم الأجر، ويجزل لهم الثواب والذخر، ونسأله
حسن الخلافة، وجميل الإنابة، إنه رحيم ودود.
وما أن انتهت السيدة زينب عليها السلام من خطبتها حتى علا الصراخ
والهرج في مجلس يزيد فلقد ظهر الحق وزهق الباطل وسقطت تلك
الحجج الواهية التي كان يتستر خلفها يزيد وأبطلت مزاعمه وأحدثت
هزة عنيفة لحكمه الباطل والفساد.

فلم ير يزيد مناصاً إلا أن يخرج الإمام السجاد عليه السلام وحرمه وعباله إلى خارج المجلس وإرسالهم إلى مكان إقامتهم خارج القصر حيث خربة الشام وهو مكان مقفر خرب لا يقيهم من حر ولا برد فأقاموا فيه على رغم بؤسهم وتعيبهم مما زاد من مصيبتهم فكانوا طوال مدة إقامتهم في ذلك المكان البائس ينوحون ويبكون على الحسين وآله.

إقامة ماتم الحسين عليه السلام في قصر يزيد

كانت زوجة يزيد الأقرب إليه هي هند بنت عبد الله بن عامر ولما قتل أبوها أدخلها أمير المؤمنين عليه السلام إلى داره إلى أن استشهد الإمام عليه السلام فانتقلت إلى دار الإمام الحسن المجتبي عليه السلام وكانت تكن في قلبها للإمام ولأهل بيته محبة واحتراماً كبيرين.

ومن دار الإمام المجتبي زفت إلى يزيد في عهد معاوية وانقطعت أخبار آل البيت عليهم السلام عنها نهائياً.

ولما قتل الإمام الحسين عليه السلام وأتوا بالسبايا إلى الشام ذهبت هند لكي تشاهدهم وكانوا قد سكنوا في الخربة.

فدخلت عليهم وجلست قريباً من السيدة زينب عليها السلام فقالت لها هند:

أخيه من أي البلاد أنتم؟؟

فقالت لها السيدة زينب عليها السلام من بلاد المدينة!!

نزلت هند عن كرسيها الذي كانت تجلس عليه احتراماً وإجلالاً ثم قالت:

أريد أن أسألك عن دار علي بن أبي طالب؟

قالت لها السيدة زينب عليها السلام: وعن أيما تسألين.

قالت: أسألك عن بقية أولاد علي (الحسين وسيدتي زينب وأم كلثوم وعن بقية مخدرات فاطمة الزهراء عليها السلام)

فبكت زينب عليها السلام بكاءً شديداً وقالت:

وأما إن سألت عن الحسين فهذا رأسه بين يدي يزيد.

وأما إن سألت عن العباس وعن بقية أولاد علي عليه السلام فقد خلفناهم

على الأرض (كربلاء) مجزرين كالأضاحي بلا رؤوس

وإن سألت عن زين العابدين فها هو عليل نحيل، لا يطيق النهوض

من كثرة المرض والأسقام.

وإن سألت عن زينب فأنا زينب بنت علي وهذه أم كلثوم وهؤلاء

بقية مخدرات فاطمة الزهراء عليها السلام

عندها غشي على هند من عظيم وقع الخبر فلما أفاقت قامت

وحسرت عن رأسها وخرجت حافية إلى يزيد وهو في مجلس عام فلما

رأها يزيد غطاها فقالت له: ويلك يا يزيد!! أخذتك الحمية عليّ وبنات

فاطمة الزهراء عليها السلام قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن وأنزلتهن في

دار خربة!!! والله لا أدخل حرمك حتى أدخلهن معي

فأمر يزيد بالسبايا وأنزلهن في داره، فلما دخلن الدار استقبلتهن

النساء وتهافتن يقبلن أياديهن وأرجلهن نائحات باكيات ونزعن ما

عليهن من زينة وأقمن المأتم على الحسين والشهداء بدار يزيد وعم

الحزن أنحاء الشام ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلا ولبست السواد على

الحسين عليه السلام فخاف يزيد أن تعم النقمة عليه حتى أن بعض الناس هموا

أن يهجموا على داره ويقتلوه

فأمر بتجهيز رحالهم وإرجاعهم إلى المدينة

وجاء في كتاب الفصول المهمة لابن صباغ المالكي

ثم إن يزيد أمر النعمان بن البشير أن يجهزهم بما يصلح لهم إلى المدينة الشريفة.

فكان يسايرهم ويمثل لأوامرهم فكان هو وأصحابه حولهم وكأنهم الحرس فطلبت زينب عليها السلام من القوم أن يعرجوا بهم إلى كربلاء. فرأوا الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري قد جاء إلى كربلاء وجماعة من بني هاشم والكثير من سواد الناس من أهل البلاد والقرى والأرياف

فصار هناك اجتماع كبير عند قبر ريحانة رسول الله ﷺ

فأقاموا العزاء على قبر الحسين عليه السلام مع وصول قافلة آل البيت عليهم السلام إلى مكان مصرع الإمام الحسين عليه السلام وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد وبقوا على هذه الحال لأيام وفي بعض الأخبار أن قافلة آل الرسول مكثت في كربلاء مدة ثلاثة أيام مشغولة بالعزاء إلى أن غادرت نحو المدينة المنورة.

العودة إلى مدينة الوحي والتنزيل

وبعد أن جدد آل بيت الرسول الأحزان، يوم عرجوا على كربلاء في طريق عودتهم إلى مدينة جدهم وأقاموا فيها العزاء وانضم إليهم جمهور غفير من كافة الاسقاع والبلدان.

تحرك موكب الأحزان باتجاه يثرب حيث لم يعد من مبرر المكوث في العراق أكثر من ذلك.

وكان الإمام السجاد عليه السلام ملماً بجميع الأمور التي كانت تجري من حوله وعالماً لما ستؤول إليه الأمور، لذا كان لا بد له من التحرك والوصول إلى مدينة جده لإذاعه فداحة هذا الخطب على الملاء وكشف اللثام عن هؤلاء الطغاة قتلة أحفاد الأنبياء والمستهترين بدين الله.

إلى أن وصل الركب الشريف إلى مشارف يثرب فأرسل الإمام السجاد عليه السلام بشير بن حذلم - وكان شاعراً - إلى المدينة ليعلمهم بوصول ركب الإمام عليه السلام.

فدخل بشير إلى المدينة ونادى بأعلى صوته:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قتل الحسين فأدمعي مدار
الجسم منه بكربلاء مخرج
والرأس منه على القناة يدار

هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم وأنا
رسوله إليكم... فخرج الناس يهرعون ولم تبق مخدرة إلا وبرزت وهي
تدعو بالويل والثبور.

وضجت المدينة بالبكاء والعيويل والحقد على القتلة.

وتحلقوا حول الإمام زين العابدين عليه السلام يعزونه ويتباركون به
فجلس عليه السلام وهو لا يتمالك العبرة وابتدرهم بالقول:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارئ
الخلائق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السموات العلا، وقرب فشهد
النجوى، نحمده على عظام الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع،
ومضاضة اللواذع وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاطمة الكاظمة
الجائحة.

أيها القوم! إن الله تعالى وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمه في
الإسلام عظيمة. قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته، وسبيت نساؤه
وصبيته، وداروا برأسه في البلدان، من فوق عامل السنان، وهذه الرزية
التي لا مثلها رزية.

أيها الناس، فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله.

أم أي فؤاد لا يحزن من أجله.

أم أية عين تحبس دمعها، وتضن عن انهمالها، فلقد بكت السبع
الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسموات بأركانها، والأرض
بأرجائها والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار، والملائكة
المقربون وأهل السموات أجمعون

أيها الناس! أي قلب لا ينصدع لقتله

أم أي فؤاد لا يحزن إليه

أم أي سمع يسمع بهذه الثلثة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم
أيها الناس: أصبحنا مشردين مطرودين مذودين شاسعين عن
الأمصار، كأئنا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه
ارتكبناه، ولا ثلثة في الإسلام ثلمناه، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين،
إن هذا إلا اختلاق والله، لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا لما تقدم إليهم
في الوصية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا.

فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أعظمها وأفجعها وأكظها
وأفظها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب ما أصابنا، وما بلغ بنا، فإنه
عزيز ذو انتقام.

وجاء دور زينب عليها السلام فأنشأت تقول:

مدينة جدنا لا تقبلينا

فبالحسرات والاحزان جينا

خرجنا فيك بالأهلين طراً

رجعنا لا رجال ولا بنيانا

ثم تمسكت بعضد مسجد رسول الله ﷺ وهي تقول:

يا جداه إني ناعية إليك أخي الحسين وهي لا تكف عن النعي
والبكاء بلسان حزين فصيح تفضح فيه هؤلاء الكفرة الظلمة وتصف تلك
المجزرة الرهيبة وذلك الثلم والشرخ الكبير الذي أصاب الإسلام وأي ثلم
أو أي شرخ أكبر من قتل الحسين عليه السلام وذرية آل الرسول ﷺ فمثلوا
بها وطاقوا بالرؤوس والسبايا على الأمصار والبلدان بمراى ومسمع جميع
المسلمين.

وبوجود الإمام السجاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام في مدينة الوحي

والتنزيل وكذلك وجود أكثر من صاحب لرسول الله ﷺ عندما كان

يؤدي رسالته المؤتمن عليها من قبل الله ﷻ والبقية الباقية من أهل بدر والذين ما إن وصل الإمام السجاد إلى المدينة ومعه حرائر رسول الله ﷺ حتى لفتهم الأحزان من كل جانب ومقتوا تلك الأيادي القذرة التي نالت من الإمام الحسين ﷺ وخيرة شباب بني هاشم ومن ناصرهم من أبطال وصناديد الإسلام فكان وقع ذلك كبيراً عليهم.

فأصابهم الذهول والغم الشديدين وتكشفت لهم حقيقة بني أمية الزائفة بعدما سقط القناع عن وجوههم وأسفروا عن وجههم الحقيقي بفعلتهم النكراء هذه، فتجلت الحقيقة المؤلمة بأوضح صورها.

فما كان من أهل المدينة إلا أن تبرؤوا من يزيد وأفعاله الفاجرة ولما كان يزيد يعتبر نفسه الحاكم المطلق، والقابض بكلتا يديه على رقاب الناس ولا يوجد لديه أي مانع أو رادع يردعه على الإضرار بالناس أو حتى قتلهم أو تشريدهم أو حبسهم سوى ما يعتمل في نفسه من سوء متجاوزاً بذلك حدود الله التي جهد رسول الرحمة ﷺ حتى أرسى معالمها وأعلى بنيانها، بل على العكس تماماً فالقضية بالنسبة له ولآل سفيان هي عبارة عن لعب في الملك أما أنها قضية وحي نزل من السماء جاء عن طريق الله ﷻ لمحمد ﷺ وأمته إلى أن يرث أرضه وما عليها، فتلك تراها اختراعها محمد ليحطم بها مجد بني سفيان الزائف الذي سحقه. هو وأمثاله رسول الله ﷺ على أعتاب الإسلام، فكان لا بد من قطع تلك اليد التي أضرت بآل سفيان وأبعدتهم عن هذا المجد، ففعل ما فعل ولم يستطع أن يردعه أحد، لذلك تجد أهل مدينة الوحي والتنزيل كانوا من أشد المستائين من يزيد وأفعاله مما حدا بهم إلى التبرء من أعماله وخلعه وإخراجه واليه من المدينة الذي كان يومها مروان بن الحكم، فما كان من يزيد إلا أن جهز جيشاً جراراً ليؤدب به أهل المدينة

فكان ذلك القتل المريع على باب طيبة

وقعه الحرة

وقعة الحرة وما أدراك ما وقعة الحرة التي ذهب ضحيتها الآلاف المؤلفة من عباد الله الصالحين من المهاجرين والأنصار، لا لِحُجَّةٍ اقترفوها سوى لأنهم كانوا يكونون في قلوبهم الحب الصادق لآل البيت عليهم السلام ويصلون ما أمر الله ورسوله أن يوصل وينبذون ما دون ذلك نهائياً.

مما كان يزعج يزيد كثيراً ويؤرقه عن مضجعه إلى أن استباح دم الحسين في كربلاء، فهان عليه كل دم بعد ذلك، فما كان منه إلا أن استدعى أعور بني أمية (مسلم بن عقبة)

وقال له: ^(١)

سر إلى هذه المدينة وإن شئت أعفيك فإني أراك مدنفاً منهوكاً.

فقال له: أنشدك الله أن لا تحرمني أمراً ساقه الله إلي.

فقال يزيد: سر على بركة الله فأنت صاحبهم.

فخرج (كافر) بن عقبة يريد المدينة ومعه ثلاثون ألف مقاتل.

فأوصاه يزيد:

إن حدث بك حدث فأمر الجيوش إلى حصين بن نمير

وانهض إلى ابن الزبير (وكان في مكة) واتخذ المدينة طريقاً إليه فإن

صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثاً

فقال: نعم أقتل المدبر العاصي وأقبل من المقبل الطائع

فقال يزيد: فإن قدمت المدينة فمن عاداك عن دخولها أو نصب لك

(١) الإمامة والسياسة ج ١٣١ ص ١١٩ .

الحرب فالسيف السيف، أجهز على جريحهم وأقبل على مدبرهم، وإياك أن تبقي عليهم...

ثم امض إلى ابن الزبير (ويقصد إلى مكة المكرمة)

وتحركت الجيوش من دمشق، فلما وصلوا وادي القرى لقيهم مروان بن الحكم وبعض رجاله من بني أمية خارجين من المدينة مطرودين منها، فرجع معهم مروان وابنه عبد الملك وكان مروان قد اتفق سراً مع بني الحارثة (وكانوا يقطنون حياً من أحياء المدينة) على إن رجع بالجيش أن يسهلوا له العبور من خلالهم إلى داخل المدينة، (فكان له ذلك)

وكان أهل المدينة قد وسعوا الخندق الذي حفره رسول الله ﷺ يوم تحلقت الأحزاب حول مدينة رسول الله فلم يستطع إلا نفر قليل منهم عبوره وكان لهم الإمام علي عليه السلام بالمرصاد فقتل قائدهم وبعض من كان معه وتكفل الله وملائكته بالباقي بقوله الكريم:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ
وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(١)

فلما وصلت جيوش يزيد إلى أشراف المدينة ورأت هذا الخندق ذهب مروان إلى بني الحارثة ففتحوا له من خلالهم طريقاً للجيوش فاقتحمت الخيل ودخل الجيش بكل يسر وسهولة

((نقول: إننا نشكر الله كثيراً أن أحداً أمثال مروان بن الحكم لم يكن موجوداً مع جيوش الأحزاب يوم حاصروا مدينة رسول الله ﷺ))

وذكر ابن قتيبة الدينوري في الإمامة والسياسة:

أن عدد القتلى من أصحاب النبي ﷺ في يوم الحرة قد بلغ ثمانين

رجلاً

وقال: لم يبق بدري بعد ذلك!!

وقتل من قريش سبعمائة رجل

ومن سائر الناس عشرة آلاف رجل

وقال السيوطي في تاريخه

وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعه طيبة؟

ذكرها الحسن مرة فقال:

والله ما كان ينجو منها أحد قتل فيها خلق من الصحابة ونهبت

المدينة وافتض فيها ألف عذراء فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما انتهى أعور بني أمية من القتل والسلب بعث رسالة إلى يزيد

يقول فيها:

كان أكرم الله أمير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل

مشهده وشدة بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين (أهل المدينة) ولم

يقم على عدوهم من ساعات نهارهم إلا أربع ساعات فما صليت الظهر

إلا في مسجدهم، بعد القتل الذريع والانتهاك الفظيع، وأقعدنا بهم

السيوف وقتلنا من أشرف منهم وأتبعنا مدبرهم وأجهزنا على جريحهم

وانتهبناهم ثلاثاً كما امر أمير المؤمنين أعز الله نصره

وارتحل بن عقبه عن مدينة مهدمة ومروع أهلها وميتم أطفالها

ومهتك نساؤها فلم يمهل الله تعالى سوى فراسخ عن المدينة فلما أحس

بالموت دعا الحصين بن نمير وقال له:

يا بردعة الحمار!!! إنه كان من عهد الأمير إن حدث لي حدث

الموت أن أعهد إليك، فاسمع فيني بك عالم، لاتمكن قريش من اذنك

إذا قدمت مكة فإنما هو الوقاف ثم الثقاف وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة قال:

يا حصين، اعلم أنني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أحب ولا أرجى عندي في الآخرة من قتل أهل المدينة وإن دخلت النار بعد ذلك إني لشقي فانظر أن تفعل في أهل مكة كما رأيتني فعلت.

ثم جعل يقول:

اللهم إنك تعلم أنني لم أعص خليفة قط

اللهم إني لم أعمل عملاً أرجو به النجاة إلا ما فعلت بأهل المدينة ثم مات لا رضي الله عنه.

أصداء من كربلاء

إن الإعلان الكبير الذي صرح به الإمام الحسين عليه السلام منذ لحظة خروجه من مكة وتوجهه إلى كربلاء، فرفع شعار بطلان حكم الخلافة، عندما قال عليه السلام: على الإسلام السلام إذا قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ووضح ذلك أكثر من وصية لأخيه محمد بن الحنفية بقوله عليه السلام الواعي والمتبصر إنما خرجت لطلب الصلاح في أمة جدي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق ومن ردّ علي هذا!! أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين

كان هذا شعار الحسين عليه السلام واتخذ عليه السلام الشهادة سبيلاً لتحقيقه فهو عليه السلام لم يقم ضد يزيد لأمر يشين يزيد وحسب، بل لأن يزيد مرق في الإسلام ودين جده محمد صلى الله عليه وآله أصبح اليوم في خطر وبين أيدي مدنسة آثمة وما على المسلمين أينما وجدوا إلا التنكر لهذا الحاكم الضال المنحرف، والذي أصبح دين الله رهناً لنزواته، طبعاً له في أحكامه، ما يرتثيه هو السديد وما ينكره هو الباطل حتى ولو كان فيه تجاوز لأهم حد من حدود الله

هكذا مضى الدعي يزيد!!

فبعد أن هلك معاوية، وورث هذا الفاسق مقاليد الحكم، وأصبح

الحاكم المطلق فكان الخليفة الذي يشرب الخمر ويترك الصلاة ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالقردة والكلاب ويسمر عنده النسوة والفتيان.

الخليفة الذي يستبيح دم سبط رسول الله ﷺ ويسبي حرائره ويهدر كرامة حرم الرسول ﷺ

الخليفة الذي لا حدود لكفره فيتبع قتل آل الرسول ﷺ في كربلاء، فيتجه إلى مدينة رسول الله ﷺ فيجوس جنوده ديار الوحي والتنزيل فيفسدون فيها ويهلكون الحرث والنسل ويهتكون الأعراض ويسفكون الدماء، ويختمون على رقاب البقية الباقية من صحابة رسول الله ﷺ بأنهم عبيد ليزيد ومن ثم ليوجههم هذا الكافر إلى الكعبة المشرفة حيث قبلة الإسلام والمسلمين ليهدموها ويحرقوها ولا يبقوا عليها من أثر أبداً، عسى ولعل أن يكون بتصرفهم هذا إنهاء لما جاء به محمد ﷺ وإبداله بشريعتهم التي كان عليها أبائهم أيام الجاهلية الأولى.

كان ذلك كله من النتائج الحتمية للانحراف الخطير الذي ألم بالشريعة وانتهاك صريح للأحكام الإسلامية المحكمة رويدا رويدا والتي بدأت بعيد وفاة رسول الله مباشرة ليصبح الفكر الإسلامي اليوم مرهوناً برأي الحاكم فما يرضى عنه هو الصحيح والملزم وما يرفضه بات منبوذاً حتى ولو كانت فيه أم الحقيقة، وأصبح التدين والعبادة هي ما طابق ولامس فكر الخليفة ولو تعارض مع كافة النصوص والأوامر الإلهية فطاعة الحاكم باتت من طاعة الرب، فكأن فرعون عاد ليحكم في الأرض.

وإليك الشاهد:

اجتماع الجيوش في كربلاء وقتلهم الحسين ﷺ على الرغم

من الحجج الدامغة التي كان يلقيها الإمام عليه السلام على أسماعهم التي صُمت عنها آذانهم، فلم يعودوا يسمعون فيها سوى صوت الحاكم أو الخليفة حتى ولو كان يؤدي ذلك إلى قتل الحسين عليه السلام فهذا شمر بن ذي الجوشن (الملعون) قاتل الحسين عليه السلام كان يقول: اللهم اغفر لي فليل له: كيف يغفر لك وأنت أعنت على قتل الحسين فكان يرد ويقول: ويحكم!! كيف نضنع إن أمراءنا أمرونا بأمر فلم نخالفهم، ولو خالفناهم كنا شرّاً من هذه الحمر

وفي مقتل الحسين عليه السلام أيضاً:

نادى عمر بن الحجاج يوم مقتل الحسين عليه السلام وقال: يا أهل الكوفة الزموا طاعتكم وجماعتكم ولا ترتابوا في قتل من حرّف الدين وخالف الإمام.

أما مسلم بن عقبة وبعد أن استباحته جنده المرسله من قبل يزيد مدينة الوحي والتنزيل يقول:

اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أحب إلي من قتلي أهل المدينة ولا أرجى عندي في الآخرة ولما سألوا ((الشامي)) عندما رمى جيش يزيد الكعبة فهدمها وأحرقها قال: إن الحرمة والطاعة اجتمعا فغلبت الطاعة الحرمة.

مما سبق: نستطيع أن نتلمس عمق الانحراف الذي طرأ على الرسالة فكان الفوز بالجنة لا يتم إلا بقتل الحسين عليه السلام مع علمهم الأكيد بأنه سيد شباب أهل الجنة والبقية الباقية من الخمسة أصحاب الكساء وسبط رسول الله ﷺ الوحيد الباقي على ظهر هذه الأرض.

وكمال الدين هو باستباحة مدينة الوحي والتنزيل وتقتيل أهلها

وترويع أطفالها وهتك أعراض نساءها وفض بكارى عذاريتها، وأخذ البيعة من أهل المدينة من صحابة وتابعين بأنهم عبيد للحاكم يزيد بن معاوية.

إلى أن وصل بهم الحال إلى تهديم الكعبة رغم علمهم أنها نواة الإسلام وقبلتهم ومكانتها العظيمة التي ارتضاها الله للناس جميعاً لتكون قبلتهم الوحيدة ﴿فَلَنُؤْيِسَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(١) رغم ذلك لم تردعهم حرمتها ومكانتها عند جميع المسلمين والمسلمات فأمطروها بوابل من حجارتهم ونيرانهم وعندما يسأل أحدهم لِمَ فعلت ذلك؟ يقول: إن الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت الطاعة الحرمة.

وهكذا نجد أن المبادئ الإسلامية قد انتهكت وبلت بجروح وتقرحات غير قابلة للشفاء فلم يعد من الممكن إعادة ترميمها وإعادة المجتمع المسلم إلى سابق عهده فكان لابد من الحسين عليه السلام أن يقوم قومته لكسر قدسية هذه القواعد العوجاء وهذا النهج الدخيل المنحرف - الذي أتت به هذه الخلافة الناصبة والغاصبة - والبعيدة كل البعد عن نهج الدين القويم وشرائعه السمحة.

هذا ما حدا بالإمام الحسين عليه السلام أن ينهض نهضته الكبرى ويتحمل تلك المشاق فليس من إنسان - على وجه هذه الأرض - غيره من يستطيع أن يعيد للإسلام هيئته ووقاره التي تقاذفتها الأنواء، وليس هناك من إنسان في هذا الزمان غيره من يعي هذه المسؤولية فالعصر عصره، والمهمة مهمته، وإسلام جده محمد عليه السلام في خطر محقق والمشوار

بعيد، والزاد قليل، والمسار ضيق، ومليء بالعقبات والأخطار، ولكن لا بدَّ له من المضي به، فحمل روحه بين راحتيه (روحي فداه) وقَدَّمَ نفسه قرباناً لله تعالى والانتصار لكلمة الله أكبر. الله أكبر. لتعلو فوق جميع الأمصار وتبقى وتستمر إلى أن يرث الله أرضه ومن عليها.

عبر ومواقف ومشاهد كربلائية

لقد نهض الإمام الحسين عليه السلام تلك النهضة المباركة لأنه عليه السلام كان يعلم أن الأمر يخصه وحده دون سائر الناس باعتباره إمام زمانه والمكلف دون غيره لتطبيق الشرائع السماوية والسهر على شؤون الرعية من المسلمين.

فهو لم يقم لشأن يدين يزيد بل لأن دين الإسلام في خطر، فمضى عليه السلام حاملاً تكليفه على عاتقه بكل عزيمة وإصرار واصطحب معه جميع الوسائل التي تتيح له إذاعة وإشاعة وما سيؤول إليه مصيره وإيصالها إلى أقاصي الأرض وأطرافها.

فالمهمة إذن هي مهمة إسلامية بحتة وهي مكملة لتلك التي مضى عليها جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسعى وجاهد وأعطاهما من حياته جميع ما أفاء الله عليه من نعم كي يعم وينتشر دين الله ولا يعبد إنسان على وجه الأرض إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد من خلال ما أنزل عليه تعالى من سنن وشرائع ستمضي في البشر إلى آخر الزمان تحت راية الإسلام لتبقى عالية خفاقة ما زال هناك بشر تسعى فوق هذه الأرض.

ومضى صلى الله عليه وآله لملاقاة وجه ربه بعد أن أتم الله نعمته على الناس ورضي بالإسلام ديناً لجميع خلقه ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا

عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ ..

إلا أن الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان قلوبهم سينقلبون فيما بعد وسيكذبون آيات الله البيّنات بقوله تعالى الكريم ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) ..

والإمام الحسين عليه السلام شهد هذا التكذيب

ورآه بأم عينه وأن هذا التحريف أخذ بالاستمرار والاتساع وليس هناك من يستطيع أن يقف بوجهه لذا كان لابد له عليه السلام من أن ينهض ويقف بوجه هذا المد المنحرف - بجميع ما أتاه الله من قوة وبأس شديدين وحكمة بالغة وحرص شديد - قبل أن يندثر (لا سامح الله) دين الله ويصبح فقاعه في القاع، فالمهمة مهمته ولا يوجد رجل آخر على سطح هذه الأرض يستطيع القيام بهذه المهمة غيره، لذا نجد أن الله تعالى كان قد اختار من البشر خيرتها واعدتهم قبل وقت كاف ليكونوا في جاهزية تامة عندما تحين ساعة الصفر وتكون الحاجة لأمثالهم للقيام بمهمات تستحيل على غيرهم من البشر القيام بها فكان الإمام الحسين عليه السلام أحد هؤلاء الذين اختارهم الله تعالى للقيام بهذه المهمة، ليمضي عليه السلام في مهمته التي حملها مع الإمامة التي آلت إليه بعد أخيه الحسن عليه السلام وأبيه الإمام علي عليه السلام وجده رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله ليكون من مصاديق قوله تعالى: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا﴾ (٣) ..

وعزم الإمام الحسين عليه السلام على الخروج عندما رأى أن الخطر قد أحاط بالشيعة، وأن لا سبيل لتصحيح مسار الأمة وإرجاع الأمور إلى

(١) سورة الأعراف ٩٦

(٢) سورة الأعراف ٩٦

(٣) سورة الأحزاب ٢٣

نصابها إلا بحدوث زلزالٍ مدوٍ يوازي ذلك الحيف الذي ألم بالشرعية.
 من هذا المنطلق السامي بادر إمام الأمة إلى تحمل أعباء الرسالة
 والخروج من المدينة ومن ثم إلى كربلاء فصرح عليه السلام قبل خروجه وقال
 إلى بني هاشم من لحق بنا منكم استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح
 ومضى عليه السلام بتكليفه بعزيمة وإصرار نادرين فهو يريد تحقيق أمر
 عظيم يتوقف عليه أمر الإسلام فرفع منذ اللحظة الأولى لخروجه شعار
 بطلان حكم الخلافة القائم وقال عليه السلام «وعلى الإسلام السلام إذا بليت
 الأمة براع مثل يزيد»

ووضح ذلك أكثر عند أوصى أخاه محمد بن الحنفية فقال له:

«إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمد صلى الله عليه وآله..

أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر

وأسير بسيرة جدي وأبي فمن قبلني بقبول الحق، ومن رد عليّ هذا

أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»

ومن خطبه له عليه السلام عندما توجه للعراق:

خط الموت على ولد آدم مخطّ القلاده على جيد الفتاة

وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف

وقد خير لي مصرع أنا ملاقيه

كأنني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النوارس وكربلاء...

رضا الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين...

مما سبق:

نستنتج أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت من الأمور الحتمية التي

على الإمام عليه السلام القيام بها، حتى ولو كان نتيجة هذا القيام الشهادة في

سبيل نصره هذا الدين الحنيف لسيطره عليه السلام بدمه الزاكي هو وأهل بيته وأصحابه ملحمة تاريخية أفرزت نهجاً قوياً عظيماً تتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل لتكون كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء ولتكون شعاراً ونداء لجميع المظلومين على ظهر هذه الأرض ضد الاستكبار أينما وجد وكيفما حل ، والشاهد على نجاح ثورة الحسين عليه السلام تقرأه اليوم على صفحات التاريخ القديم والحديث والمعاصر على حدٍ سواء. وما انتصار ثورة الإمام الخميني قدس سره عام ١٩٧٩ إلا نفحة طيبة من نسيم كربلاء وكذلك انتصار حزب الله في لبنان عام ٢٠٠٠ وعام ٢٠٠٦ ما هو إلا تطبيق عملي لمنهجية كربلاء وصفحة ناصعة من صفحات هذا التاريخ المضيء والملهم أفرزتها ثورة الإمام الحسين عليه السلام والتي ستبقى وتستمر شعله متوقدة معطاءة تنير الدروب للمستضعفين في الأرض ونهجاً واضحاً وسليماً لاسترداد الحقوق المسلوقة والانتصار لدين الله.

اصطحاب النساء والأطفال إلى كربلاء

من الحكم البليغة التي نستخلصها من ثورة الحسين عليه السلام هو اصطحابه الأطفال والنساء معه إلى كربلاء رغم علمه الأكيد بأنه مقتول لا محالة وأنهم سبايا لا محالة.

فما هو هذا الدور الهام المعقود عليهم إذن؟

وما الحكمة من اصطحابه لهم على رغم علمه الأكيد عليه السلام بالخطر المحقق بهم؟

إليك الجواب في هذه المداخلة:

لقد كان خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة في يوم التروية بالذات، ومخالفة الحجيج في ذلك اليوم على مرأى ومسمع جميع الحجاج المتواجدين في مكة في ذلك العام والذين أتوا من كافة أصقاع الأرض.

لذلك كان من الطبيعي أن يتنسم المسلمون أخبار الإمام عليه السلام والتطلع لما آل إليه خروجه وفداحة الخطب الذي ألم به.

فالمطلوب إذن إشاعة الخبر ليصل إلى كافة أقطار المسلمين وهذا لا يمكن تحقيقه إذا ذهب عليه السلام وحده وتم قتله في هذه الصحراء المترامية الأطراف، فتطمس السلطة معالم هذه الجريمة النكراء، فلا بد إذن من متابع يكون على حجم هذه الفعلة الشنيعة التي ستقترفها أياديهم

السوداء، من هنا برز دور حرائر رسول الله ﷺ ومخدرات بني هاشم والدور الأهم الذي أسند لبطلة كربلاء والذي يتشعب إلى عدة اتجاهات:

أولاً: الاعتناء بابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام والسهر على سلامته لحين شفاؤه التام واستلام مهامه.

وكذلك إبقائه في الظل وإبعاده عن عيون وأيادي السلطة لتكون زينب عليها السلام هي الصلة والرابط الوحيد ما بين الإمام وعموم المسلمين خلال هذه الفترة الحرجة.

ثانياً: المحافظة على ركب الحسين عليه السلام من نساء وأطفال لحين وصولهم إلى ديارهم بخير وسلامة.

ثالثاً: إيصال هدف قيام الحسين عليه السلام وهو دور مكمل لشهادته عليه السلام وإيضاح الأسباب التي نهض من أجلها أخوها الحسين عليه السلام لتستمر فعاليات هذه النهضة وإشاعة مبادئها وأهدافها بين الناس وفضح الحكم الأموي الجائر وإسقاط هيئته المبتذلة، وتسليطهم على رقاب الناس من دون وجه حق، ودرسهم لمعالم الدين الحنيف وإرجاع الناس إلى حكم الجاهلية الأولى.

كان ذلك نذر يسير من الأسباب التي دعت الإمام الحسين عليه السلام لكي يصطحب معه حرائر رسول الله ﷺ إلى كربلاء فكان دورهن (عليهن السلام) دور مكمل وفعال وهام جداً لما قام من أجله الإمام عليه السلام، وكان دور العقيلة زينب عليها السلام وبمساعدة حرائر بيت النبوة، دور ريادي وأساسي ومكمل للمهمة التي نهض من أجلها أخوها الإمام الحسين عليه السلام فلولا ذلك لضاع دمه هدراً ولطمست السلطة أخبار قتله عن العالم أجمع، إلا أن الإمام الحسين عليه السلام كان يعلم أن هذا العمل لا

بد منه وأنه لا يتم إلا باصطحابه تلك المخدرات وعلى رأسهنّ العقيلة زينب عليها السلام.

فقام عليها السلام بحملهن معه، وذلك لبعده نظره الفكري والسياسي مما أدى فيما بعد إلى تلك الضجة المدوية في سماء الباطل الذي أعلى بنيانه آل سفيان والمبادرة إلى القضاء على جميع الأسباب التي أدت إلى انحراف الشريعة السمحة عن مسارها المرسوم لها بعناية ودقة وحكمة بالغة التي نسف تعاليمها اليوم هذا الشرير الطاغية وأحل محلها الفوضى والكفر والمجون.

وقد قامت العقيلة زينب عليها السلام بدورها المطلوب منها بكل عناية ودقة هي وجميع حرائر بيت النبوة.

فكانت خطبهن الحماسية الحزينة تعصر القلوب وتلهب النفوس، فها هي زينب عليها السلام تقف بوجه الطاغية عبيد الله بن زياد في الكوفة وكذلك أمام يزيد في معقله بالشام وتقرعه أمام الخاصة والعامّة وتلحق به وبآل سفيان العار ليسجل لها التاريخ موقفاً هو من أعظم المواقف جهاداً في سبيل الله وتطبيق عملي ودقيق للحديث الشريف:

«أعظم الجهاد هو كلمة حق عند سلطان جائر» والذي يمثله اليوم هذا الدعي يزيد المتعطش للدم الزاكي وخاصة من هذا البيت الطاهر المطهر بنص الذكر الحكيم.

العقيلة زينب (عليها السلام) والإمامة

إن أبناء سيدنا علي عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام قد حظوا بشرف لم يسبقهم فيه أحد ولا يستطيع أن يلحق بهم لاحق ولا أن يدركه طالب فلقد رأوا نور الحياة من حصيلة أبوين طاهرين تفرعا من تلك الشجرة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بأنها ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١) وكذلك قول الله عز وجل وهو يخاطب جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله

﴿وَتَقَلِّبَكَ فِي السَّجِدِينَ﴾^(٢)

فلم يزل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ينتقل في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة قرناً فقرن إلى أن أنبتها الله سبحانه وتعالى في صلب سيدنا إبراهيم عليه السلام بقوله الكريم:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام وهو مزهو ومسرور بها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ فرد عليه سبحانه وتعالى بقوله الحق ﴿لَا يَتَّأَلُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣) فلم تزل إمامة الناس طاهرة مطهرة تنتقل في ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام يرثونها بعض من بعض بقوله سبحانه:

(١) سورة إبراهيم ٢٤

(٢) سورة الشعراء ٢١٩

(٣) سورة البقرة ١٢٤

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾^(١)

وهكذا إلى أن أنبت الله فرعها العظيم يوم ولد النور مع سيدنا محمد ﷺ فقال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّكَ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) ثم ليتفرع عنه مباشرة ذلك النسل الطاهر الذي طهره تطهيراً الله عزوجل وثبته في أم الكتاب وحصنه ورعاه بعينه التي لا تنام بقوله الكريم:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٣)

فكانت هذه الآية خاصة بسيدنا محمد ﷺ وذريته الطاهرة من بضعته البتول عَالِيهَا وبعلمها الإمام علي عَالِيهَا الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله الكريم ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ ﴾^(٤).

فهي في علي وذريته إلى يوم يبعثون

من هنا كانت للعقيلة زينب عَالِيهَا تلك الصفات النادرة، التي سطرت من خلالها ملحمة تاريخية قلّ مثلها حيث إذا ما اطلعت عليها لتعرفت على إنسانة ذات آفاق واسعة يطير الفكر في أرجائها وتسبح كواكب الفضائل في فضائلها كيف لا...! وهي التي رأت نور الحياة من خلال أظهر وأشرف ما برأ وذرأ للوجود الله سبحانه وتعالى والممتحنة في ملاقاته المكاره والفجائع والحوادث المذهلة، فتجلدت عَالِيهَا وتفوقت على الجراح إلى أن لاقت وجه ربها صابرة محتسبة ليوفيقها ربها

(١) سورة الأنبياء ٧٢

(٢) سورة آل عمران ٦٨

(٣) سورة الأحزاب ٣٣

(٤) سورة الروم ٥٦

أجر الصابرين.

وهي العالمة الجليلة التي هزت أركان السلطة المتسلطة الظالمة بفصيح خطبها وبلاغة نثرها حتى أن الإمام السجاد عليه السلام قال لها إنك يا عمّة زينب «عالمة غير معلّمة» وهي التي جمعت في مكارم الأخلاق أنقاها وأصفاها وفي طبيعتها صفات الوفاء والعاطفة الجياشة والشفقة والحياء والعفة والكرامة وهي الثابتة القدم ذات القلب الرحيم الواسع والإيمان الصادق والعقيدة الراسخة والحكمة عند المواقف الحرجة، والشجاعة في الإقدام ومواجهة أعداء الله وخاصة هؤلاء المتجبرين سفاكي الدماء الطاهرة زاهقي الأنفس الزكية نعم إنها العقيلة زينب عليها السلام سليلة بيت النبوة ابنة علي وفاطمة عليهما السلام وشقيقة سيدي شباب أهل الجنة والتي لها أسمى شرف وأعلى نسب وأجلّ حسب وأكمل نفس وأطهر قلب.

بل هي رمز الحق والعقيلة والشجاعة والمروءة والفصاحة وقوة الجناب وهي مثال الزهد والورع والعفة والسخاء والصدق والصفاء والعلم والإباء.

وإن هذه الصفات التي اجتمعت في بطلا كربلاء أهلتها لتقوم بأعمال يعجز عنها أعظم الرجال وخاصة عندما توجه رحل الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء فشهدت معه المشاهد كلها فكانت حجر الرحي والمعول عليها في كل مشهد من مشاهد تلك الحوادث التي كانت تعترض سبيل رحل الإمام عليه السلام وخاصة بعد استشهاد الإمام عليه السلام في كربلاء ودورها العظيم في المحافظة على سلامة الإمام السجاد عليه السلام وحرائر بيت النبوة وأطفالهن إلى أن وصل الركب سالماً إلى المدينة وكان من أعظم تلك المهمات التي تصدت لها العقيلة زينب عليها السلام في هذه المرحلة، هي الاهتمام بالإمام علي بن الحسين عليهما السلام باعتباره الوارث للإمامة عن أبيه

الإمام الشهيد عليه السلام

ولقد شاءت الإرادة الإلهية أن يبقى الإمام السجاد عليه السلام بعيداً عن أرض المعركة في عاشوراء، فأبعده الله تعالى بذلك عن الأيدي الغادرة والآثمة فلم يصبه منهم سوء فكان طريح الفراش في كربلاء وقد انهكته العلة والمرض الشديدين مما أذهله عن المشاركة في القتال، فشهد عليه السلام المشاهد الأليمة كلها من غير أن يستطيع أن يدفع عنهم أي أذى إلى أن قتل أمامه الجميع ولم يبق سوى أبيه الإمام الحسين عليه السلام وسمعه ينادي في ساحة الوغى ويقول:

هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله؟

هل من موحدٍ يخاف الله فينا؟

هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟

هَبَّ (روحي فداه) من فراشه وخرج جاراً سيفه متكناً على عصاه والمرض أخذ منه كل مأخذ فلما شاهده الإمام الحسين عليه السلام، نادى زينب عليها السلام وقال لها:

خذيه يا أختاه واحبسيه لئلا تخلو الأرض من نسل آل محمد

فأرجعته إلى الخيمة وهو يقول: يا عمته! ذريني أقاتل بين يدي ابن

رسول الله ﷺ.

والتزمت عقيلة بني هاشم بوصايا أخيها الحسين عليه السلام فكان الإمام السجاد عليه السلام نصب عينيها ولا يغيب عن ناظريها لحظة واحدة، فهو إمام زمانها والبقية الباقية من رجال بيت المصطفى عليه السلام، والوضع خطير، وسيوف البغي والعدوان تقطع حرث ونسل هذا البيت المطهر، حتى الطفل الرضيع لم ينج من طغيانهم

فكيف بهم وهذا الشاب؟

فهل يتركوه حياً؟ أم يلحقوه بأبيه؟

فالأوامر المشددة التي بحوزتهم تأمرهم بأن يجتثوا نسل هذا البيت الطاهر من جذوره ولا يبقوا على أحد منهم حياً أبداً.

لذا نجدهم عندما أجهزوا على الإمام الحسين عليه السلام دخلوا إلى الخيام وجرد شمر بن ذي الجوشن اللعين سيفه يريد به قتل الإمام علي بن الحسين فحالت العقيلة زينب عليها السلام بين ابن أخيها وسيف شمر بجسدها الشريف صارخة بالظالمين ((لا يقتل حتى أقتل دونه))

فلما رأوا أن السيف لا يمضي بالإمام السجاد إلا من خلال جسد السيدة زينب عليها السلام تراجعوا وكفوا عن قتله باعتبار أنه منهك وأنه سيهلك من مرضه لا محالة.

وكذلك فعلت العقيلة زينب عليها السلام في مجلس ابن زياد بالكوفة عندما أمر جلاوذته كي يقطعوا رأس الإمام السجاد عليه السلام فانبرت بوجه هذا الكافر قائلة: حسبك يا بن زياد من دمائنا ما سفكت؟

فإن أردت قتله فاقتلني معه!

فقال ابن زياد دعوه لها، ياللرحم وددت لو أنها تقتل معه.

بهذه الروح وتلك الحمية الطالبية كانت زينب عليها السلام تذب عن إمام زمانها وتبعد الأيدي الآثمة عنه وتحميه من كل أذى إلى أن وصل عليها السلام إلى بر الأمان والسلام حيث مدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم

وفي مدينة الوحي والتنزيل بدأت ملحمة جديدة من ملاحم البطولة ومعركة من نوع آخر وهي متممة لتلك البطولة النادرة التي سطرها بدمه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

لتبرز في هذا الفصل أهمية العقيلة زينب عليها السلام فهي الآن أمام تحديات جديدة ومنها:

- إبقاء الإمام السجاد عليه السلام في الظل إلى أن يشتد عوده ويبرأ من سقمه، والسعي لجمع المناصرين حوله ليكونوا عوناً له في وجه السلطة المتربصة به من كل جانب.

- فضح الأعمال المشينة التي كانت تقوم بها السلطة، والتي هدفها طمس معالم هذا الدين الحنيف، وإرجاع الناس إلى حكم الجاهلية الأولى.

- الانتصار لهذا الدم الطاهر الذي سفح على عرصات كربلاء، فثورة الإمام الحسين قد قامت وسوف لن تقعد إلى أن تحقق أهدافها والبيت العلوي إن كان قد خلا من الرجال، فهذا لا يعفي النساء من القيام بهذا الواجب المقدس.

من هنا كان للعقيلة زينب تلك الأهمية فهي الهاشمية التي كان حضن رسول الله صلى الله عليه وآله مهدها وصدر البتول الزهراء عليها السلام ملاذها وغذاء روحها.

أما أبوها علي عليه السلام فهو سيف الإسلام وقاتل الأبطال ومقتحم الأهوال ومفرق الأحزاب وخائض لجج الغمرات من دون خوف ولا وجل وأخواها هما سيدا شباب أهل الجنة والإمامان إن قاما أو قعدا، لذلك تجد السيدة زينب عليها السلام قد قطفت من خيرات أسرتها أفضل الثمار فامتزجت مع روحها ودمها فانتجت هذه المحامد شخصية العقيلة زينب عليها السلام النادرة الوجود فوقفت عليها السلام تلك الوقفة الشامخة كالطود الأشم تدرأ الأخطار عن إمام زمانها وتبين للملأ حقيقة بني سفيان الذين هدموا أركان الدين لينتج عن ذلك سابقة تاريخية لا مثيل

لها ألا وهي «انتصار الدم على السيف».

بفضل وعي السيدة زينب عليها السلام ونجاعة برنامجها الإعلامي الذي أظهر الوجه الحقيقي للسلطة وأزاح تلك الأقنعة الخادعة التي كانت تستتر خلفها والتي أظهرت زيف بني أمية والتشويه الكبير الذي ألم بشرعية المصطفى صلى الله عليه وآله.

الحرائر المطهرة (سبايا)

إن الحوادث المتلاحقة والسريعة التي تتالت بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام كانت من الشدة على آل رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث لا يستوعبها عقل ولا يرضى بها أي ضمير واعٍ وحر، فكان حرق الخيام، وسحق الأطفال تحت حوافر الخيل، (فقتل سبعة أطفال) وشردت النساء في البيداء، عدا السلب والنهب والذي كان من أهون الشرور التي حدثت في ذلك اليوم المشؤوم تقول الروايات:

وتسابق القوم إلى خيم معسكر الامام الحسين عليه السلام بعدما قتلوه وفصلوا رأسه الشريف عن جسده الطاهر ودخلوا على النساء والأطفال لينهوا ما بدؤوا به من القتل والسلب والنهب.

فكانت المرأة الطاهرة قرة عين البتول الزهراء عليها السلام تغلب على أمرها وتسلب وتضرب وتهان وتترك كي تهيم على وجهها في الصحراء وبعد أن انتهى جند الطاغية من القتل والحرق والسلب والنهب وحز الرؤوس ورفعها على أسنة الرماح.

سيقت الأرامل واليتامى على ضرب السياط وأكعاب الرماح، فضمتهم العقيلة زينب عليها السلام إلى كنفها، فلذن بها، مفجوعات، مهانات، معفرات، إنما طاهرات نقيات لم يستطع أحدٌ من الجند أن يمس شرفهن أو يعتدي عليهن على الرغم من وحشيتهم وعدم اكتراثهم

بأنهن حرائر بيت المصطفى ﷺ

أما الإمام السجاد ﷺ (روحي فداه) فلقد جمعت الأصفاد بيديه ورجليه ورقبته وجيء بالنياق الهزيلة وحملت عليها حرائر المصطفى من دون غطاء ولا وطاء وتوجهوا إلى الشام فيا لها من وصمة خزي وعار، وثلمٌ ثُلِمَ به الإسلام، لا يمحي ولا يندثر مهما عفا عنه الزمن

وهنا يفرض نفسه تساؤلات عدة منها:

هل كان لواقعة كربلاء تداعيات؟

وكيف سارت الأمور بعد كربلاء؟

لما كان تحرك الإمام الحسين ﷺ من مكة المكرمة في يوم التروية بالذات وعلى مرأى ومسمع جميع حجاج بيت الله الحرام في ذلك العام. فلقد كان من الطبيعي أن يتنسم المسلمون أخباره ويتطلعوا لما آل إليه خروجه، لتفاجئهم الفاجعة التي ألمت بالإمام الحسين ﷺ وآل بيته فكان وقع المصيبة من الفداحة بمكان أن تحركت المشاعر واستفاقت الضمائر من سباتها وتنبه المسلمون لجملة العبث الكبير الذي حلَّ بالرسالة.

وكان أكثر الناس تأثراً بفاجعة كربلاء هم أهل مدينة رسول الله ﷺ فما إن وصلت اليهم أنباء تلك الفاجعة حتى أصابهم ذهول وغم شديدان وتكشفت لهم حقيقة بني أمية الزائفة، فتجلت الحقيقة المؤلمة أمامهم بأبشع صورها فتحوّلت حلقات العلم التي كانت تكثر في هذه المدينة الغراء والتي كانت تذخر بخيرة رجال العلم من مهاجرين وأنصار ومن جميع أقطاب الأرض إلى مجالس عزاء وترحم على الشهداء وصاروا يتداولون فيما بينهم تلك الطامة الكبرى التي حلَّت بدين الإسلام وابتعاد

السلطة الحاكمة عن أبسط قواعد هذا الدين الحنيف إلى جانب ذلك الجور والظلم الذي كانت تتجرعه الرعية، وعم الاستياء جميع أنحاء مدينة رسول الله ﷺ فلم يبق بيت في المدينة الا وأقيم فيه المأتم على الحسين وآله ﷺ ولبست المدينة السواد حزناً على الحسين ﷺ فتأججت نفوس أهل المدينة غضباً وحقداً على يزيد، فما كان منهم إلا أن تبرأوا منه ومن أفعاله، فخلعوه وطردهوا واليه من المدينة والذي كان يومها مروان بن الحكم

وماذا بعد؟

بات من المعروف كيف سببت العقائل الهاشمية في كربلاء وكيف سبقت من بلد أي بلد كما تساق النعاج، فلم يحفظ لرسول الله ﷺ فيهم عهد ولا ذمة ولا دين ولا ملة.

وكان الإمام علي بن الحسين ﷺ يومها قد تملكه المرض وهو للموت أقرب منه للحياة، وكان قد شهد مصرع أبيه الحسين ﷺ وإخوته وجميع رجالات الأهل والأنصار.

وحُمِلَ ﷺ على أحشن مركب هو والنساء والأطفال يتقدمهم رؤوس الشهداء مرفوعة على أسنة الرماح، وطيف بهم على الأمصار والبلدان، وكأن تلك الرؤوس الطاهرة الشريفة هي لأئمة الكفر وليست لأصحاب الفضل والسبق في الإسلام.

إن هذا المشهد الذي شهده الإمام السجاد ﷺ بقي يلازمه طوال حياته وكانت الناس تشفق عليه من شدة حزنه وبكائه على صرعى كربلاء فيقول لهم: إن سيدنا يعقوب ﷺ غاب عنه ابنه يوسف فترة من الزمن وكان عنده من الأبناء غيره أحد عشر كوكبا، وأنه لم يشهد مصرعه وكان لديه أمل من الله تعالى أنه سيشاهده حياً يرزق ثانية، ورغم ذلك فلقد

أبيضت عيناه من البكاء عليه وهو كظيم

فكيف بي وأنا من رأيت بأم عيني مصرع أبي وأخوتي وجميع أهلي

لنتوقف هنا هنيهة ونعود إلى يثرب

يقول الخبر:

عندما خلع أهل يثرب (الفاسق يزيد) وطرّدوا ممثله في مدينة رسول

الله ﷺ مروان بن الحكم، دار مروان على جميع بيوت المهاجرين والأنصار كي يستودع أهله عندهم فتنكر له الناس ولم يؤوهم أحد^(١).

فما كان من الإمام علي بن الحسين عليه السلام - وهو الذي شهد مصرع

أبيه وأخوته وأهل بيته في كربلاء، وهو الذي شهد قتل الأطفال وتشريد

النساء وأهانتهم وضربهن بالسياط وأكعاب الرماح، وهو الذي شهد سوق

حرائر بيت النبوة من بلد إلى بلد كأنهن سبايا الترك والعجم والروم فعلى

رغم ذلك كله إلا أنه كان الوحيد من أهل المدينة من حامى عن نساء

وأطفال الحاكم الأموي فأدخلهن إلى بيته وأكرم وفادتهن.

ولقد صرحت النساء فيما بعد، أن الأيام التي قضيتها في بيت الإمام

السجاد عليه السلام كانت من أهنأ وأسعد أيام حياتهن وأنهن لم يرين مثيلها

في حياتهن أبداً، تلك كانت خصلة صغيرة من خصال أهل بيت رسول

الله ﷺ قدمها لنا الإمام زين العابدين عليه السلام بأوضح وأنقى صورة،

تجلت فيها عظمة هذا البيت الطاهر والمطهر من خلال دليل عملي

وحسي وواقعي يرسخ تلك المعاني والأخلاق الفاضلة التي كانت تتحلى

بها والسبل الواعية والمتبصرة والسليمة التي كانت تتبعها هذه الفئة

المختارة لتكون حجة الله سبحانه وتعالى على عباده وقدوة حسنة لجميع

المسلمين والمسلمات وبذلك يكون الإمام عليه السلام بتسامحه هذا وجميل

(١) الإمامة والسياسة للدينوري ط دار الأضواء بيروت ج ١ ص ٢٣١ عام ١٩٩٠.

صنعه بنساء بني أمية قد عكس صورة الإسلام الحقيقية بأبهى صورها وأبلغ معانيها

فكتم عَلَيْهِ السَّلَامُ وعفا عن ظلمه ومن ثم أحسن لهؤلاء المتنكرين له في كربلاء وصال وحفظ هؤلاء النسوة والأطفال بدل أن يتركهم يهيمون في الصحراء بعد ان غلقت بوجههم الأبواب كلها ليكون عَلَيْهِ السَّلَامُ من مصاديق قوله تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)

وماذا بعد:

رجع مروان بن الحكم إلى مدينة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه جيش جرار جاء من عند يزيد بقيادة الحصين بن نمير، فجاس جند يزيد ديار الوحي والتنزيل، وأفسدوا فيها، وأهلكوا الحرث والنسل وهدموا الأعراض، وسلبوا الأموال.

تقول الرواية:

وارتفع القتل في المدينة، فما كانت الظهيرة حتى كانوا قد أزهقوا أرواح عشرة آلاف رجل من أهل هذه المدينة الفاضلة.

يقول الراوي: إنه لم يبق بدري بعد هذه الواقعة.

وبعد أن انتهوا من القتل والترويع، والسلب والنهب، وبعد أن أجهزوا على الجرحى وملاحقة فلول المستعفين أو الهاربين من القتل وألحقوهم بإخوانهم، عندها جاء دور النساء والمخدرات بنات المهاجرين والأنصار، فدخلوا عليهن واعتدوا عليهن وسلبوا عفافهن وكرامتهن وعذريتهن من غير رادع ولا ضمير حتى أن الجندي من هذا

(١) سورة آل عمران ١٣٤

الجيش الناصب كان يفعل فعلته النكراء هذه بالأمهات والبنات والأخوات في آن واحد، ولقد استمروا بفعلتهم النكراء هذه ثلاثة أيام بلياليها، ولقد قيل إنه فيما بعد ولدت ألف فتاة عذراء^(١) لا يعرف لهن آباء فلا حول ولا قوة الا بالله.

وهنا يحضرني سؤال محير!! ولكن بعد تقديم بسيط

إن هذه الجند مع غيرها من جند العراق المنعوتون من قبل الإمام الحسين عليه السلام بأبشع النعوت وأبشع صور حيث يصفهم:
يا عبيد الأمة وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الإثم ونفثة الشيطان ومطفئي السنن....

والله الغدر فيكم قديم وشحت عليه أصولكم وتأزرت فروعكم، فكنتم أحبث ثمره، شجاً للناظر وأكلة للغاصب.

إذن فهذا الجيش الخبيث قد خرج بأخبث منه ووقف في ساحة الوغى في كربلاء وقضى على الإمام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه والذي يتبادر للذهن هنا يتفرع لعدة أسئلة نذكر منها:

لماذا لم يقدم جند هذا الجيش على هتك الأعراض في كربلاء كما فعل في مدينة رسول الله؟

وما الذي ردعهم عن فعلتهم هذه؟

وهل نساء أهل المدينة هن من الكفار؟ ليستبيحوا أعراضهن على هذا الشكل المريع؟

وإذا فرضنا أن أهل المدينة كفره (أتبرأ إلى الله من قولي هذا) فهل يجوز لهؤلاء الجند استباحة أعراضهم وفض بكارى عذاريتهم؟

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ط بيروت عام ١٩٩٠م دار الأضواء ج ١ ص ٢٣١.

وهل هذه الأفعال الشنيعة هي من شريعة الله أم من شريعة الغاب وشريعة بني سفيان وهل... وهل... تبدأ الأسئلة ولا تنتهي!!! ولكن هل من أجوبة؟؟ لذا سنكتفي في هذا المقام بدراسة الرادع القوي الذي منع جند يزيد عن القيام بمثل تلك الأفعال في واقعة الطف.

إن نقل أن قادة هذا الجيش ورؤساءه كان لهم الدور الفعال للحيال دون حدوث ذلك نكون قد ابتعدنا عن الحقيقة بعداً شاسعاً.

لأن هذا الجيش ورؤساءه المتعطشين لدم آل البيت، كان من الهين عليهم جدا فعل هذه الفعلة بعدما قطعت الرؤوس وتناثرت الأشلاء وتصدعت الهامات.

أما أن نقول إن هذه الحرائر كان لها مكانة خاصة عند هذا الجيش لأنها تتبع ذلك البيت الهاشمي النبوي العلويّ فان كان الأمر كذلك.

فلم هدرُوا هذا الدم الطاهر وسفحوه على عرصات كربلاء ثم أليس هذا الدم الزاكي يتبع أيضاً لهذا البيت المعظم والمطهر؟؟ فما الذي حصل في كربلاء حتى اكتفى الجند بقتل الرجال، ولم يستبيحوا النساء.

لأن من يستطيع أن يتجاوز حدود الله تعالى فيقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق تهن عليه جميع الحدود ولا يبقى معيار دقيق تقاس فيه الحدود الأخرى!!

أو أن نقول إن هيبة السيدة زينب عليها السلام حالت دون ذلك! أو ذلك الإمام روعي فداه، والذي كان يومها هو للموت أقرب منه للحياة!! أو تلك الوجوه النيرة المروعة من أحداث ذلك الخطب الجلل

الذي كان يجري عليهن قد استطاع أن يحد من تمادي هذا الجيش عند حدود القتل والسفك والسلب والنهب والحرق والترويع... الخ.

فأذهل القوم عن القيام بتلك الفعلة واكتفوا عند ذلك الحد فقط

نقول: نعم إنه فيه نسمات من الحقيقة هبت من هنا وهناك، إنما مع وجود رادع هو أقوى من كل الموانع الأخرى إن وجدت، لأنه جاء من عند الله سبحانه وتعالى الذي حصّن تلك الفروج الطاهرة عن أي خبث أو نجس قبل وقت طويل ومنذ أن نبت أول غصن من تلك الشجرة الطيبة، والتي وصفها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله الكريم:

﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أكلَهَا كُلَّ

حِينٍ ﴿٢٥﴾. (١)

إلى أن بزغ منها ذلك الفرع الطيب، ذلك الفرع الذي وصفه تعالى بأنه يعانق السماء فرع سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ والذي حفظ الله سبحانه وتعالى نوره في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة بقوله الكريم:

﴿ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢٦﴾. (٢)

فكان سيدنا محمد ﷺ ينتقل من صلب طاهر عابد ساجد إلى آخر مثله إلى أن وصل إلى صلب هاشم فانتقل من هاشم إلى عبد المطلب وكنيته (أبو الحارث وشيبة الحمد) ومنه إلى عبد الله والد سيدنا محمد ﷺ وإلى أبو طالب (والد الإمام علي عليه السلام)

لينتقل هذا الطهر إلى بضعة الرسول الكريم ﷺ فاطمة الصديقة

(١) سورة إبراهيم ٢٤-٢٥

(٢) سورة الشعراء ٢١٩

الزهراء عليها السلام. من الارتباط المقدس الذي جمع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله والصديقة خديجة الكبرى عليها السلام.

والى الإمام علي عليه السلام عن طريق أبيه أبو طالب ووالدته فاطمة بنت أسد (الهاشمية) والتي كانت بمثابة أم ثانية لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله (يتيم الأبوين) (روايات متواترة) وللفت نظر جميع المسلمين والمسلمات لأهمية الإمام علي عليه السلام وطهره، ساق الله تعالى أمه فاطمة بنت أسد إلى الكعبة المشرفة، فأحست بالمخاض ليشق لها الله جدار الكعبة لتلد الإمام علي عليه السلام في جوف الكعبة، وهو أمر لم يسبقه فيه أحد على مر العصور والدهور ولم يتكرر من بعده

وأثر ذلك انشقاق هذا الجدار يرى بادياً اليوم بكل وضوح رغم جميع تلك الأحداث المؤلمة التي مرت على هذه الكعبة المشرفة والترميمات والاصلاحات التي طالتها لينتج عن ذلك الرباط المقدس الذي جمع الزهراء عليها السلام وعلي عليه السلام تلك الذرية التي طهرها سبحانه وتعالى بقوله الكريم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)

فإذا ما تمعنا في هذا العطاء الإلهي وتلك السنن الثابتة التي سنها الله منذ بدء خلقه للأشياء واستمرت إلى أن تواجدت هذه الحرائر المطهرة في ساحة كربلاء، فكُنَّ محصنات بحصنه ومحفوظات بحفظه الكريم،

(١) سورة الأحزاب ٣٣

فلم يستطع أحد ان يمس شرفهن بسوء ولن يستطيع حتى ولو اجتمعت
الإنس والجن على ذلك أو حتى التفكير به.

فكان من نتائج هذا الحفظ الإلهي أن ذهل القوم عن المساس بشرف
آل البيت عليهم السلام وبقيت نساؤهن طاهرات عفيفات فلقد قال الله تعالى
كلمته الفصل وقبل وقت طويل جداً وأنزل به قرآناً عظيماً.

﴿لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ
وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(١).

هذا القرآن الكريم الذي طهر هذه السلالة الطاهرة من أي خبث أو
نجس بإرادة الهية لا يأتيها الباطل لا من فوقها ولا من تحتها ولا عن
يمينها ولا عن يسارها

فكان من الاستحالة على أي انسان وفي أي موقع كان أو في أي زمان
وجد أن يستطيع أن يعث بسنة من سنن الله التي رعاها برعايته وحفظها
بحفظه لتبقى وتستمر إلى ما يشاء الله فكان من إحدى هذه السنن الأزلية
الثابتة هي طهارة وعفة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك تعالى قرآناً
عظيماً بقوله الكريم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا﴾^(٢).

(١) سورة الجن ٨٨

(٢) سورة الأحزاب ٣٣.

لتكون نبراساً عظيماً ودائماً، سرمدياً أبداً.

ولتبقى حرائر بيت النبوة نساء هذا البيت العظيم.

عفيفات طاهرات ما بقيت السماء والأرض.

خربة الشام

لقد ذكرت جميع الروايات التي تناولت قضية كربلاء ومصرع الإمام الحسين عليه السلام أن السبايا عندما وصلت دمشق وأدخلت على يزيد بن معاوية، حدث على إثر ذلك هزة كبيرة في القصر أخافت الخليفة يزيد كثيراً فأمر بإخراج الإمام السجاد عليه السلام ومن كان معه من السبايا من آل البيت عليهم السلام من قصره لبيتوا ليلتهم الأولى في مكان كان يدعى (خربة الشام) وهذه الخربة رغم وضاعتها حسب ما يفهم من اسمها إلا أنها تشرفت وعظمت وعلا مقامها يوم نزل فيها الإمام السجاد عليه السلام وأهل بيته وباتوا ليلتهم فيها.

لذا كان لابد لنا من استقصاء الأخبار عن هذه الخربة وتحديد مكانها على الأرض والحال الذي آلت إليه اليوم

وبناءً عليه وجهنا سهام طلبنا نحو تلك الغاية المنشودة

معتمدين على الله تعالى بالتسديد والتوفيق آمليين منه تعالى أن يكون النجاح نصيرنا ونستطيع أن نستخلص معلومة تسلط الضوء على هذه الخربة ويكون فيها فائدة للجميع.

بيد أن تلك البقعة التي نحن بصددتها تعتبر صغيرة جداً تاريخياً ولم تجر عليها حوادث كبيرة تهتم الباحثين والمؤرخين والرحالة، ولا يوجد فيها معلم تاريخي هام تجدر الإشارة إليه، لذا فلقد صدمنا بشح

المعلومات التي تتكلم عن هذه الخربة، على الرغم من وفرة وكثرة المصادر التي كانت بحوزتنا، ولكن نرجو من الله تعالى أن يكون ما توصلنا إليه مستوفياً للغرض ويسلط بعض الضوء على هذا المكان الذي شاء الله تعالى أن يباركه الإمام السجاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام وحرائر رسول الله ﷺ ليصبح فيما بعد مكان إقامة شيعتهم ومركزاً هاماً يشع منه نور الولاية لآل البيت الكرام عليهم أفضل التحية والسلام

مكان الخربة:

المعروف أن ركب الإمام السجاد عليه السلام والسبايا من آل البيت عليهم السلام لما وصلوا إلى دمشق، أدخلوا على يزيد وهو في قصره، وهذا القصر كان يسمى (قصر الخضراء) وهو ملاصق لجامع بني أمية من جهة الشرق. وفي داخل القصر وقف الإمام السجاد عليه السلام وخطب خطبته المشهورة والتي بترها يزيد بإقامة الصلاة بعدما أحدثت تلك الضجة المدوية داخل قصره، وكذلك فعلت العقيلة زينب عليها السلام فوقفت تلك الوقفة الشامخة وهي تحقرو وتقرع يزيد على ما اقترفت يدها حتى كاد الأمر ينقلب على يزيد مما اضطره لأخراج آل البيت عليهم السلام من قصره وإرسالهم إلى مكان يدعى خربة الشام، والذي هو مكان خرب ولا يوجد فيه سائر يسترهم ولا وطاء يفترشونه بل هو مكان مقفر ومهجور

وهذا المكان كان عبارة عن أطلال من الحجارة وبقايا من عمارة مهدمة فلا هو أرض زراعية ولا هو مكان يصلح للسكن.

فلقد جار عليه الزمن جرّاء الزلازل التي جرت على هذه المنطقة وتركت أثارها تلك حتى عفى عنها الزمن وهي على تلك الحال، وكانت تنتقل من سوء إلى سوء إلى أن أصبحت مرتفعاً لأنواع الحيوانات والزواحف وأنواع الحيوانات والحشرات الضارة.

خربة الشام

وكانت تقع هذه الخربة خلف قصر يزيد مباشرة - الجهة الشرقية - وكان طرفها الأقرب للقصر هو المكان الذي دفنت فيه السيدة رقية ابنة الإمام الحسين عليه السلام (وقصة استشهادها في قصر يزيد هي أكثر من معروفة)

أما الطرف الآخر لهذه الخربة فقد كان يقع قرب البوابة الشرقية لسور دمشق، حيث جاء في الأخبار أن هذا المكان كان مهجوراً وخرباً فلقد ذكرت الكتب والأسفار التي تناولت قصة القديس حنانيا^(١) أن هذا القديس أرسله سيدنا عيسى عليه السلام إلى دمشق بعد أن وصف له هذا المكان المنزوي والمهجور والذي يختبئ فيه القديس (بولص) هرباً من بطش الروم الذين كانوا يبحثون عنه ويلاحقونه بهدف القبض عليه وقتله. ممّا سبق نستدل أن هذا المكان الخرب - موضوع الخبر - إنما هو امتداد للخربة التي دفن في طرفها الأول السيدة رقية عليها السلام.

وبذلك يكون قد أصبح معلوماً لدينا طرفان لهذه الخربة وهما يمتدان من عند قبر السيدة رقية عليها السلام إلى البوابة الشرقية لمدينة دمشق حيث مكان اختباء القديس بولص.

أما الطرف الثالث للخربة فكان توجد فيه جبانة أهل الشام حيث دلت

(١) القديس حنانيا؛ جاء في الأسفار أن هذا القديس أرسله سيدنا عيسى عليه السلام إلى دمشق كي يشفي رجلاً يهودياً اسمه (بولص أو شاول) وكان قد أصيب بالعمى فأرسل سيدنا عيسى عليه السلام القديس حنانيا إلى بولص كي يقرأ له ويشفيه من مرضه وكان يقطن في الشارع المستقيم قرب سور دمشق الشرقي فأتى حنانيا إليه وقرأ له فشفاه الله وخرج إلى الناس يعظهم ليتبعوا دين سيدنا عيسى عليه السلام مما أدى إلى ملاحقته من قبل اليهود فبتدخل القديس حنانيا مرة أخرى ويسهل له الهروب عن طريق سرداب يصل إلى خارج السور الذي تمرس عليه الجند يريدون قتل (بولص) ليصبح فيما بعد رئيس الحواريين الإثني عشر بدل الذي فدى نفسه بالمسيح عليه السلام فصلب بدلاً عنه وكنيسة حنانيا هي أول كنيسة على وجه الأرض خارج مدينة القدس والتي أصبحت مزاراً هاماً وتأتي النصارى لزيارتها من أقاصي الأرض الرحلة المدرسية ج ١ ص ١٧٨ للعلامة البلانجي ط ٣ بيروت.

الأخبار أن أهل الشام كانت تعبر منطقة شاغرة من الأهالي والسكان إلى أن تصل إلى هذه الخربة المحاذية لسور دمشق حيث مرآقد موتاهم.

من هذا الوصف السابق نستدل أن هذه الخربة كانت على شكل مثلث تقريبا رأسه عند الباب الشرقي لمدينة دمشق وقاعدته تمتد من عند قبر رقية بنت الحسين عليه السلام إلى الباب الصغير (باب الحديد) والذي يليه مباشرة جبانة أهل الشام (خارج السور) وهذه المنطقة تضم داخلها معالم آثار قديمة جداً وأهمها:

الشارع الروماني القديم والذي كان يسمى الشارع المستقيم أو الشارع الطويل وبعض المعالم المسيحية المقدسة مثل كنيسة حنانيا قرب الباب الشرقي وغيرها

هذه المنطقة التي كانت تسمى (خربة الشام) المشهورة والمهجورة إنما بعدما دفنت السيدة رقية عليها السلام في جانب فيها، أصبحت مكاناً طاهراً يرتاده محبي آل البيت عليهم السلام للتبرك والزيارة، فتم ترميم هذا الجانب من الخربة ليصبح اسمه بعد عمارته (بالعمارة) وما زال يطلق عليه اسم (العمارة) حتى اليوم وبحكم تقادم الزمن تقلصت هذه الخربة وتناقصت من أطرافها شيئاً فشيئاً^(١) وبقي الجزء الأوسط على حاله وهو الجزء الذي بات فيه الإمام عليه السلام والسبايا ليلتهم الأولى في دمشق، والمعروف أن أصل شيعة آل البيت في بلاد الشام كان قد انطلق من جبل عامل في

(١) فالطرف الجنوبي من الخربة كان شاغراً وقرب جبانة الشام خارج السور في الباب الصغير فأتمته الناس وسكنت فيه باعتباره قريب من قبور موتاهم وبوابه هامة لقاطني جنوب سوريا وشاغراً بنفس الوقت وبقي هذا الاسم ملازمه لتاريخه ليصبح اليوم (بالشاغور) أما القسم الشرقي وهو الملاصق للسور في الجهة الشرقية كان فيه معلماً مسيحياً قديماً وهاماً وهو كنيسة (حنانيا) والتي لها أهمية كبيرة عند النصارى. مما أدى فيما بعد إلى سكن النصارى حول هذا المكان وشيدت على أطرافه الكنائس المسيحية وأصبح معظم قاطني هذا الجانب من الخربة من النصارى.

لبنان والفضل الأكبر يعود فيه للصحابي الجليل أبو ذر الغفاري الذي نبذته السلطة من مكان إلى آخر حتى مات صابراً محتسباً في الربذة فكان من فضل الله تعالى على أهل بلاد الشام أن تواجد يوماً من الأيام الصحابي أبو ذر الغفاري رضي الله عنه في جبل عامل فزرع تلك البذار الطيبة والتي أثمرت عشاقاً لآل البيت عليهم السلام بعدما ركبوا سفينتهم.

فكان هؤلاء إلى جانب غيرهم يأتون لزيارة ابنة الحسين عليه السلام المدفونة في خربة الشام وكذلك المكان الذي بات فيه الإمام السجاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام.

مما أدى فيما بعد إلى أن يقطن بعض الناس في هذه الخربة ومما أدى إلى إعمارها وازدهارها شيئاً فشيئاً، وكان معظم قاطنيها هم من كانوا يكونون في صدورهم المحبة لآل البيت عليهم السلام ويتبعون مذهبهم لتتلاصق البيوت بعضها ببعض لتصبح حياً بعد ذلك ويأخذ اسمه من اسم الخربة التي بني عليها وهو (الخراب) إلى أن أتى إلى هذه المحلة العلامة والمصلح الاجتماعي الكبير السيد محسن الأمين رحمته الله.

فأرادت الحكومة الفرنسية أن تكرمه فأطلقت اسمه على الحي بدل اسمه القديم (الخراب) ليصبح اليوم (حي الأمين).

وكثير من الناس اليوم ما زالت تطلق عليه اسمه الأصلي القديم (الخراب) والمعروف أن أهل الشام تلقب المنسوبين لسيدنا محمد صلى الله عليه وآله بالأشراف ولذلك نجد من قديم الزمان أن في وسط (حي الخراب) فرع منه أطلق عليه اسم (دخلة الشرفا) والمرجح بانه سمي بهذا الاسم لأنه المكان الذي نزل فيه سيد الأشراف الإمام السجاد عليه السلام والعقيلة زينب عليها السلام ومن كان معهم من السبائيا يوم قدموا إلى دمشق وباتوا ليلتهم الأولى فيها

والذي يؤكد هذا الأمر أن فيه أول مسجد للشيعة في دمشق وأول حسينية يقام فيها العزاء السنوي واليومي واللذان ما زالوا ينبضان بالحياة حتى هذا اليوم وفيه أيضاً وقف ذري لبيت رئيس المذهب، حيث يقطنه العالم المسؤول عن أمور الإسلام والمسلمين في سوريا وكان قديماً في سوريا ولبنان والذي يقطنه اليوم العلامة السيد علي حسين مكي (أطال الله عمره) ورحم الله أباه آية الله الكبرى العلامة المجتهد السيد حسين يوسف مكي الذي كان يشغل هذا البيت والمركز قبله، وكان قد شغله قبلهما العلامة المجتهد الأكبر السيد محسن الأمين رحمته الله كما يوجد فيه أول مدرسة للشيعة بدمشق وما زالت قائمة لتاريخه، ومنذ قديم الزمان ولتاريخه لم يقطن هذا الفرع من الحي سوى كبار عائلات أهل الشام وجميعهم كانوا من الموالين لمذهب آل البيت عليهم السلام والمشهود لهم بدينهم وتقواهم.

هذا ما استطعنا أن نجعله من أمهات الكتب فاستخرجناه وعرضناه عليكم من خلال تلك الجهود المتواضعة ولكن مع توخي الحذر الشديد والاهتمام الكبير بيد أننا لم نذكر المصادر التي استقينها معلوماتنا منها لأن جميع من أتى على ذكر هذا المكان كان يشير إليه إشارة فقط مثل دفن السيدة رقية عليها السلام بخربة الشام وغيرها ولكن مما أراح فؤادنا أننا لم نجد أي عالم أو مؤرخ أو كاتب عارض ذلك، وعدم وجود الاعتراض فإن الإشارة أو الأرسال يعتبر بحكم المؤكد أحياناً والله أعلم.

القسم الثاني

قبر العقيلة زينب (عليها السلام)

قبر العقيلة زينب (عليها السلام)

من الثابت عند جميع المؤرخين وكتاب السير والأخبار أن ثمرة الرباط المقدس الذي تم بين الإمام علي وسيدتنا فاطمة الزهراء عليهما السلام كان أبناء أربعة (روايات) وهم:

الإمام الحسن عليه السلام: الذي ولد في منتصف رمضان في السنة الثالثة للهجرة.

الإمام الحسين عليه السلام: والذي ولد في الثالث من شعبان في السنة الرابعة للهجرة.

زينب عليها السلام: والتي ولدت في الخامس من جمادي الأولى في السنة الخامسة للهجرة.

أم كلثوم عليها السلام: والتي ولدت بعد أختها زينب عليها السلام بستين. هذا هو الثابت عند معظم المؤرخين بل وأن القلة منهم تذكر ابنة خامسة ومنهم من يقتصر على زينب فقط، ولا اختلاف فيما بينهم حول تسمية الإمامين الحسن والحسين إنما الاختلاف وقع في تداخل اسمي زينب عليها السلام مع أم كلثوم عليها السلام.

والثابت أيضاً بما يخص تسمية السيدة زينب عليها السلام أنها عليها السلام

عندما وضعتها الطاهرة الزهراء عليها السلام وجاءت أنثى فلم تسمها بل أخذتها إلى الإمام علي عليه السلام ليختار لها اسماً فقال الإمام علي عليه السلام: ما كنت لأسبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر، فلما جاء سأل الإمام علي عليه السلام عن اسمها

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ما كنت لأسبق ربي (تعالى)

فهبط جبرئيل عليه السلام يقرأ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم السلام من الله الجليل الأعلى وقال له: سمّ هذه المولودة زينب فلقد اختار الله لها هذا الاسم، ثم أخبره بما يجري عليها من مصائب فبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.^(١)

هذه الرواية مشهورة عند العلماء وعليه فان تسمية العقيلة زينب كان من قبل الله عز وجل مباشرة وفي روايات أخرى أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كناها بأُم كلثوم، وعندما وهب الله سيدنا علي وفاطمة عليهما السلام ابنة ثانية بعد عامين أسماها بأُم كلثوم ولا ندري إن كان هذا هو اسمها أو كنيتهما؟

إنما لم يصلنا عن طريق جميع كتب السير والأخبار إلا هذا الاسم!

مما أدى لاحقاً تداخل الأسماء ببعضها البعض

ففي مواضع كانت تذكر أم كلثوم على أنها زينب عليها السلام

وفي مواضع أخرى كانت تذكر زينب عليها السلام على أنها أم كلثوم عليها السلام وهكذا.

وبما أن هذا التداخل كان قد أربك المؤرخين لذا لا بد لنا من حسم الموقف من دلالات حسية نستقيها من مسيرة هذه البطلة الشامخة التي أصبحت مثلاً إسلامياً يحتذى

(١) زينب الكبرى من المهد إلى اللحد: ص ٢٨ ط ٢، حياة السيدة زينب ط ١، ص ٤٣.

١. لتكون البداية من عند جدّها رسول الله ﷺ الذي آلى على نفسه أن يسميها عندما ولدت إلى أن اسمها الله تعالى (زينب) وأنه ﷺ كناها بأُم كلثوم وأنهما ﷺ والداها الإمام علي والسيدة الزهراء عندما ولدت لهما ابنة ثانية بعد حوالي سنتين اسمياها أم كلثوم.
٢. في أيام أبويها ﷺ لم يكن متداولاً مناداتها بأُم كلثوم بل كانت هذه الكنية تنادى بها أختها الصغرى.

وإليك شاهد:

وهو عندما قبضت والدتها الزهراء ﷺ وبعد أن أدرجها الإمام علي ﷺ في أكفانها طاهرة مطهرة فلم يعقد الخيوط على الكفن، ونادى بصوت مختنق بالبكاء يا حسن، يا حسين، يا زينب، يا أم كلثوم وفي رواية ويا فضة (خادمتها) هلموا تزودوا من أمكم، فهذا الفراق واللقاء في الجنة

٣. في واقعة الطف: عندما عزم الإمام الحسين على ملاقاته الخطوب ومواجهة الأعداء جاء إلى الخيام لتوديع أهله وعياله فنادى ﷺ يا زينب يا أم كلثوم يا سكيئة يا فاطمة

عليكن مني السلام، ثم جعل يوصيهن بالصبر والسكينة والتسليم لقضاء الله ولعدم الإطالة سنكتفي بهذين الشاهدين لتوضيح هذه الفكرة بيد أن الروايات التي نقلها المؤرخون عن آل البيت ﷺ على وتيرة هذين الشاهدين هي كثيرة ولا يختلف بعضها عن بعض كثيراً إلا أن ما وصل إلينا عبر كتب التاريخ وهو ما فاض به يراع المؤرخين وأصحاب السير والأخبار كان متشابكاً جداً مما كان يسبب للمهتمين بعض الإرباكات والصعوبة من استنتاج المعلومات الدقيقة

ولما كان هذا الأمر تعوّل عليه أمور هامة وخاصة فيما يخص العقيلة زينب عليها السلام والمكان الذي دفنت فيه وتعدد آراء الباحثين والرحالة والمؤرخين حول صحة مكان وجوده ،

فقد كانت منا هذه المساهمة المتواضعة، عسى ولعل أن نكون بهذا المجهود الضئيل والذي يصغر ويتقزم كثيراً أمام عمالقة الفكر وجهابذة العلم والقلم، فيمنّ الله علينا بفضله الكريم ونستطيع أن نقدم ولو جزءاً يسيراً جداً من المعرفة التي سبقتنا إليها تلك الأقلام الخيرة والعقول النيرة والتي لولاها لما فصح لسان ولما تنور عقل وما نحن أمامها سوى نقطة من بحرها الواسع وورقة صفراء ذابلة من شجرتها الباسقة والمعطاءة

أم كلثوم عليها السلام الابنة الصغرى للإمام علي عليها السلام

بات من المسلم به أن السيدة أم كلثوم عليها السلام هي الأخت الصغرى للسيدة زينب عليها السلام ولكن عندما لحق باسم العقيلة زينب عليها السلام كنيتهما والتي هي (أم كلثوم أيضاً) وترددت هذه الكنية التي كنيته بها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله (روايات) في كتب التاريخ والسير والأخبار حتى باتت تلك التسمية متداولة فيما بينهم أضعاف اسمها الأول.

لذلك توجهت افكارنا إلى توجيه الضوء على هذه السيدة الفاضلة أم كلثوم الابنة الصغرى للإمام عليها السلام والتي كان يتردد اسمها الشريف مقروناً بالأفعال المشرقة والصادقة دأبها دأب جميع عقيلات بيت المصطفى

فبعد تردد اسمها عليها السلام في كتب التاريخ بعدة إشارات فكانت أهمها هذه الثلاث أم كلثوم، وأم كلثوم الصغرى، وزينب الصغرى مما ساهم لاحقاً في تعدد الآراء حول مرقدتها ومرقد العقيلة زينب عليها السلام

ولما كان تحديد التاريخ الذي توفيت فيه السيدة أم كلثوم عليها السلام صغرى بنات سيدنا علي عليه السلام يقطع نصف الطريق للوصول إلى الحقيقة الكاملة، كان لا بد لنا من توجيه اهتمامنا إلى هذه الناحية الهامة

فمن مطالعتنا خلصنا إلى ما يلي:

السيدة أم كلثوم عليها السلام هي صغرى أبناء وبنات سيدنا علي والزهراء والبتول عليهن السلام ولقد أبصرت نور الحياة بعد أختها العقيلة زينب عليها السلام بسنة أو سنتين (روايات) والأقوى سنتان. وحببت وتدرجت ووعت بين أشرف وأسمى وأطهر خلق الله كلهم وهم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأبواها علي وفاطمة عليهما السلام وأخواها الحسنان عليهما السلام وأختها زينب عليها السلام فاستقت من العلم والحلم والشرف وهي فيما بينهم مارفع مكانتها على متناول أيادي عامة الناس بلا استثناء

وكان وقع تأثير وجودها في واقعة الطف له بالغ التأثير على جيوش الأعداء إلى أن وصلت إلى دمشق ووقفت تلك الوقفة الشامخة أمام يزيد ومن ثم الوصول إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي تساعد العقيلة زينب عليها السلام كي يصل الركب بخير وسلامة وخاصة الإمام السجاد عليه السلام

أضواء على حياة السيدة أم كلثوم عليها السلام

المحطة الأولى التي مرت بحياة هذه المرأة الفاضلة هي وفاة والدتها الزهراء عليها السلام وهي ما زالت طفلة ودعية صغيرة ولها من العمر ما بين سنتين إلى أربع سنوات (روايات) ومن ثم توالى عليها الخطوب عليها السلام فشهدت مصرع أبيها الإمام عليه السلام وإخيهما الإمام الحسن الزكي عليه السلام أما مأساة كربلاء التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام وأقمار وبدور بني هاشم فلم تزل مشاهدتها عالقة في ذهنها إلى أن قضت نحبها من حزنها عليهم فكانت نهاية أحزانها وبداية سعادتها الأبدية عندما انضمت إلى ركب هؤلاء الشهداء في جنات النعيم والخلد.

قصة زواجها من الخليفة الثاني

لقد أشتهرت هذه القصة كثيراً وخاصة عند الفريق الآخر، فكنت تقرأ عنها في كتب التاريخ وكتب تراجم الصحابة... الخ وهذه القضية موجودة في بعض كتبنا أيضاً إلا أنها على رغم اشتهارها وكثرة رواياتها فهي غير موجودة في الصحيحين ولا في الصحاح الستة كلها. وكذلك لم يرو أحدٌ من الأئمة الأطهار عليهم السلام شيئاً عن هذه القضية ورغم ذلك فإن هذه القضية أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام كتاب السيرة والأخبار لذا كان لابد لنا من الوقوف عند هذه المسألة بشكل جدي ومعرفة بعض تفاصيلها.

ولتوخي الدقة والإختصار اخترنا لك هذه القصة حسب ما جاء في محاضرات في الاعتقاد الجزء ٢ للسيد علي الميلاني ص ٦٩٥-٦٩٦ مع التأكيد مرة أخرى أن الخبر ضعيف ولكن لا بأس من ذكره لاشتهاره يقول الخبر:

لما خطب عمر أم كلثوم عليها السلام قال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنها صبية (ويقصد أنها تحت سن الزواج)

قال: فلقى العباس عم الرسول صلى الله عليه وآله فقال له: ما لي؟ أبي بأس؟ ثم أردف قائلاً: خطبت إلى ابن أخيك فردني!! أما والله لأعورن زمزم ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها، ولأقيم عليه شاهدين بأنه سرق ولأقطعن يمينه!

فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه، فجعله إليه، فزوجها العباس.

تتمة الرواية

ويقال: إنها ولدت لعمر ولدأ أسماه زيد

وأنها عليها السلام ماتت هي وابنها زيد في يوم واحد في عهد معاوية كما أن الرواية تمتد إلى ما بعد عمر بن الخطاب وفيها مفارقات عجيبة لا مجال لذكرها في مقامنا هذا.

إلا أن أهم ما يفيد بحثنا (من هذه الرواية) أنها عليها السلام قد ماتت في عهد معاوية فإذا كان الأمر كذلك فمن تلك التي كانت مع الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف؟ وأثارت تلك العاصفة على جند يزيد يوم خطبت فيهم تلك الخطبة الصاخبة ثم انتقلت مع السبايا من بلد إلى بلد إلى أن عادت معهم ومع الإمام السجاد والعقيلة زينب عليها السلام (أجمعين) إلى مدينة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله

ولقد قرأنا تفسيراً منطقياً لهذه الرواية عند السيد المرعشي في كتابه

شرح إحقاق الحق ج ٣ ص ٣١٥

يقول الخبر:

إن الذي تزوجها عمر بن الخطاب هي ابنة أبي بكر من زوجته أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية الصحابية الشهيرة الجليلة من المهاجرات الأول

هاجرت مع زوجها الأول جعفر بن أبي طالب إلى الحبشة ثم تزوجها بعد جعفر عليه السلام أبو بكر، فولدت له منها عدة أولاد منهم أم كلثوم ومحمد بن أبي بكر اللذان تربيا في بيت الإمام علي عليه السلام وكان يخاطبهما عليه السلام يا بني وابنتي فمن هنا سرى التوهم عند المحدثين والمؤرخين أن أم كلثوم هذه هي ابنة الإمام عليه السلام وتلك التي خطبها عمر من الإمام عليه السلام وتزوجها، وولدت له زيد بن عمر (رواية)

فإذا كان زواج عمر من أم كلثوم صحيحاً فإن هذه الرواية تكون أدق من غيرها لأن نخبة من المؤرخين تؤكد أن أم كلثوم عليها السلام ابنة الإمام علي عليه السلام لم تكن بعمر الزواج عندما دخلت بيت عمر ومات قبل بلوغها

وفاة أم كلثوم بنت الإمام علي عليه السلام ومكان دفنها

الخبر الأول: يقول الخبر إنها ولدت زيد بن عمر بن الخطاب وأنها ماتت وابنها في يوم واحد وشيعاً معاً وصلي عليهما معاً وعن الشعبي قال: صلى عليهما عبد الله بن عمر (رواية).

الخبر الثاني: أن هذه السيدة الفاضلة الجليلة شهدت واقعة الطف إلى أن عادت مع السبايا إلى المدينة يقول الخبر: بعد رجوعها من كربلاء مكثت في المدينة أربعة أشهر وعشرة أيام ولم تزل تزداد فيه من البكاء والكآبة والحسرة وإقامة العزاء والنواح إلى أن توفيت (رحمها الله). ولم يثبت أنها عادت إلى الشام نهائياً مع العقيلة زينب عليها السلام رواه ابن هيثم في تنقيح المقال للخاقاني

أخذناه عن كتاب مرقد العقيلة زينب عليها السلام للسابق ص ١١٣

مما سبق نستنتج ان من بقي على قيد الحياة من أبناء الإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليهما السلام إلى سنة ٦٥ هجرية هي العقيلة زينب بنت الإمام علي عليه السلام دون غيرها.

وهي التي ما أن وصلت إلى مدينة جدها رسول الله ﷺ بعد أن شهدت وقائع كربلاء والذل والإهانة الذي تعرض له ركب الإمام السجاد إلى أن وصل إلى قصر يزيد بدمشق

لتبدأ تلك القامة الشامخة من عند يزيد مسيرتها الظافرة ضد حكم الجاهلية في الأرض المتمثل بيزيد وأعوانه ، وتستمر العقيلة زينب عليها السلام بهذا الجهاد المتواصل حتى بعد أن وصلت إلى المدينة المنورة ولتزداد حدة وقوة مما أثار حفيظة يزيد فأمر واليه أن يسيرها إلى دمشق (رواية). فكانت رحلتها الثانية إلى بلاد الشام.

بيد أن هذا الترحال الجديد للعقيلة زينب عليها السلام كان مثار جدل وخلاف ما بين العلماء والمؤرخين فمنهم من وافق الرأي على أنها قدمت إلى دمشق ومنهم من رجح انتقالها هذه المرة إلى مصر.

لم يدخل أحد من صلب الإمام علي (ع) - المباشر - إلى مصر نهائياً^(١)

وبما أن بعض الرواة والمؤرخين ينحازون إلى مقولة أن قبر السيدة زينب عليها السلام هو في مصر، لذا كان لزاماً علينا التفتيش الدقيق في كتب التاريخ واستخراج المعلومة الصحيحة والدقيقة:

فمن مطالعتنا وجدنا ما يلي:

لم يحدثنا التاريخ أن أحداً من صلب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (المباشر) قد دخل إلى مصر نهائياً ولقد اعتمدنا على ذلك من خلال أربعة مصادر هامة وردت في كتاب مرقد العقيلة زينب عليها السلام للسابق ص ٣١.

١. الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي المتوفى ٥٧٦ هـ قال:

(لم يمت لعلي عليه السلام ولد لصلبه في مصر).

(الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة ص ٤ وص ٣٠ وص ٣٤٢ طبعة

مصر).

٢. الحافظ والمؤرخ الكبير أبو محمد حسن بن إبراهيم من ذولاق الليثي

المصري المتوفى عام ٣٨٧ هـ قال:

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام للسابق ص ٣٢ ومسيرها .

أول من دخل من ولد علي عليه السلام سكينه بنت علي بن الحسين عليه السلام (١).

٣. المقريري وابن دقماق قالا:

إن أول علوي قدم مصر هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام

دخلها في إمارة يزيد بن حاتم المهلبى سنة ١٤٥^(٢)

٤. المؤرخ الكبير الحافظ أبو عبد الله شمس محمد بن ناصر الدين الأنصاري المتوفى ٨١٤ هجرية قال:

لم أجد أحداً من أرباب التاريخ من صحيح مشهدا بغير القرافة من أولاد علي عليه السلام الا المشهد النفيسى لأنها أقامت به في أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها

تلك كانت شهادات من كبار العلماء المصريين الذين نفوا أن يكون في مصر أي قبر لأبناء سيدنا علي عليه السلام

والعقيلة زينب عليها السلام ليست شخصية عادية حتى يمر على ذكرها العلماء المختصين مرور الكرام، فلو كانت مدفونة في التربة المصرية لكان أول من ذكرها هم هؤلاء العلماء المصريون لأهميتها أولاً ولقرب نسبها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

علماً بأن محمد بن الربيع الخبيري الشافعي ترجم لأكثر من مائة منهم وليس فيهم ذكر للسيدة زينب عليها السلام أو دخولها إلى مصر وموتها فيها

(كتاب حسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٩٩ ط النيل بمصر).

(١) (تحفة الأحياب للسماوي ص ١١٥)

(٢) (الخطط المقريرية ج ٣ ص ١٩٣ والانتصار ج ٢ ص ٦٥ في بولاق)

لم يدخل أحد من صلب الإمام علي (ع) - المباشر - إلى مصر نهائياً

أما الرحالة الذين جابوا طول البلاد وعرضها وضبطوا تلك المشاهد والآثار وأماكن العبادة والمقابر...

وخاصة هؤلاء المهتمين منهم بذكر المقابر التي دفن فيها أعلام الأمة الإسلامية فقد خلت كتبهم عن ذكر قبر العقيلة زينب عليها السلام في مصر وإليك أقوال خمسة رحالة مهمين منهم:

١. الهروي: وهو أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى ٦٦١ هـ قال في كتابه (الإشارات في معرفة الزيارات) فقد ذكر في كتابه هذه المشاهد:

أ. مشهد السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي عليه السلام.

ب. ومشهد فاطمة بنت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام.

ج. ومشهد آمنة بنت محمد بن علي بن الحسين عليه السلام.

د. ومشهد رقية بنت علي عليه السلام (١).

٢. ابن جبير الأندلسي: وهو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الغرنافي المتوفى ٦١٤ هجرية بمصر قال:

دخلت مصر وشاهدت مشاهد أهل البيت وعددها أربعة عشر مشهداً للرجال وخمسة للنساء وذكر العلويات ومشاهدهن فكانوا:

مشهد أم كلثوم بنت قاسم ومشهد زينب بنت يحيى المتوج ومشهد

أم كلثوم بنت محمد بن جعفر ومشهد أم عبد الله ومشهد مريم بنت علي ولم يذكر مشهداً للعقيلة زينب عليها السلام وهي الأهم من الجميع (٢).

٣. ابن بطوطة المغربي: وهو أبو عبد الله بن بطوطة المغربي المتوفى

(١) (الإشارات في مودة الزيارات ص ٣٥)

(٢) (رحلة ابن جبير ص ١٣-١٤).

٧٧٧ هجرية دخل مصر وذكر جملة من مشاهد مصر من آل البيت ولم يذكر السيدة زينب عليها السلام ^(١).

٤. الحموي البغدادي: وهو ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي المتوفى ٦٢٤ هجرية وعدد مشاهد ومزارات معروفة للعلويات ولم يتطرق لذكر مشهد للعقيلة زينب عليها السلام ^(٢).

٥. ابن شاهين الزاهري: وهو غرس الدين خليل بن شاهين الزاهري الإسكندرني المصري المتوفى ٨٧٣ هجرية ذكراً عدداً وافياً من العلويات ومشاهدهن وعددهن وكلهن علويات يتصلن بالإمام علي عليه السلام كما ذكر البنين أيضاً ولكن لم يأت على ذكر مشهد زينب بنت علي عليها السلام وهي المتصلة مع الإمام علي عليه السلام مباشرة ^(٣).

تلك كانت شهادات من علماء ومؤرخين ورحالة كان دأبهم الوحيد هو التفتيش والتمحيص عن معلم مهما صغر حجمه ليذكروه من كتبهم توخياً للأمانة والدقة فلو كانت العقيلة زينب عليها السلام لها مشهد في مصر لما تأخر أحدهم على ذكر مكان قبرها ووصفه بالتفاصيل الدقيقة بكل رحابة صدر، وما غفل عن هؤلاء وذكره غيرهم يعد تضارب في الآراء فكان يحتاج إلى براهين قوية كالذي جاء به الرحالة أبي عبد الله محمد الكوهيني الفاسي الأندلسي الذي دخل مصر عام ٣٦٩ بعهد الخليفة الفاطمي أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبو تميم الكاظمي ووصف المشهد الزينبي بعلوه ومساحته وجمال زخرفته فلو كان هذا صحيحاً كيف يغيب عن الرحالة والمؤرخين غيره وهو على هذه العظمة من

(١) (رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٣٠)

(٢) (معجم البلدان ح ٤ / ص ٥٥٤ / ط أوروبا)

(٣) (زبدة كشف السالك ص ٣٦ ط باريس ١٩٨٣ م).

لم يدخل أحد من صلب الإمام علي (ع) - المباشر - إلى مصر نهائياً

الخارج والشرف الرفيع من الداخل حيث أن المدفون فيه هو بضعة
الزهراء عليها السلام

علما أن الرحالة الكوهيني دخل مصر في بداية محرم ولم يأت على
ذكر تلك الحشود الهائلة التي كان من المفترض أن تتواجد عند قبر
العقيلة زينب عليها السلام بينما كانت المآتم الحسينية تقام عند قبر السيدة
نفيسة وأم كلثوم عليهما السلام فمن باب أولى أن تتزاحم هذه الحشود عند
صاحبة المصيبة الكبيرة والتي عاشتها ساعة بساعة ويوماً بيوم حتى أنها
سميت أم المصائب فتركوا الأصل وذهبوا إلى الفرع.

أماكن الزيارات في مصر^(١)

إن أهل مصر كان لهم اهتمام كبير بضبط الوقائع في بلادهم وخاصة فيما يمت بصلة بأهل بيت سيدنا محمد ﷺ ولقد زهر ذلك كثيراً في عهد الخلافة الفاطمية مما كان لأهل البيت ﷺ كرامة كبيرة عندهم ولقد أفرزت تلك الحقبة من الزمن الكم الوفير من المخطوطات والآثار النفيسة التي دأب عليها رجالهم فكان شغلهم الشاغل هو التحقيق والتفتيش والتقصي المضمني والمستمر في سبيل إثبات وجود معلم من معالم أهل البيت ﷺ في مصر.

فكان من أوائل ملوك الفاطمية والذي أولى اهتماماً كبيراً لهذا الموضوع هو عز الملك محمد بن عبد الله الحراني المتوفى سنة ٤٥٠ هجرية والذي ألف في أخبار مصر حوالي ثلاثة عشر ألف ورقة

عن رواية ابن خلكان وابن تفرى بردى

تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٦٥٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١

وفيما يلي نورد لمحة عن أهم مؤرخي مصر الذين ساهموا بشكل فعال في تأريخ تاريخها ومعالمها وأهم آثارها ومنهم:

١. المقرئزي: وهو أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئزي المتوفى ٨٤٥

(١) مرقد العقيلة زينب ﷺ للسابق ص ٣٢ وما بعدها.

هجرية ولد في مصر وتفقه على مذهب أبي حنيفة وله في تاريخ مصر وأخبار الفاطميين كتب قيمة ولقد ذكر المشاهد المتبركة عند أهل مصر المقصودة للزيارة وعد منها مشهد زين العابدين (يعني مشهد رأس زيد بن علي المدفون بمصر) ومشهد أم كلثوم بنت محمد بن جعفر الصادق عليه السلام ومشهد السيدة نفيسة... وذكر المشاهد كلها في مصر وقال:

بخارج باب النصر في أوائل المقابر قبر زينب بنت أحمد بن جعفر بن محمد بن الحنفية، يزار وتسميه العامة مشهد السيدة زينب^(١).

وهذا التقديم من المقرئزي يعتبر شهادة هامة بأن القبر الذي يزار للسيدة زينب في مصر هو ليس للعقيلة عليها السلام وفي مكان آخر يعدد المشاهد العلوية التي كانت تقام فيها المجالس الحسينية والاحتفالات بيوم عاشوراء فيذكر أن الناس كانت تجتمع عند مشهد أم كلثوم والسيدة نفيسة اللتين تمتان بصلة للإمام علي عليه السلام عن طريق أبنائه واجتماعهم في يوم عاشوراء عند هذين المشهدين وعدم الاكتراث بمشهد السيدة زينب هو دليل هام بأن المدفونة في هذه الجبانة غير ابنة الإمام علي عليه السلام، حيث من الاستحالة ان تكون ابنة الإمام علي عليه السلام وأخت الحسين الشهيد عليه السلام صاحب هذا العزاء موجودة في مصر فيترك الناس قبرها ويقدمون العزاء لغيرها ولو كانوا ذوي قرىبي.

٢. ابن الزيات الأنصاري وهو:

الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري

المصري المتوفى سنة ٨١٤ هجرية

صاحب كتاب الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة المشهور وذكر

(١) (الخطط المقرئزية ج ٢ ص ٢٨٩ و ج ٣ ص ٣٣٤-٣٥٣ ط بيروت).

في هذا الكتاب جميع المسميات بزینب المدفونات في مصر وغيرهن أيضاً من غير أن يقرب لا من بعيد ولا من قريب للسيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام فلو كانت العقيلة عليها السلام بضعة الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام مدفونة بمصر لما فاته ذكرها، بل لكان ذكرها بكل افتخار حتى أنه صرح بكل وضوح في مقدمة كتابه بعدم دخول ولد للإمام علي عليه السلام إلى مصر^(١).

٣. ابن الناسخ المصري وهو: مجد الدين ابن الناسخ المصري المتوفى حوالي سنة ٨٠٠ هجرية واسم كتابه (مصباح الدياجي وغوث الراجي) وهو موجود في الخزانة التيمورية بالقاهرة على شكل مخطوط تحت رقم ٨٤ في فهرس البلدان وقد نوه بأن في القاهرة عدة قبور لأهل البيت هي من أجل الرؤيا ولا تستند إلى مسند تاريخي ومنهم قبر السيدة زينب بقناطر السباع واكتفى بكلمة زينب فقط ولم يصرح بأنها بنت الإمام علي عليه السلام.

٤. الحافظ السماوي وهو: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن أبو الخير السماوي المصري المتوفى سنة ٩٠٢ هجرية نابغة عصره في الفقه والعربية والقراءات والتاريخ والرجال وله ترجمة وافية ومستوفية للعقيلة زينب بنت الإمام علي عليه السلام بيد أنه لم يصرح بأن قبرها موجود في مصر

٥. ابن ظهيرة المصري وهو: ابراهيم علي بن محمد بن ظهيرة المخزومي المؤرخ المصري المتوفى سنة ٨٩١ هجرية وله كتاب حافل في تاريخ مصر واسمه (الفضائل الباهرة في محاسن مصر القاهرة) وقال فيه إن محاسن أهل مصر اختصاصهم بضريح السيدة نفيسة بنت

(١) راجع كتاب الكواكب السيارة لابن الزيات الأنصاري

زيد بن الحسن الأنور المتوفاة سنة ٢٠٨ هجرية ومشهدها المعروف بجوار بيوت الخلفاء العباسيين بمصر فلو كانت العقيلة زينب بنت الإمام علي عليه السلام مدفونة بمصر لما تأخر أحد عن ترجمتها والدلالة على قبرها.

٦. نور الدين السخاوي وهو: الحافظ نور الدين السخاوي أبو الحسن علي بن أحمد بن عمرو بن خلف السخاوي الحنفي المصري تلميذ ابن الزيات المتوفى ٨١٤ هجرية له في تحقيق المزارات المصرية كتاب جليل واسمه (تحفة الأحياب) ترجم فيه عدة علويات مسميات بزینب المدفونات بمصر وقال: ليس هنالك قبر للسيدة زينب الكبرى بنت علي عليه السلام عين ولا أثر

٧. الحافظ السيوطي وهو: الحافظ الكبير والمؤرخ المتتبع جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المصري المتوفى سنة ٩١١ هجرية وله مؤلفات كثيرة وهو المعروف بغزارة العلم وسعة الإطلاع وكتابه في تاريخ مصر اسمه (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) وله أيضاً كتاب في تراجم الصحابة والصحابييات الذين دخلوا مصر أو ماتوا فيها واسمه ((در السحابة فيمن دخل من الصحابة) وله كتاب خاص عن الزينبيات واسمه العجاجة الزرنبية في السلالة الزينبية) والمعرفة بـ (الرسالة الزينبية) وهي ذائعة الصيت ولا يوجد في هذه الرسالة ولا بكتابه السابقين أدنى إشارة إلى أن السيدة زينب بنت الإمام علي عليه السلام قد دخلت إلى مصر وتوفيت ودفنت فيها.

٨. ابن تغري بردى وهو: جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردى المتوفى سنة ٧٠٤ هجرية وله في تاريخ مصر وأخبار ملوكها وأمرائها وخلفائها تأليف ضخم في غاية المتانة واسمه (النجوم الزاهرة

في أخبار ملوك مصر والقاهرة) وذكر في كتابه السيدة نفيسة ولم يذكر العقيلة زينب عليها السلام أنها أتت مصر ودفنت فيها.

٩. ابن دقماق المصري وهو: ابن دقماق ابراهيم بن محمد ايدمر العلائي المصري المتوفى سنة ٧٩٢ هجرية وله في أخبار مصر وخططها وخلفائها كتاب حافل واسمه (الانتصار لواسطة عقد الأمصار) وقال فيه: إن أول علوي دخل مصر هو محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى عام ١٤٥ هـ وليس فيه ذكر للعقيلة زينب عليها السلام.

١٠. ابن ميسر المصري وهو: المؤرخ المصري الكبير محمد بن علي بن ميسر المتوفى سنة ٦٧٧ هجرية وله كتاب حافل يعج بأخبار وحوادث مصر والفاطميين وليس فيه ذكر للعقيلة زينب عليها السلام.

تلك كانت عشرة شهادات دامغة من أكثر الناس اهتماماً بتاريخ مصر جميعها تدفع الشبهات عن قبر العقيلة زينب عليها السلام او عن أي ابن ذكر أو أنثى للإمام علي عليه السلام أنه دخل مصر ودفن فيها رغم تمنى الكثير أن تكون هذه البضعة الطاهرة موجودة عندهم لرفعة مقامها وعلو نسبها وعفتها وطهارتها.

العهد الفاطمي ومرقد العقيلة زينب عليها السلام

لقد كانت الدولة الفاطمية ومقرها مصر من أوفر الدول الإسلامية بهاءً وازدهاراً، وزهت الحركات العلمية فيها زهوا باهرا وخير دليل شموخ جامع الأزهر حيث كان وما يزال شاهداً حياً على عظمة هذه الدولة وازدهارها.

وبحكم انتماء مذهب الدولة لأهل البيت عليهم السلام فقد كانوا يقصدون تلك الشعائر الدينية التي أمر الله أن تعظم لأنها من تقوى القلوب، فكانوا يحتفلون في كل عام بعيد الغدير وإحياء ذكرى عاشوراء وكانت تتم هذه الاحتفالات في الأفراح والأتراح عند مشهد السيدة نفيسة ومشهد أم كلثوم بنت محمد بن جعفر الصادق عليهما السلام واستمر دأبهم عليها هكذا حتى انقضت أيامهم وزالت دولتهم^(١).

فلم يذكر التاريخ الفاطمي أن أحداً من خلفائه كان قد أحيا هذه الاحتفالات في مكان آخر غير الذي ذكرناه أعلاه.

والسؤال الذي يطرح نفسه بشدة:

كيف أنهم يختارون الاجتماع لذكرى عاشوراء عند مشهد السيدة نفيسة والسيدة أم كلثوم بنت محمد ولا يتوافدون على قبر العقيلة زينب عليها السلام صاحبة العزاء الأول في مصر فيتركون الأصل ويذهبون إلى

(١) راجع الخطط المقرزية ج ٢ ص ٢٨٩

الفرع !!.

تلك كانت دالة هامة على أن قبر العقيلة زينب عليها السلام في مصر وهم من الأوهام التبس على المؤرخين فيما بعد.

وأما قبور العلويات التي كانت تزار في العهد الفاطمي وكان يقصدها الخلفاء وعامة الناس هي:

قبر السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد بن الحسن بن علي عليه السلام.

قبر السيدة أم كلثم (أم كلثوم) بنت محمد بن جعفر الصادق عليه السلام.

قبر السيدة زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور.

وفي عام ٥١٦ هجرية أمر وزير الخليفة الفاطمي الأمر بالله المأمون البطائحي وهو أبو عبد الله محمد بن الفانك وزير الخليفة الفاطمي الأمر بالله بتجديد مرقد أم كلثوم وزينب فكان تشابه هذه الاسماء مع حرائر رسول الله صلى الله عليه وآله وشهرتها ومقامها العلي أدى إلى اطلاق الاسم والتصاقه مع العقيلة زينب عليها السلام.

والشواهد الثابتة التي ذكرناها فيما سبق فيها دلالة واضحة وضوح الشمس على أن العقيلة زينب عليها السلام لم تر مصر في حياتها أو دفنت فيها بعد مماتها ونحن لا ندعي بأنه لا يوجد قبر لزينب في مصر إنما حتماً ليس للعقيلة زينب عليها السلام.

العقيلة زينب عليها السلام والسلطة الأموية

ان الصيت العظيم والشائع الذي فرضته العقيلة زينب عليها السلام كبرى بنات سيدنا علي عليه السلام والمكناة بأم كلثوم جعل المهتمين بهذه الشخصية الفريدة يذكرون اسمها على صفحات التاريخ الإسلامي بأحرف من نور، لما كان لها من عظيم الفضل وجرأة المواقف التي ساهمت بشكل واضح وكبير في إرجاع المسيرة الإسلامية الطاهرة إلى طريقها القويم، التي بدأها جدّها المصطفى صلى الله عليه وآله وتابعها من بعدها أبوها الإمام علي عليه السلام وأخوها الإمام الحسن عليه السلام إلى أن وصلت منهكة القوى منحرفة عن مسارها يوم وصلت إلى أخيها الإمام الحسين عليه السلام والذي تصدى إلى هذا الانحراف الخطير بروحه الطاهرة والتي وهبها خالصة لوجهه تعالى في سبيل إصلاح ما انهدم من أركان هذا الدين الحنيف والذي هو حمل آل بيت رسول الله الطاهرين المطهرين دون غيرهم من سائر المسلمين والمسلمات فبذلوا من أجله - رخيصةً - النفس والروح

ولما كان دور العقيلة زينب عليها السلام حاسم وفعال بعد واقعة كربلاء واستشهاد أخيها الإمام الحسين عليه السلام ووصول الإمامة إلى ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام

وكذلك تلك الأحداث الصاخبة التي كانت عنواناً لتلك الفترة، والتعطيل الجريء والكبير لحدود الله من قبل السلطة الأموية الحاكمة.

وعدم تمتع الخليفة وجميع ولاته في طول البلاد وعرضها بأبسط القواعد والصفات المطلوبة بالحاكم العادل وحكم العباد والبلاد بالقهر والجور والظلم وإرجاعهم إلى حكم الجاهلية الأولى.

ولما كان الإمام السجاد عليه السلام في وضع خطير وأسلحة السلطة بكافة صنوفها متجهة نحوه تريد القضاء على حياته بأي وسيلة كانت وهو البقية الباقية من الذرية الطاهرة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والعشرة الوحيدة الباقية في طريق هؤلاء الكفرة والفجرة الذين تسلطوا على رقاب الناس وسلبوها من أئمة هذا البيت الطاهر والذي يمثله اليوم الإمام علي بن الحسين عليهما السلام والتخلص منه يعد بالنسبة اليهم إزالة آخر العقبات التي تفتح لهم آفاق الحكم المديد والطويل والتسلط على رقاب الناس ما طاب لهم ذلك

من هنا برز دور العقيلة زينب عليها السلام فإمام زمانها يحدق به الخطر الجسيم من كل جانب والذئاب المسعورة لم تبق بعد كربلاء من هذا البيت الطاهر سواه.

والحمل الثقيل الذي ألقى على عاتق الإمام السجاد عليه السلام لا بد له من النهوض به على رغم جميع العراقيل حتى ولو كانت بحجم الجبال، فلا بد لإمام الزمان عليه السلام أن يمضي بمشواره إلى أن يأذن الله تعالى.

والإمام السجاد عليه السلام وعى هذا الأمر وعرفه قبل وقت طويل وكذلك أبوه الإمام الحسين عليه السلام الذي تبصر للأمر قبل استشهاديه وقدره حق قدره فأوعز لأخته العقيلة زينب عليها السلام وأوصاها بإبنيه الإمام السجاد عليه السلام على أن تكون بجانبه ولا تفارقه نهائياً إلى أن يزول عنه الخطر وتعود الأمور إلى نصابها فأوصاها عليها السلام قبل استشهاديه وهو ما جاء في مقتل الحسين للمقرم ص ٢١٨.

عن أحمد بن إبراهيم قال:

دخلت على حكيمة بنت محمد بن علي الرضا أخت أبي الحسن العسكري عليه السلام سنة ٢٨٢ بالمدينة وكلمتها من وراء حجاب فقالت: إن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنه أوصى إلى أخته زينب في الظاهر فكان ما يخرج من علي بن الحسين من علم ينسب إلى زينب تستراً على علي بن الحسين عليه السلام....

لذلك كان على العقيلة زينب عليها السلام القيام بالواجب المقدس المحتم عليها والتصدي للإمامة عن طريق إمام زمانها الإمام السجاد عليه السلام وهذا الواجب المقدس الذي مضت فيه عليها السلام كانت قد أدته بما يرضي الله ورسوله تحت إشراف الإمام السجاد عليه السلام فوقفت تلك الوقفة الشامخة في وجه القتلة والغاصبين مما أقلق راحتهم وأثار ضغينتهم فوجهوا سهام حقدهم نحوها إلى أن وصلت الأمور إلى غايتها فصدر الفرمان الفرقان الملكي بنفيها وإخراجها من مدينة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله (رواية).

وفي روايات أخرى: أنها خرجت من المدينة في عام المجاعة وتوجهت إلى دمشق حيث أملاك زوجها عبد الله بن العباس عليه السلام في راوية الشام.

العودة إلى دمشق

بات من الثابت والأكيد أن العقيلة زينب عليها السلام قد خرجت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله بناءً على أمر السلطة في دمشق أو لأسباب أخرى (روايات).

ولكن الأمر الذي التبس على المؤرخين هو هذا السؤال ذو الشقين:

هل قدمت إلى دمشق؟

أم أنها توجهت إلى القاهرة؟

أما الشق الثاني فلقد أسهنا في الاجابة عنه من خلال الصفحات السابقة حيث وصلنا إلى النتيجة التالية:

١. لم يدخل أحد من صلب الإمام علي عليه السلام - المباشر - إلى مصر نهائياً.

٢. جميع المزارات والقبور التي ذكرها المؤرخون والرحالة الذين خاضوا في هذا الموضوع كانوا قد جزموا بأنه لا يوجد في مصر قبر لزينب عليها السلام.

٣. إن قبر زينب الموجود في مصر هو صحيح ولكنه ليس للعقيلة زينب عليها السلام بل هو وحسب شهادة كبار العلماء وثقاتهم هو: لـ زينب بنت يحيى المتوج بن الحسن الأنور بن زيد بن الحسن السبط بن

علي بن أبي طالب ويذكر المؤرخون أنها كانت امرأة سالحة ولها كرامات كثيرة يطول ذكرها في هذا المقام

هذا ما استطعنا أن نجعله ونضعه بين أيديكم، بجهودنا المتواضعة التي تتقزم كثيراً أمام ساداتي وقدوتي من العلماء الأفاضل الذين كان لهم فضل السبق بالتحري والتحقيق والتدقيق والكتابة بحق هذه الإنسانية الطاهرة الفاضلة العالمة غير المعلمة بيد أن ما وصلنا إليه كان قد أثلج صدورنا وراح ضميرنا وبلغنا فيه غاية السعادة ومرتجى الأمل مع العلم بأنه صحيح بل ويحتمل الخطأ مقابل أن الآراء المخالفة خطأ مع الاحتمال الضعيف أنها تحمل الصحة والله أعلم.

أما الجواب عن السؤال الأول وهو متفرع لعدة اتجاهات وهي:

هل قدمت العقيلة زينب عليها السلام إلى دمشق في رحلتها الثانية؟

وهل ماتت (روحي فداها) ودفنت في دمشق؟

وهل القبر الموجود في قرية راوية (السيدة زينب عليها السلام حالياً هو

لها؟

أم أن هذا القبر هو لأختها الصغرى أم كلثوم عليها السلام؟

قبل الإجابة على هذه التساؤلات لابد من تبيان قضية هامة الا وهي

شيوع اسم أم كلثوم على أنها العقيلة زينب عليها السلام عند الكثير من

أصحاب الأقلام الفياضة بالخير والخبر وإليك الشاهد:

في تاريخ الطبري ح ٤ ص ٢٤٠ والكامل ح ٤ ص ٢٤ ومقتل الخوارزمي

ج ٢٣١/١ ومقاتل الطالبين / ص ٤٥ قالوا:

أن العقيلة زينب عليها السلام سمعت أخاها الحسين عليه السلام ليلة المقتل

يقول:

يا دهر أف لك من خليل

كم لك بالإشراق والأصيل

إلى آخر الأبيات والرواة هم: ابن الأثير والطبري والخوارزمي وأبو

الفرج الأصبهاني

بينما نجد أن الثقة الأجل السيد ابن طاووس الحلبي المتوفى سنة ٦٤٤

هجرية والأسفرائني قد رويًا هذا الخبر بأنه (أم كلثوم بدل زينب عليها السلام)

ورد في اللهوف لابن طاووس ص ٣٤ ونور العين للأسفرائني ص ٢٩ طبعة

مصر، وقس على هذا الشاهد مشاهد ومشاهد فتارة يذكر المؤرخون

زينب عليها السلام بخبر في كتب أخرى يذكرون ذات الخبر على أنها أم كلثوم

والمقصود فيه زينب عليها السلام ولعدم الاستفاضة اكتفينا بهذا الشاهد ومن

أراد التحري فالأمثلة في كتب التاريخ أكثر من أن تحصى.

إذن فالسيدة زينب عليها السلام تكنى أيضاً بأم كلثوم وأم كلثوم على لسان

الكثير من المحدثين هي العقيلة زينب عليها السلام ولإزالة الالتباس ووضع

النقاط على الحروف تحرينا بمجهوداتنا المتواضعة عن مكان قبر الابنة

الصغرى للإمام عليه السلام والمسماة أم كلثوم فانتبهنا إلى خبرين معتمدين

من تلك المصادر الكثيرة التي أتت على ذكر السيدتين ابنتي الإمام

علي عليه السلام السيدة زينب والسيدة أم كلثوم عليهما السلام:

الخبر الأول

السيدة أم كلثوم عليها السلام الابنة الصغرى للسيدة فاطمة عليها السلام توفيت

في عهد معاوية عام ٥٤ هـ ودفنت بالمدينة والخبر ذكرناه سابقاً بالتفصيل

(أم كلثوم أخت العقيلة زينب عليها السلام) وهذه القضية اشتهرت كثيراً عند

الفريق الآخر وفي كتب التاريخ وتراجم الصحابة... وكذلك ورد الخبر في

كتبنا ولكن بصور متفاوتة ولكن الذي يهمنا في هذا المقام هو المعرفة

الدقيقة لتاريخ وفاة الإبنة الثانية للإمام علي عليه السلام أم كلثوم عليها السلام ، ولقد جاء بالخبر أن السيدة أم كلثوم عليها السلام توفيت في عام ٥٤ هـ ويقول الخبر: لقد كانت وفاة هذه العلوية الجليلة مع ولدها في يوم واحد وشيعاً معاً وصلي عليهما معاً ويذكر ابن سعد عن الشعبي: صلى عليهما عبد الله بن عمر ويروي غير الشعبي وغيره: صلى عليهما سعيد بن العاص وقالوا: إنها ماتت وابنها في زمن معاوية، كما يوجد روايات كثيرة أخرى وجميعها تتفق على أنها ماتت عليها السلام في زمن معاوية ومنهم من يحدد أكثر بانها ماتت في عام ٥٤ هجرية حيث كان معاوية لا يزال على رأس الخلافة وتقرأ الخبر في مراجع كثيرة جداً نذكر منها:

عن رواية ابن سعد في الطبقات

عن رواية أبي بشر الدولابي في كتاب الذرية الطاهرة

عن رواية البيهقي في السنن الكبرى

عن رواية الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد

عن رواية الحاكم النيسابوري في المستدرک

وتعداد الروايات والكتب التي ذكرت الخبر يطول ذكره في هذا المقام

إنما يزودنا بمعلومة هامة تفيد بحثنا بأن السيدة الجليلة أم كلثوم عليها السلام الابنة الصغرى للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام توفيت في عام ٥٤ هجرية والله أعلم.

الخبر الثاني:

وهو ينافي الخبر الأول لأن معظم العلماء والمؤرخين وأصحاب

السيرة والأخبار وغيرهم الذين تناولوا واقعة الطف بالمقاتل وغيرها

يذكرون أن أم كلثوم عليها السلام الابنة الثانية للإمام علي عليه السلام كانت

قد شهدت واقعة كربلاء بحضور قوي جداً ومؤثر حتى أن لها خطبة مجلجلة، وقد ذكر خطبتها الكثير من المؤرخين وأصحاب المقاتل والخطبة موجودة أيضاً في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور والأخبار الواردة عن واقعة الطف تجزم بأن أم كلثوم عليها السلام جاءت مع الإمام الحسين عليه السلام وحضرت المأساة في كربلاء وعادت مع السبايا إلى المدينة وبقيت عليها السلام في المدينة إلى أن وافتها المنية والخبر نقلناه عن كتاب مرقد العقيلة زينب للسابقي ص ١١٣ رواه ابن الهيثم في تنقيح المقال للخاقاني قال: توفيت أم كلثوم بنت علي في المدينة بعد رجوعها من كربلاء وكانت مدة مكوثها بالمدينة أربعة أشهر وعشرة أيام ولم تزد فيها إلا البكاء والكآبة والحزن وإقامة العزاء والنوح إلى أن توفيت مما سبق نستنتج:

أن السيدة أم كلثوم عليها السلام بعد عودتها من كربلاء لم تغادر المدينة المنورة نهائياً.

أنها عليها السلام قد توفيت قبل عام ٦٥ هجرية وهو التاريخ الشائع والثابت لوفاة العقيلة زينب عليها السلام.

وأنه إلى عام ٦٥ هجرية لم يكن موجوداً حياً من بنات سيدنا علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام سوى العقيلة زينب عليها السلام (وهو عام وفاتها عليها السلام).

العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق

ذكرت كتب التاريخ على اختلافها أن العقيلة زينب عليها السلام بعد أن عادت من كربلاء أخذت تلهب العواطف وتستنهض الهمم وتعري السلطة الأموية المتسلطة وتفضح أعمالها المنكرة فكان من نتائج وقفها الشامخة في وجه السلطة الأموية أن مدينة رسول الله ﷺ أخذت تغلي كالمراجل واعلن أهلها العصيان على حكم الطاغية يزيد فأرسل عليهم جيشاً من دمشق بقيادة أعور بني أمية (الكافر) (مسلم بن عقبة) فدخل المدينة مع مروان بن الحكم (الوالي المطرود من المدينة) وداس جنوده مدينة الوحي والتنزيل وعاثوا فساداً فيها وأحرقوا فيها الحرث والنسل واستباحوا المدينة ثلاثة أيام بلياليها ويقول الخبر أن ألف فتاة عذراء ولدن بعد تسعة أشهر من واقعة الحرة ولا يعرف لهم آباء.

وتولى المدينة بعدها سعيد الأشدق

فكانت ترده أخبار من العيون التي وضعها على زينب عليها السلام فخاف أشد الخوف من مواقفها المججلة التي لم تخمد أبداً وأنها ما زالت على شموخها الذي بدأت به من التصدي للطغمة الحاكمة وفضح أسرارهم، مما أخاف والي المدينة أشد الخوف فبعث تقاريره للطغمة الحاكمة في دمشق والتي يشرح فيها خطر العقيلة على الحكم وعدم تمكنه من السيطرة على هذا الوضع الخطير فرجع الأمر من يزيد في دمشق (أن

أخرج زينب بنت علي من المدينة وفي مقام آخر يأمر الوالي (أن سير زينب إلى دمشق) وهنا لنا وقفة: نقول ان الروايات حول هذا الموضوع قد ملأت صفحات التاريخ بطولها وعرضها وكانت تمضي باتجاهين:

الأول: بانها توجهت إلى مصر

الثاني: بانها قدمت إلى دمشق

والاتجاهان لهما مؤيدوها وحججهما (راجع كتب التاريخ) ونحن فيما سبق في كتابنا وحسب مجهوداتنا المتواضعة جداً قد بينا أن مصر العزيزة لم يدخلها أحد من صلب الإمام علي عليه السلام نهائياً ولم يدفن فيها أحد من أبناء وبنات سيدنا علي عليه السلام نهائياً

ومما سنبينه لاحقاً سيوقفك أخي القارئ على دقائق الأمور وأنها أي العقيلة زينب عليها السلام لها مع تراب الشام قصة عظيمة وموعظة هامة ومنها ذلك المقام الشامخ والذي أصبح قبلة للمسلمين والمسلمات في جميع أنحاء المعمورة للتبرك والدعاء والزيارة فيه، بينما تجهد نفسك في سبيل معرفة قبر من قبور هؤلاء الملوك الذين توالوا على حكم البلاد والعباد ومن دون وجه حق بعدما رموا الشريعة السماوية خلف ظهورهم فانمحي أثرهم واندرست قبورهم بينما على حين تجد مزارات أهل البيت عليهم السلام قد ارتفعت وعلت مقاماتهم وائمها المسلمون والمسلمات من كل مكان للتبرك والصلاة والعبادة والزيارة والدعاء لله تعالى بواسطة هذا المسجى داخل الضريح الشريف وجعل كرامته ومكانته عند الله تعالى واسطة للاستجابة والقبول من قبل الله تعالى، فكان مقام العقيلة زينب درة بلاد الشام في أهم معقل كان لبني أمية.

تلك حكمة ربك الذي بشر السيدة زينب عليها السلام وجميع المظلومين والصابرين المحتسبين بقوله الكريم ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ لأنه تعالى لا

يضيع عنده عمل عامل: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنَ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَّحَّرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(١).

الخروج الثاني للعقيلة زينب عليها السلام:

إن العقيلة زينب عليها السلام كانت قد غادرت مدينة جدها رسول الله ﷺ بعد أن قامت فيها لدى عودتها من واقعة الطف ومن ثم اضطرت للخروج منها والتوجه إما إلى مصر وإما إلى دمشق (روايات) أو أنها خرجت مع زوجها عبد الله بن عباس إلى دمشق في عام الجماعة (روايات).

أما الروايات الأقل شهرة التي تذكر أن السيدة زينب عليها السلام دفنت بالبقيع سوف نتجاهلها في هذا المقام لأن الخلاف الأهم بين المؤرخين كان على مكان قبر السيدة زينب عليها السلام

هل هو في القاهرة؟

أم أنه في دمشق؟

وللإجابة الحاسمة على هذين السؤالين سنطرح تساؤلاتنا التالية

وهي: من الذي غادر المدينة؟

هل هو أم كلثوم أم العقيلة زينب؟

ومن كان قد بقي على قيد الحياة عند المغادرة؟

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.

هل هو أم كلثوم او العقيلة زينب أم الاثنتان معاً؟

في الصفحات السابقة ألقينا الضوء على نصف جواب هذه الأسئلة عندما علمنا أن السيدة أم كلثوم عليها السلام صغرى بنات الإمام علي عليه السلام كانت قد توفيت عليها السلام إما في عام ٥٤ هجرية والرواية الثانية تقول إنها قبضت بعد وصولها إلى المدينة المنورة من كربلاء مع السبايا بأربعة أشهر وعشرة أيام أي أنه عندما عزمت العقيلة زينب عليها السلام على النزوح من المدينة لم يكن حياً يوماً يوماً من ابنتي الإمام علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام سوى الابنة الكبرى عليها السلام فالمغادر من المدينة إذن هو للعقيلة زينب عليها السلام دون غيرها وحدث ذلك عندما كان والي المدينة إما الوليد بن عتبة أو عمر بن سعيد الأشدق وهو الأقوى.

وهنا يوجد مساران:

الأول: انها توجهت إلى القاهرة وهو ما اجنبا عليه باستفاضة فيما سبق فلم يثبت ذلك نهائياً.

والثاني: أنها توجهت إلى دمشق وبقيت فيها إلى أن وافتها المنية (روحي فداها) ودفنت في مرقدها العظيم في قرية راوية (قبر السيدة زينب) ولهذا الشق من الجواب مدلولات عظيمة وربما تكون حاسمة في قطع الشك باليقين والتعريف الدقيق والصحيح لقبر السيدة زينب ابنة الإمام علي بضعة الزهراء أجمعين أجمعين.

فالمتمفق عليه عند معظم وأهم الرواة وأصحاب السير والأخبار أن في دمشق وفي قرية راوية دفنت السيدة زينب عليها السلام المكناة بأم كلثوم ابنة الإمام علي بن أبي طالب وأمها فاطمة الزهراء عليها السلام إنما بفارق بسيط عند البعض ان هذا القبر يحتضن زينب الصغرى ولكنه حتماً هو لابنة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام (حصراً).

وكنا قد بينا سابقاً أن الذي بقي على قيد الحياة وغادر المدينة المنورة هو العقيلة زينب عليها السلام دون سواها وهي التي كانت قد وقفت تلك الوقفة البطولية مع أخيها الحسين عليه السلام فكانت بطلة كربلاء، وهي التي تابعت مع ابن أخيها الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فكانت أم المصائب، وهي التي حامت وحافظت وانبرت بمواقفها العظيمة المشرفة بوجه الطغاة إلى أن وصل الإمام السجاد عليه السلام إلى المدينة سالماً، وكذلك ركب السبايا، فكانت العقيلة زينب عليها السلام، وهي دون غيرها قد غادرت المدينة وهي مغلوب على أمرها بعد أن اقضت مضاجع السلطة وأهانتها وفضحت أمرها، فاستقدمها الخليفة كي تكون بجواره بعد أن كادت الأمور أن تنقلب عليهم مرة أخرى، وهم الذين أذاقوهم أنواع الذل والهوان ومرارة القتل والعذاب والهوان في واقعة الحرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن

ما الدليل على أنها جاءت إلى دمشق مرة ثانية؟

فبالإضافة إلى ما سبق نقول:

إن طائفة كبيرة من الرواة واصحاب السير والأخبار كانوا قد ذكروا أن العقيلة أتت إلى دمشق ودفنت فيها وقبرها الشريف المقصود اليوم من قبل ملايين المسلمين والمسلمات في قرية السيدة زينب عليها السلام والتي سميت باسمها بعد أن كانت قديماً تدعى بقرية راوية.

ولماذا بقرية راوية دون غيرها؟

تقول بعض الروايات: إن هذه القرية كانت ملك زوجها عبد الله بن جعفر عليه السلام وتقول أخرى إن يزيد عندما وصلت زينب عليها السلام إلى الشام فأراد أن يبعدها عن الناس فنفاها إلى هذه القرية وقطع عنها الاتصال بالناس حتى ماتت (رواية).

وفي روايات أخرى أن زوجها عبد الله بن جعفر اختار هذه القرية لغناها وخصبها ووفرة مائها فاشتراها بحر ماله وأسكن فيها زوجته الطاهرة بضعة البتول الزهراء عليها السلام واستقدم اليها الناس لخدمتها وأحاطها بالرعاية إلى أن توفاهما الله تعالى في عام ٦٥ هجرية (رواية).

إنما من خلال مناقشة هذا الموضوع مع بعض السادة العلماء جلب لي العلامة السيد عبد الرسول الموسوي مخطوطاً هاماً فيه من كشف الالتباس الشيء الكثير حيث جاء في المخطوط:

قال الشيخ محمد حسين المهرجاني الأعلمي الحائري: سمعت من بعض علماء جبل عامل: إن سيدتنا زينب عليها السلام قد جاءت إلى دمشق ومحل قبرها الفعلي بالشام في بلدة يقال لها «الست» وهذه البلدة أهداها معاوية إلى عبد الله بن جعفر زوج زينب عليها السلام.

وسبب ذلك هو انفصاله عن ابن عمه الحسين عليه السلام، فكتب معاوية صكاً «أعني ورقة» وذكر فيها حدود تلك البلدة المشتملة على بساتين وأنهار جارية ومسافة حدودها ما يقرب عن ستة ساعات من الجهات الأربعة، وذكر معاوية في كتابة إلى عبد الله بن جعفر أن أهديت لك هذه البلدة لكي تأكل نماءها، وكتبت لك صكاً في ملكيتها فخذها سالماً والسلام.

فوصل الكتاب إلى عبد الله وقرأه وعلم بما فيه وغضب غضباً شديداً وأراد أن يمزق الكتاب، فوقفت قبالة زوجته زينب عليها السلام وقالت: مهلاً حتى تعرض الكتاب على أخي الحسين عليه السلام ومضت في كتاب معاوية الذي فيه الصك وقرأه الحسين عليه السلام فبكى، فقالت له زينب عليها السلام:

أخي مم بكاؤك؟

فقال الإمام عليه السلام: أختي زينب!!

في هذه البلدة يكون مدفك

ثم أتى الإمام عليه السلام إلى ابن عمه عبد الله فخرج إليه وهو مغضب وخجلان من الإمام الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام:

نهنه عن وجدك، واقبل هذا الصك وتلك الهدية، واكتب إليه «ما أرسلته إلينا قبلناه من الهدية، وذلك هو لنا، وكرامة لكم» فبقي عبد الله يأكل نماء تلك القرية في زمن معاوية ثلاث سنوات ثم هلك معاوية وأقام من بعده ابنه يزيد، وجرى ما جرى في حربه على الحسين عليه السلام وفي السنة الثالثة بعد استشهاد الحسين عليه السلام حدث العجاف والجوع في المدينة فجاءت زينب عليها السلام مع أولادها إلى تلك البلدة المسماة بالست فحلت بها وفي اليوم الثالث علم يزيد بها فأرسل عاملاً من عماله إليها وقال له اضربها ضربة قاضية، فضربها، فوقعت الضربة على رقبة زينب عليها السلام فوقعت عليها السلام ميتة شهيدة من تلك الضربة ودفنت هناك وهذا محل قبرها المعروف في هذا الزمان قبلة الزوار^(١).

ولكن مهما كانت الظروف التي أحاطت بسكن العقيلة زينب عليها السلام في قرية راوية فإنه بات من المؤكد أن التي قدمت إلى دمشق وسكنت في هذه القرية هي السيدة زوجة عبد الله بن جعفر عليه السلام كما هو معروف هي العقيلة زينب عليها السلام

وإن كان بعض العلماء الأجلاء والأفاضل ينفون ذلك فلا حرج لأنهم بالتالي على علم وبصيرة بالأمر حيث أنهم يعزون قبر زينب عليها السلام الذي هو في قرية راوية أنه لزينب الصغرى الممكنة بأمر كلثوم وأيضاً لا حرج لا حرج لماذا؟

(١) حقائق عن عقيلة بيت الوحي «مخطوط بقلم السيد عبد الرسول الموسوي الكاظمي». تراجم أعلام النساء ج ٢ ص ١٧٢ طبعة أولى في إيران

لأنه سبق وبيننا ان الذي غادر المدينة هو العقيلة زينب عليها السلام أما أم كلثوم عليها السلام كان قد توفاهما الله تعالى قبل مغادرة العقيلة زينب عليها السلام المدينة المنورة.

لذلك عندما يشهد جميع الرواة بأن هذا القبر الموجود في دمشق هو لزينب عليها السلام فلا حرج ان كان للصغرى او للكبرى المهم أن فيه ابنة الإمام علي عليه السلام، الحرج فيه إن كانت زينب عليها السلام لم تغادر المدينة المنورة ولكن الثابت هو ما أجمع عليه الرواة وأقره جميع أهل البر والخبر بأن زينب أُخرجت او خرجت (لا بأس) من المدينة، وبما أن ثلة من أكابر العلماء تشهد بأن زينب الكبرى المكناة بأم كلثوم عليها السلام مدفونة في قرية راوية بدمشق وثلة أخرى لا تقل أهمية عنها تشهد أن أم كلثوم عليها السلام هي المدفونة في الضريح المبارك وجميعهم متفقون على أن هذا القبر هو لبضعة البتول الزهراء عليها السلام (حصراً) فإنه يحق لنا أن نقول إن المدفون في هذا المرقد الشريف والعظيم هو لزينب الكبرى والمكناة أم كلثوم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بسبب وفاة جميع إخوتها من أمها وأبيها قبل خروجها الثاني من المدينة حيث أتت إلى دمشق قادمة من يثرب بعد أن توفيت أختها أم كلثوم الصغرى ولم يعد يبق حياً غيرها عليها السلام وهو الثابت عند أكابر العلماء وبقيت فيها إلى أن وافتها المنية ودفنت في هذه التربة والله أعلم.

وخلاصة القول: بأن ابنة علي وفاطمة عليهما السلام التي غادرت المدينة للمرة الثانية - بعد واقعة الطف - هي حتماً المدفونة في قرية (راوية الشام) (قبر السيدة زينب عليها السلام حالياً). وبالتالي فإنه هو للعقيلة زينب ابنة الإمام عليه السلام الكبرى ومن دون أدنى شك حيث إنها الوحيدة يومها من كانت على قيد الحياة دون إخوتها من أمها وأبيها.

وأخيراً لا بد لنا من الإشارة والقول إن ما توصلنا اليه يعود فضله أولاً لله تعالى ومن ثم لتلك الاقلام الخيرة والعقول النيرة التي أعانها الله عَزَّوَجَلَّ ففاض يراعها على تلك السجلات الحافلة والكتب القيمة، فكان شراباً طهوراً مباحاً تنهل منه الأجيال جيلاً بعد جيل.

ونعتذر منذ الآن للجميع اذا ما نسينا شيئاً أو أخطأنا.

إنما هي افكار راودتنا فخضنا على أثرها في خضم هذه النفائس التي يسرها الله لنا فوجدنا فيها شاهداً ماثلاً أمامنا مما رسخ اعتقادنا ودفننا للإقدام خطوة خطوة بتأنٍ شديدٍ، متوخين الحذر والأمانة وهذا لا يعني أن رأينا سديد ورأي غيرنا فاسد (معاذ الله) انما هي رؤىٍ خطرت وفكرٌ تزاحمت، فوجدنا لها خير دليل من خلال ما ساقه الله تعالى إلينا من قرائن وشهادات.

نرجو من الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا إلى ذلك.

والله المعين وهو وراء القصد

مسار آخر: فضة النوبية

إن من القرائن الهامة التي تضاف إلى قرينة وجود قبر السيدة زينب عليها السلام في دمشق هو وجود قبر فضة النوبية بدمشق أيضاً حيث إن هذه السيدة الفاضلة لم تغادر البيت النبوي نهائياً والأخبار الضئيلة والشحيحة التي جهدنا كثيراً حتى عثرنا عليها أثبتت أنها انتقلت من البيت النبوي إلى البيت الفاطمي وأخير إلى الزينبي ولم يذكر التاريخ أنها فارقت هذه البيوت الثلاثة نهائياً وأنها رضي الله عنها وأرضاها حضرت واقعة الطف مع سيدتها زينب عليها السلام ورجعت معها إلى المدينة وغادرت معها في رحلتها الثانية إلى دمشق وبقيت إلى جوار قبرها إلى أن وافتها المنية ودفنت في جبانة أهل الشام بجوار رؤوس الشهداء في مقبرة آل البيت عليهم السلام في الباب الصغير

لذلك كان لابد من إلقاء لمحة على حياة هذه العالمة الجليلة لتعريف القارئ عليها، اعترافاً منا بفضلها وعلو مقامها وإخلاصها وورعها...الخ

فمن هي فضة النوبية؟

جاء في البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٢٩

فضة النوبية: وقد كانت أولاً لصفية بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ ثم صارت لرسول الله ﷺ (رواية)

وفي مصدر آخر جاء في مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسي صفحة ١٢١ قال: وكانت فضة بنت ملك الهند.

وفي مصدر آخر: أنها رجعت مع جعفر بن أبي طالب من الحبشة وانضمت إلى الوفد العائد من الهجرة

أما قصة دخولها إلى بيت الزهراء فاطمة عليها السلام فله موقف وآية من القرآن الكريم، يقول الخبر:

إن الزهراء فاطمة عليها السلام طلبت من أبيها رسول الله ﷺ جارية تعينها وتساعدتها فقال النبي ﷺ: يا فاطمة والذي بعثني بالحق إن في المسجد أربعمئة رجل ما لهم طعام ولا ثياب ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت يا فاطمة: لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية، وعلمها التسبيح فقال الإمام علي عليه السلام: مضيت تريد من رسول الله ﷺ الدينا فأعطانا الله ثواب الآخرة. قال: وخرج النبي ﷺ فنزلت عليه آية: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَيْغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾^(١) فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله ﷺ إلى بيت الزهراء عليها السلام الخادمة فضة وفي الخبر أيضاً:

كانت الخادمة في بيت الزهراء فاطمة عليها السلام يوم للخادمة فضة وآخر للزهراء عليها السلام

بعض الأحداث التي جرت في بيت الزهراء عليها السلام

جاء في شرح الحقائق في الحق ج ٣٢ ص ٢٤٤ للسيد المرعشي:

قال: روى عمر بن سلمة عن سديد بن علقمة قال: دخلت على علي عليه السلام بالكوفة، فإذا بين يديه قعب لبن أجد من شدة الحموضة وفي

(١) سورة الاسراء ٢٨.

يده رغيف ترى قشار الشعير على وجهه وهو يكسره ويستعين أحياناً
بركبته وإذا جاريتة فضة على رأسه، فقلت: يا فضة، أما تتقون الله في
هذا الشيخ، ألا نخلتم دقيقه؟

فقلت فضة: قد أخذ علينا ألا نخل له دقيقاً ما صحبناه...

وجاء في الإصابة ح ٨ ص ٧٥ و ص ٢٨١ و ص ٢٨٢

قال: وكانت فضة النوبية تشاطر سيدتها الزهراء الخدمة وعلمها
رسول الله ﷺ دعاء تدعو به فقالت الزهراء عليها السلام أتعجنين أو تخبزين؟؟
فقلت: بل أعجن يا سيدتي وأحتطب!! فذهبت واحتطبت وبيدها حزمة
وأرادت حملها فعجزت فدعت بالدعاء الذي علمها إياه رسول الله ﷺ
وهو: يا واحد ليس كمثل أحد، يميت كل أحد، ويؤفني كل أحد، وأنت
على عرشك واحد ولا تأخذه سنة ولا نوم...

فجاء أعرابي كأنه من أزد شنوءه فحمل الحزمة إلى باب
فاطمة عليها السلام.

أما فيما ورد عن تفوق فضة النوبية بالعلم والفضل والمعرفة فلقد
اخترنا لكم هذين الشاهدين اللذين يدلان على ذلك حيث يقول الخبر
أنها لم تتكلم إلا ببلغة القرآن الكريم طوال عشرين سنة

في بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٤:

روى ورقة بن عبد الله الأزدي قال: خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام
راجياً لثواب الله رب العالمين، فبينما أنا أطوف وإذا بجارية سمراء
ومليحة الوجه عذبة الكلام، وهي تنادي بفصاحة منطقتها، وتقول:
اللهم رب الكعبة الحرام، والحفظة الكرام، وزمزم والمقام والمشاعر
العظام ورب محمد خير الأنام صلى الله عليه وآله البررة الكرام أسألك
أن تحشرني مع ساداتي الطاهرين وأبنائهم الغر المحجلين الميامين،

ألفاشهدوا يا جماعة الحجاج والمعتمرين أن موالِيَّ خيرة الأخيار وصفوة
الابرار والذين علا قدرهم على الأقدار وارتفع ذكرهم في سائر الأمصار
المرتدين بالفخار.

قال ورقة: فقلت: يا جارية إنني لأظنك من موالِي أهل البيت عليهم السلام.

فقلت: أجل قلت لها: ومن أنت من موالِيهم؟

قالت: أنا فضة أمة فاطمة الزهراء ابنة محمد المصطفى صلى الله
عليها وعلى أبيها وبعلمها وبنيتها.

فقلت لها: مرحبا بك وأهلا وسهلا فلقد كنت مشتاقا إلى كلامك
ومنطقك فأريد منك الساعة أن تجيبيني عن مسألة، أسألك فإذا فرغت
من الطواف قفي لي عند سوق الطعام حتى آتيك وأنت مثابة مأجورة،
فافترقنا، فلما فرغت من الطواف وأردت الرجوع إلى منزلي جعلت
طريقي على سوق الطعام وإذا بها جالسة في معزل عن الناس، فأقبلت
عليها واعتزلت بها وأهديت لها هدية ولم أعتقد أنها صدفة

ثم قلت لها: يا فضة أخبريني عن مولاتك فاطمة الزهراء عليها السلام وما
الذي رأيت منها عند وفاتها بعد موت أبيها عليه السلام،

قال ورقة: فلما سمعت كلامي تغرغرت عيناها بالدموع ثم انتحبت
وقالت:

يا ورقة بن عبد الله هيجت علي حزناً ساكناً، واشجاناً في فؤادي
كانت كامنة، فاسمع الآن ما شاهدت منها عليها السلام أعلم انه لما قبض رسول
الله صلى الله عليه وآله اجتمع الصغير والكبير، وكثر عليها البكاء وقل العزاء وعظم
رزؤه على الأقرباء والأصحاب والأولياء والأحباب والغرباء والأنساب،
ولم تلق إلا كل باك وباكية، ونادب ونادبة، ولم يكن في أهل الأرض
والأصحاب والأقرباء والأحباب اشد حزناً وأعظم بكاءً وانتحاباً من مولاتي

فاطمة الزهراء عليها السلام (في المناقب ج ٣ ص ٣٤٣).

وفي بيت الأحران للشيخ عباس القمي ص ٤١ في فضل فضة من كتاب لأبي القاسم القشيري قال:

انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة فقلت لها: من أنت قالت: ﴿وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ فسلمت عليها،

فقلت: ما تصنعين هاهنا؟

قالت: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ فقلت: أمن الجن أنت أم من

الإنس؟

قالت: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قلت: من أين أقبلت؟

قالت ﴿يُنَادُونَكَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فقلت: أين تقصدين؟

قالت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ فقلت: متى انقطعت؟ قالت:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ فقلت:

أتشتهين طعاما؟

قالت ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَآ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ فأطعمتها. ثم قلت:

هرولي وتعجلي فقالت: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ فقلت:

أردفك؟ فقالت: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ نزلت فأرکبتها فقالت:

﴿سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا﴾ فلما ادركنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟

فقالت ﴿يٰنَادُواؤُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾!... ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾

﴿يٰنَبِيَّيْنِ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.. ﴿يٰمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ فصحت بهذه

الأسماء فإذا بأربعة شباب يتوجهون نحوها فقلت: من هؤلاء منك؟ قالت:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلما اتوها قالت: ﴿يٰتَابَتِ اسْتَفْجَرُهُ

إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ اسْتَفْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ فكافؤوني بأشياء فقالت: ﴿وَاللَّهُ

يُضَعِّفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فردوا عليّ فسألتهم لماذا؟ فقالوا: هذه أمنا فضة جارية

الزهراء عليها السلام ما تكلمت منذ عشرين سنة الا بالقرآن.

سورة الدهر والخادمة فضة:

جاء في احقاق الحق ج ٩ ص ١١٠ وما ذكره بعض المفسرين في اسباب نزول سورة هل أتى على الإنسان....

قال نزلت هذه السورة في علي وفاطمة والحسن والحسين وجارية لهم اسمها فضة عليها السلام وقد ذكرها العلامة ابن الأثير الجزري في أسد الغابة ج ٥ ص ٥٣٠ ط مصر سنة ١٢٨٥ هـ عن ابن عباس قال: في قوله تعالى: ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ وَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قال مرض الحسن والحسين عليهما السلام فعادهما جدهما رسول الله ﷺ وعادهما عامة العرف فقالوا: يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك نذراً فقال الإمام علي عليه السلام ان برئاً مما بهما صمت لله عز وجل ثلاثة أيام شكراً وقالت فاطمة عليها السلام كذلك وقالت جارية يقال لها فضة إن برئاً سيدي صمت لله عز وجل شكراً، فألبس الله الغلامان العافية وليس عند آل محمد قليل ولا كثير فانطلق علي عليه السلام إلى شمعون بن حيان الخيبري فقال له هل تعطيني جزءة من الصوف تغزلها بنت محمد بثلاثة أصوع من العير، فأعطاه فقامت فاطمة إلى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي عليه السلام مع رسول الله ﷺ ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من أولاد المسلمين، أطعموني!!! أطعمكم الله عز وجل على موائد الجنة، فسمعه الإمام علي عليه السلام فأمرهم فأعطوه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا إلا الماء. فلما كان اليوم التالي قامت فاطمة إلى صاع وخبزته وصلى علي عليه السلام مع النبي ﷺ ثم أتى المنزل

فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم يتيم فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد يتيم بالباب من أولاد المهاجرين استشهد والدي، أطمعوني فأعطوه الطعام!!!

فمكثوا يومين لم يذوقوا إلا الماء، فلما كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الصاع الباقي فطحنته وخبزته وصلى علي عليه السلام مع النبي ﷺ ثم أتى المنزل ووضع الطعام بين يديه إذ أتاهم أسير فوقف بالباب وقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة تأسرونا، ولا تطعمونا!! أطمعوني فإني أسير، فأعطوه الطعام ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء فأتاهم رسول الله ﷺ فرأى ما بهم من الجوع فأنزل الله تعالى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَغَدْرُوكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٧ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (أخرجها أبو موسى) وفي رواية: فقالت فاطمة عليها السلام لم يبق عندي اليوم غير صاع، وابنائي والله من الجياع وفي آخر الحديث: ثم وضعوا الطعام وأعطوه للأسير فلما كان اليوم الرابع دخل علي عليه السلام على النبي ﷺ يحمل ابنه كالفرخين فلما رآهما رسول الله ﷺ قال وأين ابنتي؟ قال: في محرابها فقام رسول الله ﷺ فدخل عليها ولقد لصق بطنها بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فقال النبي ﷺ: واغوثاه بالله آل محمد يبيتون جوعاً فهبط جبرئيل وهو يقرأ (يوفون بالندى إلى آخر الآيات) انتهى

يوم الفراق

اعتلت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بعيد وفاة أبيها عليه السلام إلى أن كانت الليلة التي توفيت فيها وجاء الإمام علي عليه السلام فناداها: يا ابنة من صلى بالملائكة في السماء مثني مثني فلم تكلمه ثم ناداها يا فاطمة كلميني!! ففتحت عينيها ونظرت اليه وبكت وبكى وقالت له: يا ابن العم! اني أجد الموت الذي لا بد منه ولا محيص عنه... ثم أوصته بالحسين عليه السلام فقالت: فالويل لأمة تقتلها وتبغضها، ولا تنس قتيل العدى بطف العراق فقال لها الإمام عليه السلام من أين لك يا بنت رسول الله هذا الخبر فقالت: يا أبا الحسن رقدت الساعة فرأيت رسول الله عليه السلام في قصر من الدر الأبيض فلما رأيته قال: هلمي الي يا بنية فإني إليك مشتاق فقلت: والله إنني لأشد شوقاً فقال: أنت الليلة عندي وهو الصادق لما وعد والموفي لما عاهد، فإذا أنت قرأت سورة ياسين فاعلم أني قضيت نحبي، فغسلني ولا تكشف عني فإني طاهرة مطهرة، وليصل علي الأدنى فالأدنى ومن رزق أجري وادفني ليلاً في قبري بهذا اخبرني حبيبي رسول الله عليه السلام. فقال علي عليه السلام: والله لقد أخذت في أمرها وغسلتها في قميصها ولم أكشفه عنها فوالله كانت ميمونة طاهرة مطهرة ثم حنطتها من فضلة حنوط رسول الله عليه السلام وكفنتها وأدرجتها في أكفانها فلما هممت أن أعقد الرداء ناديت يا أم كلثوم يا زينب يا سكينه يا فضة يا حسن يا حسين هلموا تزودوا من أمكم فهذا الفراق واللقاء في الجنة...

قبر فضة خادمة بيت المصطفى (ص) وآله الكرام (عليهم السلام)^(١)

إن هذه الإنسنة الفاضلة والجليلة كانت قد أوقفت حياتها على خدمة بضعة رسول الله ﷺ الصديقة الزهراء عليها السلام ثم انتقلت بعد وفاة الزهراء عليها السلام إلى خدمة العقيلة زينب عليها السلام ولم تفارقها حتى ماتت وقبرها بالباب الصغير بدمشق وهو قبر معروف من قديم تلقفته الأيدي يدأ على يد وقد زارته السيدة نفيسة زوجة إسحاق المؤمن بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام سنة ١٩٣ هجرية بعد أن زارت قبر العقيلة زينب بقرية راوية بغوطة دمشق وقد ذكرت الأخبار أن الخادمة فضة هي ابنة لبعض ملوك الهند كما يراه البرسي صاحب مشارق الأنوار (ج ٢ ص ١٢٦) أو من أهل الحبشة كما يروى عن ابن عباس والإمام الصادق عليه السلام وذلك مما ورد في الإصابة وتفسير الثعلبي في تفسير سورة الإنسان والعلامة النقدي يضيف بانها كانت ابنة لبعض ملوك الحبشة وفي رأي آخر أنها جاءت مع جعفر الطيار عليه السلام لما رجع من الحبشة واشتراها أمير المؤمنين عليه السلام لخدمة فاطمة عليها السلام (روايات متعددة).

شاطرت الخادمة فضة سيدتها الزهراء عليها السلام وخدمتها مدة فتجلت فيها خصال سيدتها الجليلة من زهد وتقوى وورع حتى بلغت مرتبة لا

(١) مرقد العقيلة زينب للسابق ص ١٩٣.

تداينيتها فيها امرأة من الأمة، فعرفت معاني القرآن ورموزه فلم تتكلم عشرين سنة إلا به، وقد وصفها الخليفة الثاني بقوله: شعرة من آل أبي طالب أفقه من عمر بن الخطاب^(١).

شاركت فضة النبوية سادتها في نزول سورة الإنسان وهي إحدى من نزلت في شأنهم، ثبت ذلك بالأخبار الصحيحة والثابتة وعن طرق الخاصة والعامة ولقد مدحها رسول الله ﷺ بقوله: الحمد لله الذي وهب لابنتي فاطمة عليها السلام جارية مثلها كمثل مريم بنت عمران وقرّضها أمير المؤمنين عليه السلام بصفات القصيدة وكمال الإخلاص فدعا في حقها وقال: اللهم بارك لنا في فضتنا^(٢).

ومدّ الله تعالى في أيام هذه الخادمة المخدومة الشريفة فتشرفت بخدمة السيدة فاطمة عليها السلام رداً من الزمن وبعد وفاتها خدمت في بيت السبطين الكريمين عليهم السلام ولم تزل منقطعة بعد فاطمة عليها السلام إلى تاليها ونائبها الحوراء زينب عليها السلام فأزرتها وشاركتها في الأفراح والأتراح وشهدت معها الطف ورافقتها أسيرة من كربلاء إلى الشام ومنها إلى المدينة، وثم رافقتها من المدينة إلى الشام في الرجوع الثاني وأقامت معها هناك حتى توفيت سيدتها وجاء في مقتل «الخلاصة» عن بعض الكتب المخطوطة أن فضة لم تزل مجاورة قبر سيدتها العقيلة زينب بالشام حتى توفيت ودفنت هناك وقبرها معروف بالشام بالباب الصغير، ولم يختلف على قبرها اثنان حتى اليوم وإليك بعض الروايات عن قبرها:

- شهاب الدين ياقوت الحموي بن عبد الله الحموي المتوفى ٦٢٣ هجرية وقد ذكر في معجم البلدان ج ٢ ص ٤٦٨ بقوله:

(١) ذكره الجاحظ عن الإمام الصادق عليه السلام مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٤٩٣ ط ايران .
(٢) (الخصائص الفاطمية ص ٢٥٥)

وبدمشق من الصحابة والتابعين وأهل الخير والصلاح الذين يزارون في ميدان الحصى وفي قبلي دمشق، وذكر قبور من الأعلام نساء ورجال وقال: ومنهم قبر فضة جارية فاطمة رضي الله عنها.

- أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى ٦١١ هجرية في كتابه الإشارات في معرفة الزيارات ص ١٣ طبع دمشق
- عز الدين محمد بن علي بن شداد الحلبي المتوفى ٦٨٤ هـ ذكر في الأعلام الخطيرة ح ١ ص ١٨٤
- خليل بن شاهين الزاهري المتوفى ٨٧٣ هجرية ذكر في كتابه زبدة كشف الممالك ص ٤٨ طبعة بباريس
- الحافظ ابن طولون الدمشقي المتوفى ٩٥٣ هجرية ذكر في اللامعات البرقية ص ٣٦ وأشار إليه في ص ١٨
- عثمان بن أحمد الحوراني الدمشقي المتوفى ٩٧٠ هجرية ذكره في كتابه ص ١٨ ط دمشق
- المحدث الجليل الشيخ عباس القمي ذكره في سفينة البحار ج ١ ص ٦٨٠.
- القاضي محمد بن علي العدوي ذكره في كتاب الزيارات ص ٣٤ طبع دمشق.
- الدكتور المعاصر صلاح الدين المنجد ذكره في كتابه مدينة دمشق ص ١٥٩ و ١٧٨ و ٢٩٧.
- الأستاذ أحمد فهمي محمد المصري ذكره في كتابه كريمة الدارين ص ٢٦ طبع مصر.
- الأستاذ توفيق أبو علم المصري ذكره في كتابه أهل البيت ص ٥٤٩

طبع مصر

وأخير يخطر على أذهاننا تساؤل هام:

إذا كان السيدة زينب عليها السلام دفنت في مصر؟
أو المدينة المنورة؟

فلماذا لم تبق الخادمة فضة بجوارها؟

ليأتيك الجواب حاضراً

لو كان قبر العقيلة زينب عليها السلام في أي مكان كائن على وجه الكرة الأرضية لكانت الخادمة فضة بقيت إلى جواره ولما تركته أبداً إلى أن يتوفاها الله وتاريخها في الالتصاق بهذا البيت الطاهر لا يختلف عليه اثنان ولم يحدثنا محدث أو مؤرخ أو أي عالم بأنها عندما دخلت البيت النبوي الشريف قد غادرت هذا البيت نهائياً وعليه فلو كان قبر العقيلة زينب عليها السلام في مصر لكانت هذه الإنسنة الوفية الصادقة قد بقيت بجواره وكذلك الحال لو كان في المدينة المنورة ولكن بوجود قبر السيدة فضة النوبية في دمشق، فإنه يعد من الدلائل الهامة جداً بأن سيدتها ومولاتها العقيلة زينب عليها السلام قد دفنت في هذه التربة أيضاً تقول الروايات: بأن السيدة فضة بقيت على العهد الذي قطعه على نفسها أمام الله ورسوله بأنها ستكون في خدمة نساء هذا البيت الطاهر والمطهر إلى آخر رمق في حياتها.

وعليها السلام قد وعدت ووفت رحمها الله.

وهذا قبرها الشريف ذو المقام الصريح المتواضع يتكلم عن نفسه وهو يزار ويمارس فيه أرقى أنواع العبادة ويأتي الناس للتبرك فيه والدعاء لله بواسطة هذه المسجاة داخله آملين من الله الاستجابة علماً بأن جميع كتب التاريخ لا تذكر أن للخادمة فضة قبراً آخر غير هذا القبر

الموجود في تربة الباب الصغير في مقبرة آل البيت عليهم السلام وإن وجوده
علماً صارخاً هو دليل عملي وحسي هام على أن هذه الإنسانة الفاضلة
لها مكانة عظيمة عند الله تعالى فاشتتار هذا القبر لهذه السيدة دون غيرها
من الكثير من النساء اللواتي ذاع صيتهنّ فلا تجد لهنّ أثراً اليوم، فيه
أيضاً دلالة هامة أن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين في الدنيا والآخرة.

القسم الثالث

**ارتفاع وإزدهار مقام العقيلة
زينب (عليها السلام) في دمشق**

المؤرخون وقبر العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق

وبداية لا بد من الإشارة أن العقيلة زينب عليها السلام عندما غادرت المدينة المنورة كانت الإنسانية الوحيدة الباقية على قيد الحياة من أبناء وبنات الإمام علي عليه السلام وبضعة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله السيدة الزهراء عليها السلام أما تعدد أسماء العقيلة زينب عليها السلام فكان أم كلثوم أو الصغرى أو الوسطى أو الكبرى فذلك يرجع لأسباب عدة أتينا على ذكرها على صفحات هذا الكتاب فارجع إليها إلا أنه لا بد من الإشارة هنا: أن العقيلة زينب كانت تكنى بأم كلثوم وأختها من أمها وأبيها كانت تسمى أيضاً بأم كلثوم ولكن الأشهر والأعم أن أم كلثوم هي زينب عليها السلام وهي التي شهدت الطف مع ابن أخيها الإمام السجاد عليه السلام وهي التي وقفت تلك الوقفة البطولية مع أخيها الإمام الشهيد الحسين عليه السلام وهي التي تابعت مسيرتها الظافرة من بعده إلى أن خرجت من المدينة المنورة وهي التي شرفت ذلك المكان الذي دفنت فيه ليصبح هذا التراب الذي حضن جسدها الشريف أطهر وأشرف مكان في دمشق وليشاد فوقه درة مقامات بلاد الشام، وعليه فإنه لا خلاف عندما يذكر المؤرخون والرحالة بأن المقام العظيم الموجود في قرية (قبر السيدة زينب عليها السلام) هو لأم كلثوم زينب الكبرى عليها السلام أو هو لأم كلثوم ابنة الإمام علي ووالدتها السيدة الزهراء عليها السلام إنما تعود جميعها إلى الابنة الكبرى للإمام علي عليه السلام

عقيلة بيت المصطفى السيدة زينب عليها السلام بعدما ثبت بالدليل الحسي القاطع بما لا يقبل الشك نهائياً أنها الوحيدة عليها السلام من بقيت على قيد الحياة يوم خرجت من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وإجماع كافة الرواة والمحدثين والعلماء الأجلاء والأفاضل أن القبر الموجود في دمشق إنما هو لابنة الزهراء عليها السلام حصراً مما يقودنا للجزم بأنها عند خروجها من المدينة إنما توجهت إلى دمشق وبقيت فيها إلى أن توفاه الله واليك بعض الروايات:

لقد ذكر قبرها الشريف طائفة كبيرة من علماء الفريقين على حد سواء بأن المدفونة بقرية (راوية) (قبر السيدة زينب عليها السلام حالياً) هي زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين التي أمها فاطمة الزهراء وشقيقة السبطين (عليهم السلام أجمعين) وزوجة عبد الله بن جعفر والتي ولدت منه علياً وعوناً وعباساً وأم كلثوم، فمن هؤلاء العلماء نذكر إليك ما يلي:

١. الحافظ الكبير شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

الدمشقي المتوفى ٧٤٨ هـ.

٢. الحافظ المؤرخ عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد الحلبي

المتوفى ٧٤٨ هجرية كما في نسخة كتابه الأعلام الخطيرة (مخطوطة

بمكتبة لندن رقم ٨٠٠).

٣. المؤرخ العلامة أبو البقاء عبد الله بن محمد البدرى المصري المولود

بمصر سنة ٨٤٧ هجرية

٤. الحافظ الكبير شمس الدين محمد بن علي بن طولون الدمشقي

المتوفى سنة ٩٥٣ هجرية بدمشق

٥. الحافظ الكبير برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الدمشقي

المتوفى سنة ٩٠٠ هجرية

٦. القاضي نور الدين محمود علي الشافعي المتوفى ١٠٣٥ هجرية
 ٧. الفقيه الحنفي عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفى ١١٤٢ هجرية
وشهد سبعة قضاة في مدينة دمشق بذلك في سنة ٧٦٨ هجرية وهم:
 ١. قاضي القضاة خليل بن إبراهيم مصطفى أفندي الدمشقي
 ٢. القاضي خليل بن إبراهيم قاضي مدينة بعلبك
 ٣. القاضي علي بن ناجي من أهل عسكر المنصورة
 ٤. القاضي السيد يونس بن نور الدين الحسيني الدمشقي
 ٥. القاضي الشيخ محمد بن عز الدين الحنبلي
 ٦. القاضي إبراهيم الدمشقي
 ٧. القاضي السيد محمد عجلان الحسيني الدمشقي
- واعترف بصحة السند للمرقد الزينبي بقرية راوية إلى زينب بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام طائفة من علماء الشيعة الكبار واليك أسماء بعضهم:
١. الفقيه الكبير الشيخ حسن الاشتياني المتوفى ١٣١٩ هجرية
 ٢. الفقيه الكبير الإمام المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي النجفي المتوفى ١٣١٢ هـ
 ٣. العلامة الكبير وشيخ الفقهاء في عصره الميرزا علي الكني الطهراني المتوفى ١٣٠٦ هـ
 ٤. الفقيه الجليل العلامة الشيخ محمد حسين الكاظمي المتوفى ١٣٠٨ هجرية
 ٥. المؤرخ المتتبع الميرزا محمد حسن خان المراغي المتوفى ١٣١٢ هجرية

٦. الفقيه الجليل الشيخ حسين بن علي الرازي الطهراني المتوفى سنة ١٣٢٦ هجرية
٧. المحدث الكبير الشيخ حسين بن محمد التقي النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠ هجرية
٨. الفقيه المحقق السيد حسن الصدر الكاظمي المتوفى ١٩٥٤ ميلادية
٩. العلامة الكبير الشيخ محمد حرز الدين النجفي المتوفى سنة ١٣٦٥ هجرية
١٠. المصلح الكبير العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء النجفي المتوفى ١٣٧٣ هجرية
١١. العلامة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي المتوفى سنة ١٣٧٧ هـ
١٢. الفقيه الكبير آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي الحكيم المتوفى ١٣٩٠ هـ
١٣. البحاث الكبير العلامة السيد عبد الرزاق المقرم النجفي المتوفى ١٣٩١ هـ
١٤. الميرزا مهدي الحسيني الشيرازي المتوفى حوالي عام ١٩٦٠
ومن العلماء الأجلاء من ذكر بأن المدفون في قرية راوية هي زينب
المكناة بأم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام بنت فاطمة الزهراء عليها السلام
١. أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكنافي الغرناطي المتوفى سنة
٦١٤ هجرية قال في رحلته المعروفة عن ذكر المزارات الشامية: ومن
مشاهد أهل البيت مشهد أم كلثوم بنت علي ويقال لها زينب الصغرى
وأم كلثوم كنية أوقعها عليها النبي ﷺ... ومشهدا الكريم قبلي البلد

يعرف براوية على مقدار فرسخ وعليه مسجد كبير وخارجه أوقاف وأهل هذه الجهات يعرفونه بقبر الست ومشينا إليه وتبنا وتبركنا برؤيته^(١).

٢. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بطوطة المتوفى ٧٧٠ هجرية، قال عند ذكر مزارات دمشق: بقية القبلي وعلى فرسخ منها مشهد أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب من فاطمة عليها السلام ويقال إن اسمها زينب وكنها رسول الله أم كلثوم وعليه مسجد كبير وله مساكن وله أوقاف ويسميه أهل دمشق قبر الست أم كلثوم^(٢).

٣. عثمان بن أحمد بن محمد بن رجب بن سريح السويدي الحوراني الدمشقي المتوفى ٩٧٠ أو ١٠٠٣ هجرية في كتابه الإشارات إلى أماكن الزيارات الذي توجد فيه نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر بمصر ح ٥ ص ٣١٢ وطبع هذا الكتاب في دمشق سنة ١٣٠٢ هجرية قال فيه: ومنها قرية يقال لها راوية بها السيدة زينب أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب توفيت بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها الحسين ودفنت في هذه القرية ثم سميت القرية باسمها وهي الآن معروفة بقبر الست^(٣).

٤. عز الدين محمد الصيادي الشافعي المتوفى ١٣٣٠ هجرية قال في كتابه (الروضة البهية في فضائل دمشق المحمية) عند ذكر المزارات: ومنها قرية يقال لها راوية قبلي دمشق فيها قبر السيدة زينب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب توفيت بغوطة دمشق عقيب محنة أخيها الحسين ودفنت في هذه القرية ثم تسمت القرية باسمها وهي الآن معروفة (بقبر الست) وعلى قبرها حجر منقوش قديم محفور عليه اسمها.

(١) رحلة ابن جبير ص ٢٦٩ ط ٢ بمصر

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٦٥

(٣) الإشارات لابن الجوزي ص ٢١٨

٥. الأستاذ أحمد فهمي محمد المصري المعاصر قال في ترجمة السيدة نفيسة المدفونة بمصر المتوفاة سنة ٢٠٨ هجرية: زارت السيدة نفيسة مقام السيدة زينب أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب وتوفيت عقب محنة أخيها الحسين ودفنت بغوطة دمشق وهي تعرف بقرية (قبر الست)^(١).

٦. الأستاذ حسن محمد قاسم المصري المعاصر قال في كتابه السيدة زينب: السيدة زينب الوسطى دفينة الشام فقد ذكرنا فيما تقدم أن أمها هي السيدة فاطمة الزهراء أسمتها زينب ثم أطلق عليها الكبرى للتميز بينها وبين أختها لأبيها أم كلثوم الصغرى^(٢).

٧. الأستاذ عبد القادر الرياحوي الدمشقي المعاصر أحد عباقرة التاريخ والأدب اليوم قال: زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب الملقبة بأم كلثوم لها قبر فخم في ضاحية جنوبي دمشق تعرف بقرية الست زينب وعلى القبر اليوم تابوت ثمين وضع حديثاً من إيران من خشب الموزائيك وحوله قفص من فضة^(٣).

٨. الأستاذ توفيق أبو علم المصري رئيس مجلس ادارة مقام السيدة نفيسة بمصر ذكر زيارة السيدة نفيسة لمرقد السيدة زينب المكناة بأم كلثوم بنت أمير المؤمنين بالشام^(٤).

٩. الكاتبة المصرية الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) قالت: أم كلثوم قد توفيت عند عبد الله بن جعفر فيما يقول الخبر بغوطة دمشق عقب محنة أخيها الحسين^(٥).

(١) كتابه كريمة الدارين ص ٢٥.

(٢) السيدة زينب للمصري ص ٦٤.

(٣) تاريخ دمشق ص ١٨٥.

(٤) أهل البيت ص ٥٥٠ والكامل البهائي ص ٣٠٢ ط إيران.

(٥) بطله كريلاء ص ١١٤ طبعة دار الكتاب العربي بيروت.

وإليك طائفة أخرى من العلماء:

١. عماد الدين حسن بن علي بن محمد الطبري المعاصر للفقهاء المحقق أبي القاسم نجم الدين صاحب الشرائع المتوفى ٦٧٦ هجرية قال في كتابه الكامل البهائي الذي ألفه سنة ٦٧٥ لله لوزير محمد بن شمس الدين الجويني المقتول سنة ٧٠٤ هـ روى: أن أم كلثوم أخت الحسين عليه السلام توفيت بدمشق^(١).

٢. إبراهيم بن يحيى بن محمد بن سليمان العاملي المتوفى ١٢١٤ هجرية أحد أعلامنا الأجلاء والشعراء المعروفين قال العلامة الشيخ علي والد العلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في الحصون المنيعه ج ٩ ص ٨١ - المخطوط في ترجمته - كان حاوياً للجمله من العلوم ومصنفاً فيها، ورد للعراق وحضر على السيد محمد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر كاشف الغطاء، هذا الشيخ كان زار مرقد السيدة زينب بقرية راوية وكتب شعراً على الحائط:

مقام لعمر و الله ضم كريمة

زكى الفرع منه في البرية والأصل

لها المصطفى جد وحيدرة أب

وفاطمة أم وفاروقهم بعل

٣. العلامة الشيخ جعفر بن محمد الربيعي النقدي المتوفى ١٣٦٩ هجرية قال: أما هذا القبر الذي هو بالشام... إنه للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين والمشهور أن اسمها زينب أيضاً ويفرق بينها وبين اختها زينب الكبرى بالوسطى، ولدت هذه السيدة بعد اختها زينب الكبرى وكانت من أجل النساء فضلاً وزهداً وتقوى وعبادة وشرفاً وعفة... إلى

(١) الكامل البهائي ص ٣٠٢ ط إيران.

غير ذلك من الصفات الكريمة والأخلاق الفاضلة أخذت العلم من أبيها وأخويها ونشأت نشأتها المباركة في البيت العلوي الطاهر وجعل قبرها الشريف بقرية راوية من غوطة الشام المعروف بقرية الست ومن العلماء من ذكر أن المدفونة في قرية راوية هي أم كلثوم ولم يزد شيئاً:

١. علي بن حسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفى ٥٦١ هجرية قال في تاريخه عند ذكر مساجد دمشق: ومسجد راوية مسجد على قبر أم كلثوم، وأم كلثوم هذه ليست بنت رسول الله ﷺ وليست أم كلثوم بنت علي وفاطمة التي تزوجها عمر لأنها ماتت هي وابنها زيد بن عمر بالمدينة بيوم واحد ودفنا بالبقيع وصرح بأن أم كلثوم هذه تسمى بالسيدة زينب (رضي الله عنها) تاريخ ابن عساكر ح ٢ ص ٨٠ الإشارات لابن الجوزي ص ٣١

٢. أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي المتوفى بحلب ٦١١ هجرية ترجمة ابن خلكان وابن طولون وحاجي خليفة قال في كتابه الإشارات إلى مفرمة الزيارات: راوية قرية أعمالها بها قبر الست أم كلثوم^(١).

٣. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي المتوفى سنة ٦٢٤ هـ قال في معجم البلدان: راوية قرية في غوطة دمشق بها قبر أم كلثوم^(٢).

٤. عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد الحلبي المتوفى ٦٨٤ هجرية قال في الأعلام الخطيرة: راوية بها قبر أم كلثوم.

٥. صلاح الدين محمد بن شاكر الدارمي الدمشقي المتوفى ٧٦٤ هجرية

(١) تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٤٧ والطبقات الزكية ص ٣٤

(٢) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٠

قال في تاريخه المسمى بعيون التاريخ عند ذكر مساجد دمشق: أما المساجد الخارجة عن البلد فمنها مسجد بين حجيرا وراوية على قبر مدرك بن زياد ومسجد على قبر أم كلثوم من أهل البيت

ذكره الأستاذ محمد كرد علي في الخطط الدمشقية ج ٦ ص ٦٤

مما سبق وذكرناه أعلاه نكون بذلك قد جمعنا من الأدلة والقرائن بما يدحض الشك باليقين أن هذا القبر الموجود اليوم في أطهر تربة موجودة في دمشق إنما هو للسيدة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب بضعة الطاهرة البتول الزهراء أخت الإمامين سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين (عليهم السلام أجمعين)

وبما أن الوقائع الحسية التاريخية تجزم بأنه عندما غادرت زينب عليها السلام المدينة وتوجهت إلى دمشق للمرة الثانية كانت يومها الوحيدة لأمها وأبيها على قيد الحياة، وباعتراف كافة العلماء أن هذا القبر لا يخص سوى تلك الطاهرة والتي أبوها الإمام علي وأمها الزهراء عليها السلام بغض النظر عن الاسم أو اللقب فبالتالي فإنه يعود حتما إلى العقيلة زينب عليها السلام دون غيرها من أبناء الإمام علي عليه السلام وهو ما فاض يراعه على جميع كتب أصحاب الاختصاص، إنما بأسماء وألقاب متفاوتة وحسب ما اجتمع لديهم من مصادر إنما كان المقصود هو العقيلة زينب عليها السلام، حيث بات من المسلم به أن العقيلة زينب الكبرى كانت تكنى أيضاً بأم كلثوم وأم كلثوم على لسان المحدثين على الإطلاق هي العقيلة زينب عليها السلام فلم يبق خلاف أن المدفونة في قرية راوية هي أم كلثوم زينب بنت علي والزهراء (عليهم السلام أجمعين)

وهي ليست أم كلثوم الأخت الصغرى للعقيلة التي توفيت في عام ٥٤ هجرية وهي ليست أم كلثوم التي توفيت بعد وصولها من كربلاء

بأربعة أشهر وعشرة أيام ودفنت في البقيع بل هي تلك القامة الشامخة التي تفوقت على جراحها وآلامها ووقفت سداً منيعاً بوجه الطاغية يزيد وطغمته في جميع الأمصار وأتمت بكلامها ومواقفها وخطبها ما بدأ به أخوها الإمام الشهيد الحسين عليه السلام يوم قدم نفسه قرباناً لله تعالى لنصرة الدين الحنيف.

فكانت زينب عليها السلام الحلقة الأهم التي ربطت الإمامة ما بين السلف والخلف فوقفت سداً منيعاً في وجه جميع من حاول النيل من الإمام السجاد وتصدت بكل حزم وجرأة لجميع محاولات إلحاق الأذى به، فأبعدت عنه الخطر بكافة جوارحها والتي كان جسدها الشريف واحداً منها

إلى أن أبعدها يد السلطة كرهاً عن إمامها وعن مدينة جدها المصطفى صلى الله عليه وآله فوصلت إلى دمشق بعد أن أنهكها الترحال وأخذت منها الأحزان كل مأخذ

جاءت الحكمة الإلهية لتغيبها عن الوجود في تلك التربة والتي ما إن حضنتها حتى طهرت وزكت وتشرفت بهذا الجسد الطاهر ليعلو فوقه هذا الصرح العظيم ويصبح قبلة للزائرين من كافة أقاصي الأرض للتبرك والزيارة والعبادة والصلاة والذكر في بيت من بيوت الله ﴿ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (١) تلك حكمة ربك الذي لا يضيع أجر المحسنين فيمن عليهم بالدنيا والآخرة ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٢)

(١) سورة النور ٣٦

(٢) سورة القصص ٥

المجتهد الأكبر العلامة السيد محسن الأمين (قدس سره) ودوره في إعلاء صرح مقام العقيلة زينب (ع)

قبل الدخول في دور السيد محسن الأمين قَالَ سَيِّدُهُ في العمل الفعال والمجدي لارتفاع مقام السيدة زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ في هذا العصر لا بد لنا من وقفة صغيرة تلقي الضوء على بعض النواحي المضيئة من سيرة هذا الإنسان المعطاء والعظيم والذي سبق عصره بعشرات السنين واضعاً نصب عينيه إعلاء كلمة الله، وترسيخ معالم هذا الدين الحنيف والانتصار لأهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالوقت نفسه النهوض بأعباء الإصلاح الاجتماعي والعلمي والثقافي الذي كان دأبه قَالَ سَيِّدُهُ منذ أن وضع أول قدم له في دمشق.

ويصف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذلك الوضع المزري الذي آلت إليه شيعة أهل الشام فكتب عن ذلك الوضع المتردي فقال: وردنا دمشق في أواخر شعبان من سنة ١٣١٩ هجرية في أواخر الخريف فوجدنا أمامنا أموراً هي علة العلل ولا بد من إصلاحها وأهمها:

- الأمية والجهل المطبق: فقد وجدنا معظم الأطفال يبقون أميين بدون تعليم، وبعضهم يتعلمون القراءة والكتابة في بعض الكتاتيب.
- وجدنا إخواننا في دمشق متشاكسين منقسمين إلى فريقين بل

إلى أحزاب.

• مجالس العزاء وما يتلى فيها من أحاديث غير صحيحة، وما يصنع في المشهد المنسوب إلى زينب الصغرى^(١) الممكنة بأم كلثوم في قرية راوية من ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات وبعض الأفعال المستنكرة وقد صار ذلك كالعادة التي يعسر استئصالها لا سيما انها ملبسة بلباس الدين ويتابع ويقول **رَحِمَهُ اللهُ**:

فوجهنا اهتمامنا إلى إصلاح هذه الأمور الثلاثة:

أما الأمر الأول وهو أمر التعليم فبذلنا غاية الإمكان في تعليم العلوم العربية لمن يمكن تعليمهم فصاروا بفضل ذلك أهلاً لأن يتكلموا في مجالس العلماء ويناظروا الفضلاء... وأخذنا في إلقاء المواعظ في المجتمعات والمجالس، والتفقيه في الدين بقراءة درس فقهي في التبصرة كل ليلة بعد صلاة العشاءين، واتجهنا لإنشاء مدرسة لتعليم الناشئة فأخذنا داراً عارية بدون أجرة ونقلنا إليها (الكتاب) الموجود في المحلة وجعلناها مدرسة باسم المدرسة العلوية وابتدأنا بإدخال العلوم الحديثة إليها بشكل ضعيف كما هو الشأن في ابتداء كل عمل وكذلك استأجرنا داراً لتعليم البنات.

وفي عام ١٣٢٠ هـ تم الاتفاق على شراء دار الحاج يوسف بيضون وساهم السيد الأمين والحاج يوسف وكبار تجار الحي وأعيانهم في دفع ثمنها والذي بلغ ثمانمائة ليرة افرنسية ذهباً، ثم وفق الله لشراء دار ثانية هي أحسن من الأولى بمراحل ومن أفخم دور دمشق شريت بقيمة ألف وخمسمائة ليرة عثمانية ذهباً وأصلحت بخمسمائة ليرة، وبذل ثمنها

(١) علماً بأن السيد الأمين **رحمته الله** عدل عن رأيه فيما بعد فأعلن بأن المدفونة في قرية راوية إنما هي السيدة الجليلة العقيلة زينب **رحمته الله** ومن أجل ذلك ألف اللجان للنهوض بهذا المقام الشريف وترأسها وأشرف عليها بنفسه (جزاه الله كل خير).

خيرة رجال الحي من محسنين وتجار ووجهاء وهي تساوي أضعاف هذا الثمن وأوقف أهل الخير الأوقاف لهاتين المدرستين، وكانت تزيد هذه الأوقاف عاماً بعد عام وأطلق على اسم هذه المدرسة «المحسنية» اعترافاً بفضل السيد عليها.

وكانت مدرسة البنات قد ضاقت بالطالبات فتبرع الحاج يوسف بيضون بشراء دار دفع ثمنها ثلاثة آلاف وثمانمائة ليرة عثمانية ذهباً وعين لها من ماله ألف ليرة عثمانية ذهباً يصرف ريعها على نفقاتها، ثم اشترى لها عقاراً في بيروت ووقف عليها، واعترافاً بفضل الحاج يوسف بيضون سميت المدرسة باليوسفية.

وكان السيد محسن الأمين يمضي بمسيرته الغراء هذه إلى جانب إصلاح ذات البين بين أهالي الحي وإزالة الشوائب والعوائق التي علقّت بأذهان الأهالي وخاصة فيما يتعلق بالمجالس الحسينية والعزاء على الحسين عليه السلام.

وقد كتب عنه في هذا المجال الأستاذ محمد علي مروة في العدد ٧ من مجلة العرفان قطفنا منها هذه الكلمات:

«كان الفقيه العظيم المرحوم السيد محسن الأمين قد اختط للإصلاح خطة عملية صحيحة ففرض على الخطباء رقابة عسيرة تولاهما بنفسه فمنعهم من أن يسترسلوا في التهويش والتهويل... وكان لا يتوانى عن أن يقطع على الخطيب خطابه عند أي خطأ فيصححه في أذهان الحضور ثم يأمر الخطيب بمعاودة كلامه

إلى أن استقامت الأمور بعد أن اختار بنفسه جيلاً جديداً من الخطباء رباه بيديه فكان أفرادهم من أحسن الناس ثقافة وتعمقاً في البحث وألف رسالته الشهيرة (التنزيه) داعياً إلى تنزيه الدين من الأباطيل وتنزيه

المحافل من الأضاليل».

ولما كان شغل السيد الشاغل هو الإصلاح والسير بالاتجاه الصحيح فكان رَحْمَةُ اللهِ لا يدخر جهداً في سبيل ذلك، وهذا الإصلاح لم يكن يشمل الحي وهمومه وحده وحسب بل كان موزعاً على كافة الصعد وبجميع السبل، فكان منها مواقفه ضد المستعمر الفرنسي نذكر منها:

أصدر الفرنسيون قانون الطوائف بما لا يوافق مصلحة المسلمين ويخالف نص الشرع الإسلامي، فعارض في ذلك جملة من علماء دمشق وبالغوا في المعارضة فأوقف القانون على أهل السنة واقتصر على الشيعة فقط فانبرى السيد الأمين لذلك وقدم احتجاجاً للمفوضية الفرنسية باللغتين العربية والفرنسية قام الفرنسيون له وقعدوا ونشرته الصحف وهذا نصه:

إلى فخامة المفوض السامي في بيروت

بواسطة المندوب العام في الجمهورية السورية

لقد سمعتم الاحتجاجات الصاخبة التي قام بها المسلمون عموماً في مشارق الأرض ومغاربها على القرار ذي الرقم ٦٠ المسمى بقانون الطوائف وعلى تعديله ذي الرقم ١٦٤ الصادرين عن المفوضية العليا لأنهما مناقضان مناقضة صريحة لتعاليم دينهم وأحكام شريعتهم التي نصَّ على احترامها حتى صك الانتداب والذي سبب هذه الثورة الفكرية في البلاد.

ولم تكن نحن المسلمون الشيعيون بأقل استنكاراً لهذا القرار الذي يسيء إلى حرمة الأديان السماوية كافة لأننا من أشد أبناء الشريعة المحمدية تمسكاً

بتقاليدها وحرصاً على تعاليمها، ولذلك استغربنا اشد الاستغراب مما جاء في خطاب فخامتكم في الراديو من تفريقكم بين طوائف المسلمين هذا التفريق الذي ينكره المسلمون أجمع، ونستغرب قصركم توقيف مفعول القرار على الطائفة السنية وحدها واستثناءكم بقية المسلمين من ذلك، فأنا بصفتي الرئيس الروحي للطائفة الإسلامية الشيعية في سوريا ولبنان أرجو فخامتكم أن تحيطوا علماً باستنكار المسلمين الشيعيين عامة لهذا القرار ولهذه التفرقة المصطنعة بين المسلمين وتفضلوا بقبول فائق احتراماتي.

محسن الأمين الحسيني

ويتابع رَحِمَهُ اللهُ ويقول:

وعزم الفرنسيون على إحداث منصب رئيس علماء الشيعة في لبنان وقرروا تعييني لهذا المنصب وأصدروا به مرسوماً اعتقاداً منهم بأنني أقبله بكل امتنان فالتناس تتوسط للحصول عليه فكيف بمن يأتيه، فقلت للرسول الذي جاء بالكتاب: قل لصاحبه إن هذا الأمر لا أسير إليه بقدم ولا أخط فيه بقلم ولا أنطق فيه بضم وقلت للوفاد:

أيها السائل عنهم وعني

لست من قيس ولا قيس مني

وكان رده في آخر المطاف: إنني موظف عند الخالق العظيم وسيد الأكوان، ومن كان كذلك لا يمكن أن يكون موظفاً عند المفوض السامي.. واحمل إليه أن المعاش الكبير والمركز الخطير والدار المنيفة والسيارة الفارحة كل أولئك قد أغناني الله عنه بالقناعة.

موقف مُشرف للسيد الأمين :

اختلفت شركة الجر والتنوير الأجنبية مع الأهالي في دمشق ويذكر بذلك السيد رَحِمَهُ اللهُ وَيَقُولُ: وكان عندي ليلة فريق من زعماء الكتلة الوطنية فقلت فما بالنا لا نقاطع هذه الشركة الأجنبية؟

لقد أماتت الدولة العثمانية عواطف الشهامة والشمم في كبرائنا وأغنياءنا وكبراءنا اليوم دخلهم الشهري مئات الليرات الذهبية فإذا دفعوا منها في الشهر عشر ليرات سورية لا يرونها شيئاً فيدخلون الدار ليلاً ويجلسون على الأسرة والأرائك ويفتلون زر الكهرباء فتضيء الدار كأنهم في النهار...

فلو كان فيهم شمم وإباء لآثروا (النواصة) على ضياء الكهرباء ولم يرضوا بأن تتحكم هذه الشركة الأجنبية.

فقال بعضهم: لو ألقيت هذا الكلام في مجتمع من الناس قلت: انا ما تعودت أن ألقى كلاماً في المجتمعات، ولكن أنتم بلغوه عني. وفي اليوم الثاني قاطع الناس الشركة مقاطعة تامة وأحرقوا بعض عرباتها ولم يعد يركب فيها أحد (حافلات الترام الكهربائي).

موقف مع الحكومة السورية:

صدر قانون الانتخابات النيابية بأن للمسلمين السنيين كذا من المقاعد في المجلس النيابي ولسائر الطوائف كذا، وللأقليات كذا وبموجب ذلك دخلت الشيعة في الأقليات.

فقدمت للحكومة كتاباً بأن الشيعة تعتبر المسلمين طائفة واحدة ولا تريد الافتراق عن إخوانها السنيين، فكان لذلك وقع حسن عند الوطنيين

وقررت الحكومة بأن المسلمين في جميع أنحاء الدولة السورية هي للسنيين وللشيعيين على السواء.

موقف مشرف نادر للسيد محسن الأمين قدس الله سره

ذاع صيت السيد الأمين رَحِمَهُ اللهُ في الآفاق من جراء مواقفه الصلبة والثابتة أمام جميع القضايا التي كانت تهم الإسلام والمسلمين، إلى جانب دأبه المستمر في الإصلاح الاجتماعي والثقافي وتبوءه أعلى المراتب في اللغة والأدب حيث كان يشغل مقعداً ثابتاً في مجمع اللغة العربية والذي كان يضم تحت لوائه خيرة العلماء والأدباء والبلغاء من سوريا ولبنان.

واكثر من كان يتابع أخبار هذا العالم الفذ هو الحكومة الفرنسية والتي كان يمثلها في سوريا ولبنان الجنرال (غورو) الذي بعث رسوله إلى عند السيد الأمين كي يحدد معه موعداً للقاء،

واتفق الطرفان على موعد معين يأتي خلاله الجنرال غورو لزيارة السيد الأمين في داره.

ولما كان المنزل الذي يقطن فيه العلامة السيد متواضعاً ولا يوجد فيه ذاك الفرش اللائق لاستقبال شخصية اعتبارية كتلك التي كان يتمتع بها المندوب السامي الفرنسي، فقد حاول بعض الوجهاء في الحي أن يزودوا بيت السيد ببعض الأثاث، لكن السيد رَحِمَهُ اللهُ أبى ذلك وقال:

إذا أراد غورو: أن يأتي لزيارتنا فإننا سنستقبله استقبالاً لائقاً ولكن على وضعنا الحالي ومن دون زيادة أو نقصان.

إلا أن السيد رَحِمَهُ اللهُ امتثل أخيراً لإصرار وجهاء الحي ورضي بجلب كرسي قش من الحسينية كي يجلس عليه الضيف بدل جلوسه على

وكان اللقاء التاريخي والحافل ما بين السيد الأمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والجنرال غورو والذي تم البحث فيه عن أمور عالقة هامة وكثيرة تم تذليلها ذكرنا جانباً منها فيما سبق، ومن خلال هذا اللقاء المباشر شعر الجنرال غورو بعظمة هذا الإنسان وقوة شخصيته ونزاهة أفكاره وبعد نظره وصلابة موقفه في القضايا المصيرية، مما حدى الجنرال عند نهاية اللقاء أن يلح على السيد بطلب يلبيه له فوراً فما كان من السيد وعلى البديهة الحاضرة إلا أن قاله له: لقد جلبتم من فرنسا أحدث الأجهزة الطبية وأمهر الأطباء واستقلبتوا مرضاكم في مشفى ضخّم - (الغرباء) جانب رئاسة الجامعة حالياً - والناس هنا لا تدري أين تذهب بمرضاهم لذا نريد منكم إنشاء مشفى عام على أن يكون حديثاً يواكب العصر وكبيراً كي تعم فائدته على أهل الشام جميعاً.

فكان وقع هذا الطلب عظيماً على الجنرال غورو وحيث كان باعتقاده بأن السيد سيطلب منه شيئاً خاصاً به وإذا به يفتح على الناس جميعاً بمذاهبهم وأديانهم،

على إثر ذلك أمر المندوب السامي الفرنسي (الجنرال غورو) بإنشاء مشفى كبير في دمشق وإطلاق اسم (المجتهد) عليه كناية بالعلامة المجتهد السيد محسن الأمين (قدس الله سره).

وقد أثار حديثاً هذا الموقف العظيم والمشرف للسيد (محسن الأمين) جريدة الثورة^(١) عندما كتب المحرر بالبند العريض والعنوان الكبير مقالاً عنوانته الجريدة بالجملة التالية: (المجتهد الكبير... هل يجدد شبابه).

وذلك إشارة لمشفى المجتهد بدمشق، وقد افتتح الكاتب مقالته

(١) جريدة الثورة السورية العدد ١٣٦٩٦ / ٢٤ / ٨ / ٢٠٠٨.

بالكلمات التالية:

(أحدث مشفى دمشق ليكون عاماً للناس، وسمي واشتهر بالمجتهد تيمناً بالعلامة الذي سعى لإحداثه (المجتهد الكبير).

بيد أن الكاتب (سامحه الله) لم يذكر اسم هذا العالم المجتهد لذا كان لا بد لنا من إيفاء السيد الأمين حقه وذكر ذلك اللقاء الذي أثمر عن هذا المشفى الكبير والحديث والفريد في زمانه والذي ما زال حاضراً وشاهداً على عظمة السيد محسن الأمين والذي سبق عصره بعشرات السنين - بل أكثر -.

ملاحظة: منذ وقت غير بعيد أبدل اسم مشفى المجتهد فأصبح مشفى دمشق ولكن أهالي دمشق لم تعترف بهذه التسمية الجديدة وبقي معروفاً هذا المشفى باسم المجتهد عند العامة والخاصة، لا بل أكثر من ذلك فإن المكان الذي تواجد فيه هذا المشفى أصبح حياً كبيراً ومن أكبر أحياء دمشق وقرن اسمه بالمجتهد تيمناً بالعلامة المجتهد السيد محسن الأمين قدس سره.

موقف بطولي نادر

لقد كان السيد محسن الأمين قدس سره - بمواقفه الثابتة والمبدئية الجريئة - يعتبر حجر الرحى - في زمانه - لكافة المسائل والمعضلات والأمور التي كانت تجري من حوله والتي كانت تهم الناس جميعاً على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم.

لذا كنت تجد الناس تقصد مجالسه وتأنس لحديثه وتجد فيه العازف والزاهد عن مباحج الدنيا وزخارفها والجاهد في التصدي لحاجات الناس لما فيه خير دنياهم وآخرتهم، وكل ذلك بحكمة بالغة وعقل نير

وشجاعة وإقدام قلّ نظيرها عند الكثير من أقرانه.

ولا نغالي اذ نقول أن السيد رَحِمَهُ اللهُ قد سبق عصره بعشرات السنين لأنه قَدْ سَبَّحَ بِأَثَارِهِ التي خلفها من ورائه والتي ينعم بها اليوم ملايين الناس مثل (مشفى المجتهد والمدارس والمؤسسات والجمعيات الخيرية والأدبية...) إلى جانب الأمور التي كانت تهتم الإسلام والمسلمين وكانت أعظم مواقف رَحِمَهُ اللهُ تتجلى في الظروف الحرجة والصعبة التي كانت تمر على الناس، وخاصة عندما كان المستعمر ينشب أظفاره في معاش الناس ويتمادى في بطشه فيهم إلى غير ذلك من ضروب المصاولة والمطاولة، عندها كنت تجد هذا الإنسان الوديع الضعيف البنية يقف كالجبل الأشم في وجه الطغيان غير آبه بقوة وجبروت الغاصب وخير دليل على ذلك تجده في هذا الأثر الفريد الذي سأضعه بين يديك والذي يغنيك عن أي تساؤل.

وهو عندما تأزمت أمور فلسطين واحتيج إلى بذل المال حددت سورية يوماً دعتة (يوم فلسطين) لجمع التبرعات فأصدر رَحِمَهُ اللهُ نداءً مدوياً نشرته له بعض الصحف العربية وهو على النحو التالي:

لقد روعت فلسطين بأشد مما روع به قطر، واستقبل العرب فيها أعظم ما يستقبله شعب، وصابروا فيها أقوى ما يصابر الأبطال ويغالب الفحول، ففي كل يوم نضال واقتتال ودم بريء يهدر، وحق مهضوم يستصرخ، وفواجع في الأنفس والأموال والثمرات، وصراع قائم بين الحق والباطل، ومن خلف الباطل دولة من أقوى الدول عديداً وعدة، أما الحق في هذا الصراع فهو أعزل إلا من قوة الإيمان، مخذول إلا من نصرة العقيدة.

ويسترسل رَحِمَهُ اللهُ في ندائه المشهور فيتكلم فيه عن القدس أولى

القبلتين وثالث الحرمين التي درج منها عيسى عليه السلام وعن الغارات التي أذكاها الغرب لتوهن المغاوير وعن شكيمة الأجداد إلى أن يقول:
أيها العرب، أيها المسلمون:

إن لكم في فلسطين تراثاً، وأن لكم في كل غور ونجد وحزن وسهل منها دمماً عجن به ترابها واختلط به ماؤها ونباتها، وأن أربعة عشر قرناً زاخراً بالمفاخر والمآثر تحديق بكم اليوم، وأمجاداً من عليا معد ونزار ترفرف أرواحها في آفاقكم تستفز عزائمكم وتستصرخ نجدتكم...
إلى أن يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

فوالله لا يستسيغ الغمض من بات وأخوه مفترش القتاد، ولا تطيب الحياة لحر يضام أهلوه وذووه، وأي لذة للعيش والبلاء محيق، والقلق مساور، وأي سعة تطيب إذا شكا الضيق قريب حميم...

محسن الأمين الحسيني

فبالله عليك ألا ينطبق هذا الكلام على وضعنا الحاضر.

ألسنا بأمس الحاجة - نحن اليوم - لأمثال السيد محسن الأمين -
كي يستنهض الهمم ويقف بوجه هذا الظلم والحيث وتلك الدماء الطاهرة التي تسفحها يد البغي والعدوان اليوم في (غزة هاشم) الجريحة المناضلة الصابرة المحتسبة هل انعدمت الضمائر؟

هل ماتت الأنفس؟

لم هذا الصمت؟

أين هاتيك الرجال أمثال السيد محسن الأمين؟

ألا يحتاج ما يجري (اليوم) في غزة وسواها إعلان ونداء يملؤ الأرض والفضاء يظهر حقائق الأمور ويعري أصحاب هذا الصمت الذين تبوؤوا

مكان الصدارة بين جماعاتهم...!!

تبدأ الاستفهامات ولا تنتهي ولكن من دون جواب؟!.

لتدرك بالبديهة الحاضرة عظمة السيد محسن الأمين وجرأة مواقفه
وثباتها في جميع الأمور التي كانت تهم الناس جميعاً بدون استثناء..

من كرامات السيد الأمين

يقول السيد الأمين رحمته الله:

انقطع المطر وكنت في جبل عامل ببلبنان، فدعونا الناس إلى
موافاتنا، وصمنا الأربعاء والخميس والجمعة وخرجنا يوم الجمعة من
شقراء إلى السهل، حافين مشمرين ثيابنا بالخضوع والاستكانة وذكره
تعالى فوجدنا الناس مجتمعمة هناك من القرى المجاورة فأخذنا في الدعاء
والتضرع.

وبعد الصلاة الجامعة صلينا صلاة الاستسقاء وخطبنا وأمرنا الناس
بالتوبة ودعونا وتضرعنا إلى آخر النهار ثم أفطرننا وصلينا العشاءين

وكان ذلك اليوم صاحياً ليس في السماء شيء من الغيم... فما عدنا إلا
وقد انتشر الغمام في السماء، ومطر الناس تلك الليلة مطراً أحيا به الزرع
والضرع وبعده بأعوام انقطع المطر وقحط الناس أيضاً فاستقينا في ذلك
المكان وفعلنا كفعلنا أولاً فسقي الناس ومطروا مطراً كافياً والحمد لله

واجمالي القول:

لقد كان سماحة العلامة محسن الأمين قدس الله سره إلى جانب
تفقهه بالدين والعلم، عالماً من أعلام الثقافة، فلقد كانت نظرتة الثاقبة
والمتأملة إحدى أكبر الأسباب للوجود المؤثر والحاضر ليس للشيعنة

وحسب بل كان لكافة الناس الذين كان لهم شرف الاستفادة من جملة تلك الانجازات المعطاء والمتدفقة التي أرسى معالمها هذا الإنسان الفذ وعلى مرور الأجيال، فحمل رسالة العلم، فألف وصنف، فأغنى المكتبات العربية والإسلامية بمئات الكتب القيمة والشمينة، وأنشأ المعاهد والجمعيات الخيرية والعلمية والاجتماعية على أنواعها، للقضاء وعلى التخلف والجهل، وتنويراً للأفكار وتغذيتها وتربية للطباع وترقيتها

إلى جانب النهوض برسالة الدين فهذب وهدى وطهر وزكى.

ومن آثاره رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تلك الصروح الشامخة والمعطاءة تستقي منها الأجيال جيلاً بعد جيل وهي تنهل من ذلك ينبوع المتدفق الصافي الذي لا ينضب أبداً، لأنه أسس على الإيمان الصادق ونما وترعرع على أرضية صلبة متينة لتبقى وتستمر تؤتي أكلها كل حين بإذن الله ليكون السيد محسن الأمين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أمة في رجل).

قبر السيدة زينب (عليها السلام) والسيد الأمين (قدس سره)

ولما كان السيد محسن الأمين رَحِمَهُ اللهُ قَدْ وهب نفسه وروحه وجميع ما وهبه تعالى من عقل راجح وعلم وحلم ونفاذ في البصيرة، فبذله راضياً طائعاً رخيصاً في سبيل النهوض بأعباء المسلمين وخاصة شيعة سوريا ولبنان.

ولمّا كان قبر السيدة زينب رَحِمَهُ اللهُ أَحَدَ معالم شيعة أهل البيت والأثر الأهم لآل البيت رَحِمَهُ اللهُ فِي بلاد الشام، لذا فقد أخذ هذا القبر الشريف حيزاً كبيراً من اهتمام السيد الأمين وخاصة في المراحل الأخيرة من حياته المعطاءة.

حيث أنه رَحِمَهُ اللهُ كَانَ وحسب ما توفر عنده من دلائل وإشارات - في بادئ الأمر - أن السيدة الجليلة المدفونة في قرية راوية (قبر السيدة زينب رَحِمَهُ اللهُ) إنما هو لأم كلثوم الصغرى ابنة الإمام علي رَحِمَهُ اللهُ ولكن وبعد التحقيق والتدقيق وحسب ما اجتمع لديه من قرائن جديدة تبين له رَحِمَهُ اللهُ أن هذا القبر إنما يخص الابنة الكبرى للزهراء رَحِمَهُ اللهُ وقد صرح بذلك عندما سطر فتوى لكافة المسلمين والمسلمات بإجازة صرف سهم الإمام لإعمار مقامها الشريف

ومما قاله رَحِمَهُ اللهُ في هذه الفتوى:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على أخواننا المؤمنين أعزهم الله

غير خاف عليهم وخاصة على من تشرف بزيارة
مقام السيدة زينب عليها السلام في قرية (راوية) أن
ذلك المقام الشريف في ضرورة ماسة لتعمير المسجد
المتصل به..

محسن الأمين الحسيني سنة ١٣٧٠ هجرية

وفي نفس العام أي في عام ١٣٧٠ هجرية شكل السيد محسن
الأمين رَحِمَهُ اللهُ لجنة من كبار الشخصيات وخيرة التجار في سبيل السعي
لدى أهل الخير في جميع الأقطار الإسلامية لجمع التبرعات لبناء وإعمار
مقام السيدة زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وإليك نص تأليف هذه اللجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعونه تعالى لقد تم تشكيل لجنة من خيار التجار
وكبار الشخصيات بدمشق الشام برئاسة المجتهد
الأكبر آية الله سيادة السيد محسن الأمين دام ظله
على العالمين، للقيام ببناء وتعمير وتشييد مقام
وصحن الصديقة الطاهرة الجليلة أم المصائب السيدة
زينب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

بموجب خريطة من قبل المهندسين والسعي لدى
أهل الخير في جميع الأقطار الإسلامية لمؤازرة في هذا
العمل الجليل، وهي ترحو أن تمد لها يد المساعدة من

ذوي الغيرة والحمية ومحبي أهل البيت عليهم السلام، لتنفيذ هذه المهمة الجليلة الموكولة إليها، وإذا يسر المولى تعالى ووفق أن يذهب وفد من أعضاء هذه اللجنة التي هي محل اعتمادنا وثقتنا للأقطار الإسلامية سعياً وراء هذه المهمة الشريفة والغاية الجليلة، فيرجى اعتمادها والثقة بها وتسهيل مهمتها والله تعالى هو المسؤول أن يضاعف لهم الأجر أضعافاً مضاعفة والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وأمرت هذه الوثيقة الهامة بتوقيع رئيس اللجنة السيد محسن الأمين وكذلك نائب الرئيس السيد عباس محمد مرتضى وأمين الصندوق والمحاسب الحاج عبده النحاس والمتولي للمقام السيد محسن مرتضى. والأعضاء الثلاثة وهم الحاج مهدي بهبهاني وعبد العزيز شمعه والسيد نسيب مرتضى.

وبعد فتلك وثيقتان هامتان^(١) صدرتا عن العلامة السيد محسن الأمين قدس الله سره ورفع مقامه في عليين وفي محتوياتهما خير دليل على إعلان السيد عليه السلام بأن هذه الطاهرة والشريفة الموجود قبرها في قرية السيدة زينب إنما هي عقيلة بيت الوحي والتنزيل السيدة العالمة غير المعلمة بضعة البتول الزهراء عليها السلام أم المصائب السيدة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أجمعين.

وبالتالي لا حرج على السيد الأمين بما كان يعتقد سابقاً أن صاحبة هذا القبر الشريف كان للسيدة أم كلثوم الصغرى، بعد أن حسم رأيه لاحقاً بأنه للعقيلة زينب الكبرى عليها السلام وهو أمر غير بعيد على العلماء

(١) يوجد صورة عن هاتين الوثيقتين في منحق هذا الكتاب.

فكم منهم من كان يستصوب أمراً ولكن وبعد أن تنجلي له الحقيقة يعدل عن رأيه الأول ويتجه نحو الرأي الجديد، وأكثر ما كان يظهر هذا الأمر كنت تجده عند المؤرخين والمحققين فكنت تجدهم يذكرون الحوادث والأماكن والشخصيات ويعرفون عليها حسب ما اجتمع لديهم من قناعات معقولة إلى أن تظهر لهم وثائق ثابتة وصحيحة أخرى فكنت تجدهم أول من يأخذ بها توخياً للأمانة والدقة.

ولما كان قبر السيدة زينب عليها السلام قد تجاذبته الأقلام من هنا وهناك ما بين مؤيد ومعارض فلقد اتفق أن السيد الأمين وحسب ما اجتمع عنده من أدلة وقرائن ذكر في أعيانه عند ترجمة العقيلة زينب عليها السلام أنها مدفونة في جباية البقيع في المدينة المنورة كان ذلك أول أمره ولكن فيما بعد تولدت عنده وحسب الوثائق الجديدة والمعلومات الإضافية أنها عليها السلام قد دفنت في قرية راوية بدمشق وأصدر صكا هاما بذلك يهيب بجميع المسلمين والمسلمات بأن السيدة زينب عليها السلام ابنة الإمام علي وبضعة الزهراء عليها السلام هي تلك التي موجود ضريحها الشريف في قرية راوية بغوطة الشام.

ومن العلماء الذين حذوا حذو السيد الأمين رحمته الله نذكر المرحوم المغفور له ثقة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين السابقي البنجابي في كتابه مرقد العقيلة زينب عليها السلام بتحقيق الحق والصواب، وكشف النقاب بما لو كشف الغطاء لما ازداد طالبه يقينا بصحة نسبه القبر الشريف في رواية الشام إلى السيدة زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فذكر في كتابه ص ٢٩، فقال:

ما زلنا نسمع عن جماعة من العلماء، ونقرأ في
ثلة من الكتب أن قبر العقيلة السيدة زينب الكبرى بنت

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القاهرة عاصمة جمهورية مصر، وحتى أن كثيراً من المؤلفين في عصرنا يتناقلون في بحثهم عن هذا الموضوع، وإلى هذا الرأي مال العلامة الشيخ جعفر النقدي النجفي رحمته الله وكنا قبل خوضنا في هذا البحث نذهب إلى هذا الرأي تعويلاً على الشيخ النقدي بيد أن تنقيبنا وبحثنا العميق زحزحنا عن هذا الرأي، لأن رحلة السيدة العقيلة عليها السلام إلى مصر وإقامتها هناك، وتلبيتها لداعي حمامها، وحديث مدفنها، بها قضية من أهم القضايا التي لا يفوت ذكرها كل مؤرخ يقظان محيط بالأخبار والآثار، ولا أقل من أن يذكره المؤرخون الذين نشؤوا في مصر خاصة، ولكنهم بأجمعهم لم يشيروا إليه أدنى إشارة...

ومن العلماء الأفاضل أيضاً نذكر العلامة والباحثة الكبير السيد عبد الرزاق الموسوي المكرم المتوفى سنة ١٣٩١هـ حيث كان يعتقد أن قبر العقيلة زينب عليها السلام هو في مصر وقد عول على هذا الرأي مدة طويلة، ولكن الفحص والتنقيب زحزحه عن هذا الرأي ورجع عنه وكتب رسالة في تصحيح قبر زينب عليها السلام بالشام.

لذا فإنه لا مانع أن كان السيد محسن الأمين كان يعتقد ابتداءً أن قبر العقيلة زينب ليس في دمشق ولكن وبعد التدقيق والتمحيص والأدلة الجديدة والقرائن الثابتة عدل عن رأيه مثله مثل الكثير من العلماء فأبرأ ذمته لاحقاً رحمته الله أمام الله تعالى والناس أجمعين وأهاب بالجميع أن هذا القبر الشريف الموجود في راوية الشام لا يخص سوى العقيلة

زينب عليها السلام وأصدر بذلك وثيقتين هامتين يبين فيهما ذلك (طالعهما بملحق كتابنا) علماً بأن الأسلوب الصحيح والدقيق الذي اتبعه السيد الأمين بشأن النهوض بمقام السيدة زينب عليها السلام كان له أكبر الأثر في إعلاء هذا الصرح العظيم وازدهاره وهو ما نشاهده اليوم بأم أعيننا، فكان ذلك متابعة ضرورية وهامة منه رحمته الله واعترافاً صريحاً منه بفضل السادة الواقفين والمساهمين والمتولين المتابعين.

وإن هذا ما كان ليتم لولا بصيرة هذا السيد الجليل النافذة والثاقبة والتي كانت عنوان أعماله جميعها وعلى كافة الأصعدة الدينية والمذهبية والاجتماعية والثقافية والخيرية وحتى السياسية منها.. الخ

والذي كان واحد منها هذا المرقد المهيب الذي حضن إبنة الكرام السيدة الفاضلة الجليلة العقيلة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب عليها السلام فتضافرت جهود السيد رحمته الله مع جهود السادة المتولين من ذرية الواقف والواهب لهذه الاملاك الغنية المعطاءة، لتكون مكاناً لائقاً بالمكين الذي حضنته هذه التربة المباركة، وملاذاً طاهراً وآمناً للقاصدين من أداني الأرض وأباعدها

فكانت يد الله تعالى فوق هذه الأيادي المباركة المعطاءة تشد عليها وتبارك لها سعيها وتؤازرها وترعاها وتنير دربها، في سبيل إعلاء هذا الصرح العظيم كما تشتهي الأرواح والأنفس.

ملاحظات هامة

توضح موقف السيد محسن الأمين قدس سره في قضية المكان الذي دفنت فيه العقيلة زينب عليها السلام.

١. إن مخطوطات أعيان الشيعة للعلامة السيد محسن الأمين قدس سره قد

- طبعت على شكلها الحالي (عشرة مجلدات + المستدرک) في عام ١٤٠٣هـ والسيد رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ وافته المنية في عام ١٣٧١هـ الموافق لعام ١٩٥٢م.
٢. الوثيقتان الهامتان المنوه عنهما في الفصل السابق كانا قد صدرتا عن السيد رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ في عام ١٩٥٢م والذي هو عام وفاته.
٣. وعليه فإن رأي السيد الذي ورد في أعيانه بأن القبر الموجود في دمشق هو للسيدة أم كلثوم زينب الصغرى رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا كان السيد قد تزحزح عنه عندما أصدر تلك الوثيقتان وكتب في إحداهما ويخط يده المباركة أن هذا القبر إنما يخص العقيلة زينب رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا الابنة الكبرى للإمام علي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ، بيد أنه لم يتمكن رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ من استدراك ذلك في أعيانه لدنو أجله حيث وافته المنية في نفس العام.
- وهو ما أكدته ثانية بصورة غير مباشرة عندما أوصى بأن يدفن بجوار قبر عمته العقيلة زينب رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهَا.
- وها هو قبره الشريف عند المدخل الرئيسي للمقام الشريف علماً صريحاً يتكلم عن نفسه

تاريخ قبر العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق

إن لهذا المشهد الكريم شهرة ضافية بين العلماء والمؤرخين منذ حوالي ألف سنة تقريباً ولم يزل يتقاطر عليه الزائرون ورواد البركات من أقاصي البلاد وأدانيها منذ قرون متتالية فزارته السيدة الجليلة السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين عليه السلام، زوجة إسحاق المؤمن بن الإمام الصادق عليه السلام سنة ١٩٣ هجرية عندما زارت مرقد إبراهيم النبي عليه السلام ثم زارت هذا المرقد الحالي المعروف بمقام السيدة زينب أم كلثوم بنت علي عليه السلام وزارت عمته فاطمة بنت الحسن بن علي عليه السلام وقبر فضة جارية فاطمة الزهراء عليها السلام

وقرب سنة ٥٠٠ للهجرة شيد رجل قرقوبي من أهل حلب بمشهدها جامعاً كبيراً من أشهر جوامع دمشق

وزاره الرحالة أبو بكر الهروي المتوفى سنة ٦١١ هجرية، وذكره في كتابه المعروف (الإشارات إلى معرفة الزيارات) وزاره ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤ هجرية، وذكر له أوقافاً ومساكن خارج المشهد في رحلته، كما نقل في كلامه وزاره ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٠ هجرية.

وفي سنة ٧٦٨ هجرية وقف عليه نقيب الأشراف السيد حسين الموسوي وهو من كبار أعلام دمشق في زمانه جميع ما كان يملكه من

البساتين والأراضي وكتب صكا طويلا عليه شهادات سبع من قضاة دمشق الكبار في زمانهم يأتيك لاحقاً ووقع فيه مكرراً بأن المدفونة في ذلك المشهد أم كلثوم الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ما يدل على أن المشهد المعروف باسم العقيلة عليها السلام منذ القدم ولم يشك فيه أحد من هؤلاء الاعلام الدمشقيين

ولم يزل هذا المشهد موضع تعديل واطمئنان عند فقهاءنا الكرام في النجف الأشرف كالشيخ محمد حسن الكاظمي والميرزا حسين الخليلي والميرزا حسين النوري والمجدد الشيرازي... وغيرهم.

ولم تزل سداة الحرم منوطة بالسادة العلويين الموسويين الذين ينتهي نسبهم الوضاح إلى السيد إبراهيم المجاب.

ولم يزل منهم أكابر الأعيان العلماء والفقهاء وأهل الفضل في دمشق يتوارثون الولاية كابرا عن كابر ومنهم السيد سليم مرتضى الذي كان أحد الأعيان ذوي القدر والشأن تحلى بأحسن الشيم وتوشح بجلباب السماحة الكرم، كريم الطبع، سليم الصدر ذا رفعة ومهابة، معظما ومحترما، وقد زار هذا السيد العتبات المقدسة بالعراق سنة ١٣٠٢ هجرية، وزار أعلامها وفقهاءها، ودخل النجف الأشرف وحضر في مجلس درس آية الله الشيخ محمد حسن الكاظمي، وسأله الشيخ عن قبر زينب بقرية راوية فقال السيد أمام الطلبة: أنا متولي قبرها والولاية لي ولآبائي وإن قبرها بالشام مشهور عندنا لم يختلف فيه اثنان ثم أنه في هذه السنة سقطت القبة على قبرها لقدم بنائها ولم يكن عندي ما أبني به قبرها.

فبلغ الوالي عبد العزيز خان العثماني فأخذ إعانة من التجار وأمر البنائين فكشفوا التراب عن قبرها وإذا بصخرة عظيمة من المرمر طولها قدر قامة وعليها كتابة فقلعوها بالجهد وأمر الوالي بقراءتها فعجز

المسلمون واليهود والنصارى عن قراءتها، ثم أخبروا الوالي عن رجل طاعن بالسن بنواحي الشام، وأنه عالم بالسير والتاريخ، فأحضره وعرضوا عليه الصخرة فما قدر أن يقرأ منها إلا:

«هذا قبر زينب بنت علي بن أبي طالب بنت
الزهراء عليها السلام توفيت في هذا المكان وأقبرت في
رجوعها الثاني»^(١).

على أن علماء دمشق عُرِفوا منذ القديم بشدة العقيدة فلا يرضون
بالقبور المزورة ومنهم القاضي علاء الدين بن عطار المتوفى ٧٢٤ هجرية
الذي أصدر فتوى بإزالة قبر نسب للسيدة ملكة من ذرية آل البيت.
وَأَلْف في رده الحافظ ناصر الدين محمد بن أبي بكر شمس
الدين محمد البطلاني المتوفى سنة ٨٦٣ هجرية بكتابه إنكار البدع
والحوادث

والحافظ ابن طولون المتوفى سنة ٩٩٣ هجرية له بحث في رده مع أنه
ألف بنفسه في ترجمة السيدة زينب كتابا بحث فيه عن مرقدتها وضممه
بأنها مدفونة هناك في الموقع المعروف.

واتفق الحنابلة والشوافع والأحناف على صحة المشهد كما تراه
واضحا (يأتيك لاحقاً) من شهادات قضاتهم على صك الوقف الآتي
ذكره.

(١) ذكره البراقبي في الثمر المجتنب.

شهرة المرقد الزينبي

بلغت شهرة مرقد العقيلة زينب الكبرى بضعة الإمام علي عليه السلام في القرن الثامن مبلغا خطيرا طار صيته في الآفاق وازدلفت اليه آلاف القصاد والوافدين من الأقطار الشاسعة

وذكرنا سابقا أنه في سنة ٧٦٨ هجرية قام أحد السادة الأشراف من اعلام دمشق الكبار ونقيب الأشراف السيد حسين بن موسى الموسوي كان قد أوقف جميع ما كان يملكه من الأراضي والبساتين المحيطة بالمشهد الشريف لئيفق نماؤه على مصالح التربة الزكية وخدمتها وتنوير المزار الأول سنة ٧٦٨ هجرية

وأشهد عليه كبار قضاة الشام من بعلبك ودمشق والمنصورة وهذا الصك صدقته المحكمة الشرعية وقضاتها بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٠١٠ هجرية ولا يزال مصوناً عند سدنة الروضة الشريفة بدمشق

وهو يكشف لنا عين الحقيقة بأن دفينه قرية راوية إنما هي أم كلثوم زينب الكبرى بنت الإمام علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام وأخت الحسين عليه السلام كما ذكر فيه مكررا فلا مجال فيه للتأويلات الأخرى.

الوقفية العظيمة

أصل هذه الوثيقة المصدقة بالمحكمة الشرعية الدمشقية بتاريخ ٩ ربيع الأول سنة ١٠١٠ هجرية وشهادات القضاة السبعة من أعيان الشام في سنة ٧٦٨ هجرية وهي محفوظة عند سدنة المقام الزينبي بالشام وقد وجدناها في كتاب مرقد العقيلة زينب عليها السلام للسابق ص ١٢١ نقلا عن العلامة المتتبع الكبير عبد الرزاق المقرم النجفي المتوفى ١٣٩١ هجرية وبخط يده نقلها عن أصل الوثيقة في كتابه المخطوط في ترجمة لعقيلة زينب عليها السلام نوردها اليكم كما جاءت حرفياً:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

كان المتقرب إلى الله المعروف الذي لا يضاهاه
العمل الذي أجوره ومشوياته لا تتناهى، مولانا
وسيدنا ورابط عقد السيادة السرمدية ذو الحسب
البادي والظاهر والنسب الزاهي والباهر شيخ العلماء
والأصوليين علم النحاة والمعربين شيخ الإسلام
علم الأئمة الأعلام صدر مكة والمدينة والشام مولانا
الشريف حسين بن المرحوم شيخ الإسلام....

سارع إلى إيقاف ماله وأشهد على نفسه وهو بحال الصحة لدى

العلامة قاضي القضاة مصطفى الموقع في صدر أعلى الكتاب أنه وقف وأبد ما هو جار في ملكه وذلك جميع البستان الكبير الكائن بقرية راوية المشتمل على قسمين شرقي وغربي تفصل بينها الساقية العرفية الآخذة إلى جهة القبلة المشتمل كل فيه على اشجار وفواكه مختلف الأنواع.

أ. يحدها من القبلة مزار حضرة السيدة الجليلة زينب الكبرى عليها السلام وتمامه الطريق السلطاني ومن الشمال نهر قناة القرية ومن الغرب الطريق إلى القرية والى المزار الشريف.

ب. وأوقف جميع البستان المعروف (بجنينة الورد) بالقرب من ذلك يحده من القبلة بستان الحاج تقي وأخوته ومن الشمال قناة مجرى الماء للقرية المزبورة (عين كيل) وشرقاً قناة الجدلية وأراضي قرية (عقربا) ومن الشمال أراضي قرية (راوية) المزبورة والمعروفة بشرقي وغربي قناة الجدلية

ج. وأوقف جميع الأرض شرقي قناة الجدلية، يحدهما قبله مجرى (عين كيل) وشرقاً قناة الجدلية وأراضي قرية (عقرب) ومن الشمال أراضي قرية (راوية) المزبورة المعروفة بشرقي وغربي قناة الجدلية.

د. وأوقف جميع الأرض الكائنة غربي القرية المزبورة يمدّها قبله مجمع الطريق وشرقاً الطريق أيضاً وشمالاً أرض بني حمود وغرباً الطريق.

هـ. وأوقف الأرض المعروفة (بحقل التوت) وتابع الأرض المذكورة يحدها قبله النهر الفاصل بينها وبين جنينة الورد وروضة سياق الماء للخضرة المنورة والمصنع ومسكرة التوتة.

و. وأوقف الأرض الواسعة المعروفة بشكارة يحدها قبله قناة توبل

وشرقاً الطريق وغرباً الطريق

ز. وأوقف الأرض الكائنة شمال القرية تعرف بالمثذنة ولها في مكانها تغني عن التحديد وشرب ذلك كله من ماء قرية المزبورة في كل اسبوع عدنان جميع ماء النهر قاده يوماً بنمامه وفي النوبة الثانية الليل بتمامه وذلك على أنواب أهله المتعارف بينهم بالطريق الشرعي وجميع ما اشتملت، عليه البساتين المذكورة والأراضي المذكورة والغراس والحدود لذلك كله وأحاطت به اقطاره.

ح. وقفاً صحيحاً شرعاً قاطعاً ماضياً مرضياً وحسباً دائماً سرمدياً ومعروفاً ومؤكداً وسبيلاً خالصاً لوجه الله تعالى، ولمستحقه على الدوام، مرصداً محرماً بحرمت الله العظيمة ابتغاء لوجهه الكريم، وطلباً لثوابه العميم يوم يجزي الله المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين، ولا يباع شيء منه ولا من حقوقه ومرافقه، ولا يرهن ولا يملك ولا يتعامل به، ولا بشيء منه ولا يحل من عقود ولا يرجع أمره لغير أهله، ولا يقايض به ولا يستبدل ولا يدخل ولا يتلف بوجه تلف ولا يبطله تقادم الدهر ولا يوهنه اختلاف عصر، أبد الأبدان ودهر الدهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

وجعل وقفه على الشروط الآتي ذكرها:

مصرف الواقف:

وجعل الواقف جميع غلال ذلك وأجوره وربحه ومنافعه يصرف على مصالح (التربة المنورة) التي فيها قبر السيدة الجليلة صاحبة الفضل والفضيلة الصديقة الطاهرة الزكية الفاخرة الزاهدة العابدة الراكعة الساجدة

التي شرفت بقبرها قرية (راوية) شقيقة السبطين وبضعة البضعة المحمدية والجوهرية الأحمدية الفاطمية العلوية ورابطة عقد التولية السرمدية التي خصها الله تعالى بالكرامة الأبدية السيدة الجليلة أم كلثوم زينب الكبرى بنت أسد الله الغالب الإمام الجليل أمير المؤمنين أبي الحسنين علي بن أبي طالب ويصرف على عمارة أماكنها وتنوير تربتها ثم على تنوير المسجد والمزار والمنارة المعمورين بذكر الله تعالى اللذين جددهما الواقف الموصى إليه ثم على خدام ذلك وأرباب شعائره ثم على المتولي والناظر الآتي ذكره أن يقبض ربع الوقف ويصرفه على عمارته وإصلاحه وما فيه سبب النماء والمزيد لأجوره وفي الجهات المعينة بحسب الحال على ما يرى الناظر في ذلك الوقف، ولا يدخل، عقد على عقد حتى ينقضي العقد الاول ولا يؤجر ذلك من مفلس ولا متشدد، وشرط الوقف ان له أن يغير ما شاء من الإدخال والإخراج والزيادة والنقصان والإعطاء والحرمان بما يراه، وأن يقرر فيه ما يشاء، ويخرج من يشاء، كل ذلك راجع إلى رأيه ولأولاده وذريته من بعده على الترتيب الآتي ذكره.

جعل النظر والتولية لنفسه مدة حياته ومن بعده لولده سليل السادة الأشراف السيد علي بن سيدنا الواقف ومن بعده لأولاده وأولاد أولاده وأعقابهم وأنسابهم ما داموا للأرشد فالأرشد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فإن تعذر مصرف ذلك فيما عين صرفه صرف على الفقراء والمساكين من السادة الأشراف الحسينية وإن أمكن العود وعاد ولا يزداد ولا يحدث على الوظائف المذكورة في الوقف وهي إمام ومؤذن وقيم وتربدار وجابي، والمتولي والناظر ينصب لذلك من يختاره ويرضاه ويصرف بحسب ما يراه ولا يزداد على هذه الوظائف وأن أفضل شيء من المصارف المذكورة فللمتولي والناظر من ذرية الواقف المذكور.

وإن خاس الوقف في سنة من السنين عن المعروفات المذكورة فليستدين المتولي المزبور على المستقبل وبصرف بحسب ما يراه، وهذا الوقف لا يداخله حاكم ولا محاسب في توجيهه وظيفته أو في محاسبة، بل المفوض هو الناظر والمتولي من ذرية الواقف، وسلم الواقف وقفه المشار إليه إلى ولده الشريف علي المزبور بعدما جعله شريكاً له في أمر التولية والنظر ليتم أمر التسجيل فتسلمه من والده التسليم الشرعي، وبعد أن تم هذا الوقف بشروطه لدى قاضي القضاة مصطفى أفندي بشهادة شهوده وصريح اعتراف الواقف ثبوتاً شرعياً....

كان ذلك في آخر ربيع الأول سنة ثمان وستين وسبعمئة هجرية وكتب بأعلى الكتاب شهادات القضاة والأعلام وإليك أسماؤهم:

- أ. تعلق به نظر الفقير إلى الله تعالى مصطفى القاضي بدمشق
- ب. تعلق به نظر الفقير إلى الله تعالى إبراهيم القاضي
- ج. تعلق به نظر الفقير إلى الله تعالى محمد عجلان الحسيني المولى بدمشق الشام
- د. تعلق به نظر الفقير إلى الله تعالى علي بن ناجي المولى بالنظر في هذه القضية بالعسكر المنصورة من قبل من له الأمر وقال هذه الأبيات:

كتاب جرى وقفا صحيحا

ياحكام أحكام الكرام مكمل

حكمت به حكما متينا أساسه

وعلمي محيط بالكتاب مفصلا

وأصبح وقفا ليس يمكن نقضه

وما دامت الأيام لن تبدلا

هـ. تعلق به نظر الفقير إلى الله خليل بن إبراهيم القاضي في بعلبك وشهد السيد يونس بن نور الدين الحسيني والشيخ محمد بن شيخ الإسلام عز الدين الحنبلي بأنه ثبت لديهما ما ثبت عند قاضي القضاة بدمشق مصطفى أفندي بن المرحوم مصطفى أفندي على الوجه المشروح فيه ثبوته شرعياً (انتهى)

تلك كانت نسخة للوقفية الخالدة مع شهادات القضاة والشهود والأعلام تحمل في طياتها تصريح صريح بأن المدفونة بقرية راوية الشام إنما هي:

السيدة زينب الكبرى المكناة بأم كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بضعة الزهراء وشقيقة الحسينين (عليهما السلام اجمعين) وأن العقيلة زينب عليها السلام هي المكناة بهذه الكنية واشتهرت به قديماً كما عرفت مفصلاً

وهي ليست أم كلثوم تلك التي تزوجها عمر وأولدت له زيد بن عمر والتي توفيت عام ٥٤ هجرية

هي ليست أم كلثوم الصغرى التي توفيت بعيد الرجوع من كربلاء وليست تلك المدفونة في مصر القاهرة بعدما ثبت أن المدفونة عندهم هي:

زينب بنت يحيى المتوج المتوفاة سنة ٣٤٠ هجرية كما ثبت بالدليل القاطع وبشهادات جميع الرواة المصريين خاصة، لأنهم المهتمون أكثر من غيرهم من جميع الرواة في العالم الإسلامي مما

كان الأمر بالنسبة يمثل إليهم مكانة خاصة وعظيمة، فحسموا أمرهم بأنه لم يدخل أحد من صلب الإمام علي عليه السلام -المباشر - إلى مصر ولم يدفن فيها أبداً وكذلك وافق رأيهم نخبة من العلماء الأفاضل.

آل مرتضى والنسب الزاهي

إن الله سبحانه وتعالى وبحكمته البالغة أفاض على فئة من خلقه فأناط بهم مهمات عظيمة وجليلة وألقى على كواهلهم مسؤوليات يعجز عن القيام بها وتحمل مشاقها السواد الأعظم من خلقه.

وأسبغ سبحانه وتعالى عليهم من نعمه الظاهرة والباطنة ما من شأنه أن ينهض بهم ويساعدهم على القيام - بأكمل وجه - للمهمات التي ستوكل إليهم لاحقاً فكان من أوائل تلك النعم والمنح الربانية التي أنعم بها تعالى على تلك الفئة المختارة أن طيب فيهم المغرس والمنبت، وأي مغرس ومنبت أعظم وأعلى شأناً من ذلك الفرع الطاهر الذي أنبته تعالى لكي يعانق السماء فرع سيدنا محمد ﷺ من تلك الشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت والثمر الطاهر والطيب الدائم الخير والعطاء

فكان من هؤلاء المكللون بالنصر والمخصوصون بالعناية الإلهية السادة الأشراف من (آل مرتضى) أصحاب النفوس المتطلعة إلى المعالي، والدارجة على فعل الخير والخدمات الخالدة، أصحاب الصيت الذائع في الأمصار والبلاد، فكنت تستجلي أخبارهم من تلك الآثار العظيمة التي خلفوها وراءهم، وتستلهم مكارمهم من سير حياتهم التي كان يتناقل أخبارها الناس، لما كان لهم من عظيم الفضل والسبق في فعل الخيرات والغيرة والحمية على دين الله والإنتصار لسيدنا محمد ﷺ وآل بيته

الكرام عليهم السلام.

وآل مرتضى الكرام يتمتعون بأشرف نسب وأسمى حسب وقد سطر أسلافهم صفحات من التاريخ بأحرف من نور من خلال رجال عظام كان لهم فضل السبق في مجالات عديدة - منذ القدم - إلى أن وصلت إلى هذا الزمن الحاضر، تلك النفحات المعطاءة والتي تنم عن عقل راجح وبصيرة حية، حيث لولا فطنتهم وحسن تدبيرهم وبذلهم وعطاءهم لما وصل إلينا هذا الصرح العظيم - درة مقامات بلاد الشام - مقام العقيلة زينب عليها السلام على هذا الشكل من العظمة والوقار والجمال والإتساع

حيث أنك ترى اليوم - بأم عينيك - ذلك المشهد القدسي في أبهج المناظر والصور فقبته ومثذنتاه تناطح الجوزاء وتناجي الغيوم والسماء، وذلك الحرم المنيع الذي يضاهي عروش الملوك العظام، وجلال الضريح المقدس الذي تحفه الملائكة والأرواح السامية من كل مكان، والأروقة المغشاة بالقوارير اللامعة والتي تحاكي صروح الفردوس، وتلك الحشود المتزاحمة والمتقاطرة إلى هذا الحرم المقدس من أباعد الأقطار وأدائها.

حيث أن هذا الفضل والمنة من الله تعالى ما كان ليتم لولا رجاحة وفطنة هاتيك الرجال العظام من آل بيت (المرتضى) فأنتبهوا قبل وقت مديد لقبور آل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله في بلاد الشام وخاصة ذلك الرسم الطاهر الذي ضم ابنة خير خلق الله وأفضل بني البشر والتي جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأبواها الإمام علي عليه السلام والطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، فكان من أوائل تلك الأيادي الزكية والشريفة التي قيد الله تعالى كي تمتد إلى هذا المكان الطاهر هي يدي جد المتولين الأبرار، والمتقرب إلى الله تعالى بهذا المعروف الذي لا يضاها والعمل الخالص لله الذي لا يجارى ومثوباته التي لا تتناها، سليل الأحساب البهية والأنساب الزهية ورباط

عقد السيادة السرمدية، علم الأعلام شريف الأشراف السيد حسين بن موسى شيخ الاسلام.

الذي سارع فوهب ماله وحلاله وجميع ما كان يملك (الملك لله) من أراض وبيساتين في قرية (راوية) تمهيدا وإيدانا لشموخ الصرح العظيم فوق هذه التربة التي حضنت إحدى أطهر الكائنات وأشرف المخلوقات السيدة الفاضلة عقيلة بني هاشم أم المصائب زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والتي قيد الله تعالى أن تباعد عن مدينة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله لتحط رحالها في هذه البلدة، لتتبارك بها وهي على قيد الحياة ولتتشرف بها بعد الوفاة.

فما كان من هذا السلف الطاهر سليل هذا الحسب والنسب الباهر الشريف السيد حسين بن شيخ الاسلام ذو البصيرة النافذة والعقل المستنير إلا أن خرج من ماله وخلع نفسه من جميع ما وهبه الله تعالى من رزق وكسب حلال وأموال وأراض تنعم بالخيرات خالصاً لوجه الله تعالى لتشييد وإعمار مقام شامخ لعمة العقيلة زينب عليها السلام كي يكون لائقاً بمقامها ومستوعباً وجاهزاً لاستقبال الألوف المؤلفة من محبي آل البيت عليهم السلام على مدار السنين والأيام إلى أن يأذن الله تعالى ويرد الملك كله لله.

فكانت منه رحمة الله وأثابه أعظم الثواب تلك المبادرة النادرة والغافلة عن عقول السواد الأعظم من الناس، الحاضرة أبداً بذهن هذا الإنسان الفذ، من خلال وقفية محكمة ثابتة شملت أراض وبيساتين رحبت واتسعت لتشمل بلدة كاملة بجميع ما أفاء الله عليه وعليها من خير وافر ورزق حلال طاهر حيث جاء في هذه الوقفية المباركة ما يلي:

... وجعله (أي الواقف) وقفاً صحيحاً شرعياً خالصاً لوجه الله تعالى، ماضياً مرضياً وحبساً دائماً سرمداً، ومعروفاً مؤكداً وسبيلاً خالصاً لوجه الله تعالى مؤبداً، ولمستحققيه على الدوام مرصداً محرماً بحرمت الله العظمى ابتغاء وجه الكريم وطلباً لثوابه العميم ولا يباع ذلك ولا شيء منه ولا من حقوقه ومرافقه، ولا يرهن ولا يملك ولا يناقل به ولا بشيء منه، ولا يحل عقد من عقود، ولا يرجع أمره لغير أهله، ولا يقاص ولا يستبدل، ولا يدخل ولا يتلف بوجه تلف، ولا يبطله تقادم دهر، ولا يوهنه اختلاف عصر أبد الأبدين ودهر الدهارين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين...

وأشهد بِحَدِيثِهِ على وقفيته بعد الله بِحَدِيثِهِ سبعة من أشهر قضاة الأمصار وكبار أعلامهم في زمانهم وأمهرها جميعاً بأختامهم وشهاداتهم، وأثبتوها ثبوتاً شرعياً معتبراً محرراً مرعياً بكافة الطرق الشرعية المحكمة، ورحم الله الشاعر عبد الغني النابلسي الذي وصف هذه الوقفية وقال:

وقف صحيح ثابت الأحكام
قد خص بالإتقان والأحكام
وشروطه محفوظة مقبولة
في لطف ترتيب وحسن نظام
وقف الشريف ابن الشريف المرتضى
من آل بيت قدره متسامي

قصداً لفعل الخيرات في أولاده

تبعاً لأجدادٍ لديه كرام

تم العمل في هذه الوقفية المباركة في عام ٧٦٨ هجري وهي على هذا الشكل من الكمال والدقة، والبذل والعطاء، والصدق والإيمان وهذه الشمولية والاستمرار إلى أن يرث الله أرضه ومن عليها إنما يدل على أن صاحب هذه الوقفية المباركة هو من خيرة القوم وأبيضهم كفاً وأجلهم قدراً وأكثرهم إيماناً وأنداهم يداً (جوداً وكرماً) وأعظمهم رفعةً وسمواً، وهو أمر غير مستغرب على إنسان فاضل مثل الشريف السيد حسين بن موسى شيخ الاسلام سليل ذلك البيت المعظم وحسيب ذلك النسب الطاهر حيث أنه بهذا العمل الجليل الأجل، والمؤيد والمسدد من قبل الله تعالى إنما يتبع إلى تلك المسيرة الظاهرة والنهج القويم الذي مضى عليه أسلافه وهو بهذا العمل أيضاً قد أعاد للأذهان يوم قدمت العقيلة زينب عليها السلام إلى هذا المكان الشريف والمعظم بوجودها فيه وكان بصحبتها زوجها وابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام ووهب إليها تلك الأراضي والبساتين في قرية راوية ليأتي اليوم هذا الإنسان المعطاء ويعيد الأمور إلى نصابها، فبذل جميع ما يملك لأجل هذا العمل ذي العطاء الدائم والنعمة السابغة والأجر والثواب المستمر لتكون ذخراً له ولجميع المساهمين فيما بعده ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾
إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾.

والشاهد الحي تجده ماثلاً أمامك اليوم بكل وضوح من خلال هذا المشهد القدسي الرائع وهو في أبهج المناظر وأجمل الصور ليكون درة مقامات بلاد الشام وأسمائها وأقدسها، والذي ما كان ليتم على هذه

الهيئة من العظمة والرحابة والاتساع لولا تلك القامات الشامخة التي هيأت ومهدت وكدت، وتلك التي تابعت فتسلمت وأضافت وجددت وبذلت من أجل هذه الغاية النبيلة أغلى ما تملك من حطام هذه الدنيا الفانية ليكون ذخراً لها في ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١﴾ حتى إذا ما توضحت معالم هذا الصرح العظيم وسطعت أنواره وأصبح جاهزاً لتلقي جميع أنواع العمارة علواً واتساعاً وفنوناً وزخرفةً، قيد الله تعالى أن يستلم هذه المهمة، الخيرة من خلقه من السادة الأشراف من آل المرتضى تساعدهم -بالإضافة إلى همتهم التي لا تفتقر - تلك العقول النيرة أصحاب البصيرة النافذة المستبصرة أمثال العلامة السيد محسن الأمين قده وكذلك عليه القوم أصحاب الأيادي البيضاء والفضل والسبق في أعمال الخير، والغيرة والحمية على دين الله تعالى والنصرة لمحمد ص وآله الكرام عليهم السلام.

وكم هو عظيم ومفرح للقلب ونحن نشاهد اليوم بأمر أعيننا هذه الحركة الدؤوب التي لا تهدأ تحت إشراف السادة المتولين على سدانة هذا المقام الطاهر الشريف، فكان همهم الوحيد هو رفق هذا المقام بجميع عناصر النهوض والنجاح، وتهيئة الظروف المثالية لإقامة الزوار المتقاطبين على هذا المقام من كل حدب وصوب على اختلاف أجناسهم وأعراقهم لتكون هذه الأعمال العظيمة والجليلة دليلاً حسيماً وعملياً على سعة أفق هؤلاء السادة الأشراف وتعبيراً صادقاً عن الذي يكونونه في صدورهم من حب الله ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُرْفَعُوا فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٢) فجزاهم الله خير جزاء، - هم وأسلافهم الذين كان لهم فضل السابق - فاستلموا الأمانة وتابعوا المسيرة بكل عزيمة

(١) سورة الشعراء: الآيتان ٨٨-٨٩.

(٢) سورة النور: الآية ٣٦.

وتصميم غير عائبين بمقدار هذا الحمل الثقيل الذي ينوء عن حمله أولوا العزم والقوة فكان ذلك منهم وفاءً نادراً لأولئك الذين زرعوا تلك البذار الخيرة فنبتت وبسقت لتؤتي أكلها في كل حين بإذن الله تعالى ليصدقوا الله ما عاهدوا الله عليه وليصدق فيهم قوله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١)
وأخيراً...

لا بد لنا من إلقاء بعض الضوء على آل مرتضى والذي يعود نسبهم إلى السيد إبراهيم المجاب عليه السلام الإبن الأصغر للإمام موسى الكاظم عليه السلام ولقد جاء في الأخبار المعتمدة أن الإمام الكاظم عليه السلام كان قد أخبر بإبراهيم قبل ولادته حيث جاء في أعيان السيد الأمين ج ٥ ص ٤٦٣ أنه كلمة (المجاب) قد لحقت بالسيد إبراهيم بن موسى عليه السلام عندما أتى يوماً لزيارة جده الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ولما ابتدأ الزيارة بالسلام على الحسين عليه السلام سمع رداً - لا يعلم من أين أتاه - وهو: عليكم السلام (رواية).

وآل إبراهيم المجاب الأكارم هم من سلالة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مكنهم الله تعالى لسدانة مرقد إمام الأئمة بطل الاسلام والمسلمين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف ومشهد سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كربلاء.

ليأتي اليوم سليل ذلك الفرع الطاهر السيد حسين بن موسى شريف الأشراف بزمانه ليواصل هذه المسيرة الغراء الظافرة، فيدلل الصعاب ويتفوق على المحال ويضع تلك الأسس الثابتة والمحكمة ويمهد

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦١

الطريق القويم والأمثل لمتولّي المقام فيما بعد كي يعلو مقام السيدة زينب عليها السلام ويزدهر بشكل دائم ومستمر فتتلقفه الأيادي الفاضلة - من آل مرتضى - يد بيد إلى أن يرث الله أرضه ومن عليها.

وآل مرتضى كما ذكرهم السيد الأمين في أعيانه ج ٧ ص ١٠ ينسبون إلى أحد أجدادهم الأجلاء (السيد مرتضى) المدفون بالمشهد المنسوب إلى سيدنا نوح عليه السلام في قرية (الكرك) من عمل البقاع في لبنان. وهم معروفون بصحة النسب وشرف الحسب وسكن معظمهم في مدينة بعلبك ومدينة دمشق، وهم محترمون غاية الاحترام ومعظمون عند الخاص والعام.

وفي مدينة بعلبك عندهم مكتبة تحتوي - بالإضافة إلى الكتب العامة - كتب بخط اليد، نادرة الوجود في جميع أنحاء العالم.

وهم - آل مرتضى - أهل علم وفضل منذ القدم، والتولية على مقام السيدة زينب ابنة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام بيدهم توارثوه عن آبائهم وأجدادهم كآبوا عن كآبوا.

وكانت بأيديهم أيضا سدانة المشهد المنسوب إلى السيدة رقية عليها السلام ابنة الامام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام.

وكذلك قبور آل البيت عليهم السلام في جبانة الشام بالباب الصغير إلى جانب رؤوس الشهداء عليهم السلام الذين استشهدوا مع الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف، الذين جلبهم إلى الشام جند يزيد ودفنهم يزيد فيها.

وقفه هامة

لقد تعددت الآراء حول مكان مرقد العقيلة زينب عليها السلام ابنة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والصديقة البتول الزهراء عليها السلام أخت الحسين عليه السلام سيدي شباب اهل الجنة

وكذلك الأخبار التي كانت تأتي على ذكر سيرتها وحياتها ووفاتها ومكان قبرها فكان اسمها يتردد أحياناً على أنه زينب وأحياناً أخرى أم كلثوم مما أدى فيما بعد للتداخل بينها وبين أختها ام كلثوم صغرى بنات سيدنا علي وفاطمة عليهما السلام.

تلك كانت نقطتان هامتان كثر ذكرهما على صفحات التاريخ وكانت من أهم الأسباب التي أدت فيما بعد لاختلاف العلماء فيما بينهم حول إثبات مكان مرقد العقيلة زينب عليها السلام.

وبما أن التاريخ يكتبه المنتصرون

وبما أن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد غصب حقهم

وبما ان الذين غصبوا حقهم الشرعي قد تبوّؤوا مراكز الصدارة في

البلاد

وبما أن الملك عقيم -لدى الغاصبين-.

لذا كان لابد من هذه الفئة الحاكمة أن تسوغ لنفسها استعمال

جميع الوسائل للحفاظ على هذا الملك وإبعاد اذهان الناس عن أصحابه الحقيقيين.

فكان تشويه التاريخ إحدى أهم الوسائل التي كانت ماضية في أيديهم، وساعدهم على ذلك تلك الضمائر الميتة والنفوس المريضة، أصحاب المصالح الانتهازية الذين تبوؤوا المراكز الحساسة في البلاد فانتشرت بين الناس تلك الأضاليل الخداعة، وأصبحت تلك الأخبار والنصوص والتي فصلت على مقاس الحاكم هي الصحيحة دون غيرها وأما النصوص الثابتة والمحكمة فهي الخطأ بعينه حتى ولو كان فيها أم الحقيقة

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر مسبة وشتم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والتي أصبحت سنة أموية ثابتة استمرت إلى عهد عمر بن عبد العزيز فكانت لا تقام مجالسهم إلا بمسبة الإمام ولا تختتم إلا بمسبته عليه السلام حتى أنهم أدخلوها في الصلاة الجامعة والتي أباى الله تعالى أن يتقبلها منهم إلا بالصلاة على محمد وآله الكرام عليهم السلام والذي يعد الإمام علي عليه السلام أحد أقطابهم الهامين.

فهل هناك تشويه أكثر من هذا التشويه؟

وقس على ذلك ولا حرج

ومما زاد من فداحة الخطب عدم تدوين السنن والأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله والتي أهملت وحُرِّقت ونبذت طوال مائة عام تقريبا فلم يعد يكثرث بها^(١) وعوض عنها بتلك التي وافقت رأي الحاكم الغاصب حتى أن معاوية في عهده أصدر تعميما على جميع البلاد الإسلامية أن برأت الذمة ممن يذكر مكرمة صغيرة للإمام علي عليه السلام

(١) راجع كتابنا الإمامة في عهد الخلافة ففيه الخبر اليقين.

وأصبح من المَحْظَر والممنوع ذكر الإمام علي عليه السلام بخير هو وجميع أهل بيته الكرام وإبدال ذلك بالترحم على عثمان وشم الإمام عليه السلام والنيل من مكانته وكرامته، ومن خلال هذه الشواهد الحية والتي كانت تحظى بجل اهتمام السلطة، وعلى أثر ذلك اشتهرت تلك الأمور التي تؤيد للحكام تصرفاتهم العوجاء والبعيدة عن النهج القويم الذي أتى به رسول الرحمة ﷺ عن الله ﻋَزَّ وَجَلَّ فتعطلت حدود الله ووضع بدلا منها حدود جديدة أرجعت الناس إلى حكم الجاهلية الأولى فكان من الهين عليهم قتل الإمام الحسين عليه السلام هو واهله وأصحابه في كربلاء.

وكذلك وقعة الحرة التي استبيحت فيها مدينة الوحي والتنزيل ثلاثة أيام بلياليها من قتل وسلب وهتك للمحرمات واستباحة لأعراض النساء من المهاجرين والانصار، وكذلك رجم الكعبة المشرفة بالحجارة ومشاق الكتان الملتهب فتهدمت وأحرق جميع ما في داخلها من نفائس ومقدسات.

ثم ليأتي حاكم فيما بعد ويرمي المصحف الشريف بالسهام ويمزقه وهو يرتجز ويقول:

إذا جئت يوم الحشر

فقل يا رب مزقني الوليد

وذكر جميع الحوادث - المندية للجبين التي مارستها السلطة المتسلطة - يطول ذكره في هذا المقام والذي يبين البون الشاسع ما بين ممارسات السلطة وتلك الأمانة التي طوقت أعناق حكامها كي يمضوا بدين الله كما يرضى الله ورسوله، إلا أنهم أبوا إلا أن يحشروا أنوفهم في أمور كان تعالى قد قال كلمته الفصل فيها فرموا جميع ذلك خلف

ظهورهم وفعلوا الأفاعيل وضللوا الناس حسب أهوائهم وما تهوى نفوسهم - الأثمارة بالسوء-.

عودُ علي بدء

فإذا ما أسقطنا هذا الواقع المؤلم على ما جرى على آل بيت محمد ﷺ لوجدنا أن الحيف والظلم الذي وقع عليهم كان قد ساهم فيه جميع الحكام المتسلطين وعلى مدى مساحة كبيرة من الزمن بل وإن معظم هذا التشويه الذي ألم بالتاريخ الاسلامي كان من أجل إعلاء كلمة الباطل وإسقاط الحق والذي كان يمثله آل بيت رسول الله ﷺ أصحاب هذا الامر من الله ورسوله دون غيرهم

لذا فلا غرو أن تصلنا الأخبار عن آل بيت رسول الله ﷺ متداخلة بعضها ببعض، والتي ساهمت بشكل فعال في حيرة العلماء عند تحديد مكان قبر العقيلة زينب عليها السلام، الوصول إلى الحقيقة المطلقة وقراءة التاريخ بتمعن وتبصر والبحث المضني وهو من الصعوبة بمكان أن يتم لولا وجود الوسائل المساعدة الحديثة وبالأخص جهاز الكمبيوتر فمن مراجعتنا لأكثر من خمسة آلاف مجلد على جهاز الكمبيوتر وصلنا في بحثنا إلى النتائج التالية:

- زينب عليها السلام هو اسم جاء من عند الله ولقبها رسول الله بأم كلثوم.
- أم كلثوم هو اسم الابنة الصغرى للإمام علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام.

- وفاة أم كلثوم الابنة الصغرى للإمام علي عليه السلام هناك روايتان.

١. انها توفيت في عام ٥٤ هجرية بعهد معاوية

٢. أنها توفيت بعد عودتها من واقعة الطف بأربعة أشهر وعشرة أيام.

وهذا يعني أنه عند خروج مولاتنا زينب عليها السلام من المدينة للمرة الثانية كانت هي الوحيدة الباقية على قيد الحياة من أبناء سيدنا علي والزهراء عليها السلام

• شهادة جميع العلماء والرواة وأصحاب السير والخبر بلا استثناء بأن المدفونة في قرية راوية الشام هي حتماً ابنة سيدنا علي ومولاتنا فاطمة عليها السلام (مع غض النظر عن الاسم أو الكنية أو الصفة)

• وحسب المصادر الموثقة (ارجع إليها في كتابنا)

لم يدخل أحد من صلب الإمام علي عليه السلام -المباشر- إلى مصر نهائياً حياً كان أو ميتاً.

نكون بذلك قد وصلنا للنتيجة الحتمية التالية:

١. ثبوت وجود قبر لإحدى إبنتي الإمام علي عليه السلام والصديقة الزهراء عليها السلام بدمشق.

٢. ثبوت وفاة الابنة الصغرى السيدة الجليلة (أم كلثوم عليها السلام) بعيد الرجوع من كربلاء ودفنها بالمدينة المنورة.

٣. ثبوت بقاء العقيلة زينب عليها السلام على قيد الحياة إلى حين نزوحها عن مدينة جدها رسول الله ﷺ.

فإذا ما عطفنا تلك الثوابت على بعضها البعض لجاءت النتيجة على النحو التالي:

إن الذي بقي على قيد الحياة حتى عام ٦٥هـ هو العقيلة زينب عليها السلام فقط

إن الذي خرج من مدينة رسول الله ﷺ: للمرة الثانية هو العقيلة

زينب عليها السلام.

إن القبر الموجود في دمشق هو حتماً لإحدى بنات علي وفاطمة عليهما السلام وهو الثابت والمؤكد عند كافة أصحاب الأعلام الخيرة والأخبار النيرة - بلا استثناء -، وبما أن العقيلة زينب عليها السلام هي الإنسانية الوحيدة الباقية على قيد الحياة - من ذرية الزهراء عليها السلام - يوم نزحت عن مدينة جدها الشريف للمرة الأخيرة.

ولما كان الاختلاف الأهم - ما بين العلماء - لم يكن يحصل حول إثبات هوية هذه الإنسانية الفاضلة المغيبة في تربة الشّام، بل لمعرفة هل هي (زينب الصغرى أم الكبرى)؟
عليه إذًا:

وعطفاً على ما سبق من ثوابت اوشواهد جلية وناطقة وبإحقاق الحق ودحض الباطل وقطع الشك باليقين بما لو كشف الغطاء لما أزداد طالبه يقينا بصحة نسبة القبر الشريف في قرية راوية الشّام هو:

للسيدة الجليلة صاحبة الفضل والفضيلة، الصديقة الطاهرة الزكية الزاهدة العابدة الراكعة الساجدة، شقيقة السبطين، وبضعة البضعة المحمدية والجوهرة الأحمدية الفاطمية العلوية، ورابطة عقد التولية السرمدية، التي خصها الله تعالى بالكرامة الأبدية السيدة زينب أم كلثوم (الكبرى) بنت أسد الله الغالب الإمام الجليل أمير المؤمنين أبو الحسنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

من كرامات السيدة زينب (عليها السلام)

لقد كان لآل البيت عليهم السلام من العظمة والطهارة مقام روعي شامخ عند الله تعالى وهو أمرٌ يفوق قدرة استيعاب الإنسان العادي أو المتعلم على حدٍ سواء، وهذه المكانة السامية التي تفرّد بها آل البيت عليهم السلام عن غيرهم من سائر البشر كانوا قد شاركوا فيها سيد الأكوان حبيب إله العالمين سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله.

فمن الأخبار المتواترة عنهم عليهم السلام أنّ أنوارهم المطهرة كانت تسبح للذات المتعالية العلية قبل خلق العالم.

ففي الكافي بإسناده عن محمد بن سنان قال:

كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت اختلاف الشيعة فقال: «يا محمد، إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحْدانيته، ثمّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوّض أمورها إليهم، فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلاّ أن يشاء الله تعالى».

ثمّ قال: «يا محمد، هذه الديانة التي من تقدّمها مرق، ومن تخلف عنها مُحق ومن لزمها لحق، خذها إليك يا محمد».

وبإسناده عن المفضل قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف كنتم حيث كنتم في الأظلة؟

فقال عليه السلام: «يا مفضل، كنا عند ربنا، ليس عنده أحدٌ غيرنا في ظلة خضراء، نسبحه ونقدسسه ونهلهه ونمجده، وما من ملكٍ مقربٍ ولا ذي روحٍ غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم، ثم أنهى علم ذلك إلينا»^(١).

مما سبق وكذلك من الأخبار المتواترة عنهم عليهم السلام والتي إذا ما عرضناها على قرآن الله تعالى لوجدنا فيها خير شاهدٍ وأبلغ دليلٍ على أنهم عليهم السلام أجمعين كانوا قد خلقوا من طينة طاهرة وطيبة فسمت أرواحهم وعلت نفوسهم وأصبحوا أهلاً ليلقهم الله تعالى أسرار الكون بما يحير العقول ويذهل الأبواب ولا يستطيع أحد أن يتوصل إلى حقائق أسرارهم إلا أنفسهم.

وبالتالي تدرك أنهم عليهم السلام بهذه الطينة التي جُبلت بإرادة الله ذي القدرة والجمال والجلال قد مكنتهم من حقائق الأسماء والصفات وجميع الأشياء التي شاءها الله.

وأن هذه المنح الإلهية من ذاته العلية لهذه الفئة الطاهرة المطهرة، قد خصها تعالى بهم دون غيرهم وجبل بها أجسامهم وأرواحهم وعقولهم فأصبحوا في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ تفتقر الناس جميعاً إليهم ولا يفتقرون إلى أحدٍ من عباده، ولديهم من الأسرار والعلم والحلم ما يفوق العقول وتدركه الأبصار.

وبناءً على ما سبق نستطيع الجزم أن ما وهبه سبحانه وتعالى لهذه الفئة الطاهرة من ذاته العلية أهلتهم ليكونوا خلفاء الله في الأرض وخير واسطةٍ ما بين الله وعباده أجمعين ولهم من الكرامات والمكانة عند الله

(١) أصول الكافي، المجلد الأول، كتاب المحجة ص ٥ و ٧.

تعالى ما يجعله **رَوَّعَكَ** أن يستجيب لدعاء أصحاب الحاجات ممّا يفوق التصوّر وأحياناً بما فيه خرقٌ للعادات أو المتعارف بين الناس وذلك عند التوسّل بهم ورفع الحاجات إليه بواسطة بعضهم وإليك بعض الشواهد.

قصة القفص الفضي

كنت يوماً في المكتب عند متولي مقام السيدة زينب **عليها السلام** السيد المهندس رضا مرتضى أمدّ الله في عمره وكان يحدثني عن القفص الفضي الموجود حول ضريح السيدة زينب **عليها السلام** وقد ظهرت فيه بعض العيوب لقدمه وجراء كثرة اللمس والتبرّك من الزوّار الكرام وأنه بحاجة إلى صيانة، ومن ثمّ حدثني بقصة المتبرّع الذي أهدى هذا القفص وجاء به من باكستان لوضعه فوق قبر السيدة زينب **عليها السلام**.

فمّمّا قاله السيد رضا مرتضى:

لقد أهدى التاجر الكبير محمد علي حبيب وهو أحد وجهاء كراتشي هذا القفص للسيدة زينب **عليها السلام** وقد سبقت الهدية قصةً عجيبةً. وهي أنّ للسيد محمد علي حبيب ولداً واحداً وقد أصيب بالشلل، وعالجه أبوه في أعظم مستشفيات أوروبا ولدى أمهر أطبائها ومن دون فائدة.

وفي إحدى المرّات وفي طريق عودة الوالد من إحدى جولاته الأوروبية مرّ بدمشق وزار قبر السيدة زينب **عليها السلام** وقضى طيلة ليلته في باحة الضريح وهو يبتهل إلى الله كي يشفي ابنه الوحيد ويتضرّع بالسيدة زينب **عليها السلام**.

وغادر المقام صباحاً وقد علق بذهنه تاريخ هذه الليلة التي قضاها

إلى جانب حفيدة الرسول الكريمة عليها السلام وعندما وصل إلى كراتشي كان أهله في استقباله، فكان أول سؤاله عن ولده المشلول المقعد، وعرضت له دهشة عظيمة عندما قالوا له إنه قد شفي وهو يقضي دور النقاهة في إحدى ضواحي العاصمة فطلب أن يرووا له ما حدث فقالوا له:

ذات ليلة (وهي نفس الليلة التي قضاهما عند ضريح السيدة زينب عليها السلام) شعر بقوة في قدميه، فنادى أمه والخدام فهرعوا إليه وسار بمعاونتهم، وكان فرح الأم لا يوصف لأن ولدها أخذ يمشي على قدميه طوال النهار فلما التقى الوالد بولده ورآه سليماً يمشي على قدميه كما يمشي الإنسان الصحيح وبعدهما عجز الأطباء عن معالجه وأيقن أن الشفاء نزل في نفس الليلة التي كان يتوسل فيها إلى الله بواسطة هذه الإنسانية الفاضلة والجليلة وعرف مكانة هذه الإنسانية الطاهرة عند الله تعالى، على إثر ذلك عزم أن يقدم هدية ثمينة تليق بصاحبة المرقد الشريف فكان هذا القفص الفضي الثمين الذي صنع بأيدي أمهر الصّناع في باكستان.

علماً بأن الخبر قد نشرته مجلة الغري النجفية في عددها الثالث من سنتها الخامسة عشرة.

فضائل السيدة زينب عليها السلام على العبد الفقير كاتب هذه الأسطر

أصيبت إحدى الأصول من عائلتي بالمرض الخبيث وتمّ استئصال الكتلة الخبيثة من جسمها، إلا أن الأطباء حذرونا أنه في حال انتقل هذا المرض عن طريق الدم إلى أي مكان آخر، فمن النادر شفاؤه وهو ما حدث معنا! حيث وبعد حوالي سنة ظهر انتقال في الكبد، ولم تنجح معه جميع العلاجات المعقدة والأدوية المعروفة، فقرّر الأطباء إجراء

استئصال آخر، إلا أنّ نسبة النجاح ضئيلة جداً واحتمال أن تكون معدومة.

والذي حدث:

أنني كنت قد بدأت العمل في كتابي هذا الذي بين أيديكم وكانت تراودني أحياناً أحزانٌ كبيرةٌ جرّاء ما تعرّض له - من قهر وعذابٍ وهوان - أهل بيت رسول الله ﷺ فتخنقني العبرة إلى أن تفيض دموعي وعلى صفحات هذا الكتاب وتكرّر هذا الموقف معي مرّاتٍ عدّة، وكنت في كلّ مرّة أبتهل إلى الله تعالى بهذه الدموع (إن كان فيها شيءٌ لله وهي عنده مقبولة) أن يعافي لي هذه المرأة المؤمنة وكنت أجعل واسطة دعائي إلى الله تعالى العقيلة زينب عليها السلام وألح على الله كي يستجيب دعائي وأتوسّل بهذه الطاهرة وبمظلوميتها ومكانتها عنده سبحانه وتعالى، إلى أن قرّر الأطباء إجراء العمل الجراحي وهو أمرٌ إنّما أن يسرع انتشار المرض أو يخلّص جسمها منه وهو أمرٌ نادرٌ جداً فوقعنا في حيرة كبيرة فهما أمران أحلاهما مر.

فجلست يوماً أبتهل إلى الله بخير نساء الأرض كلّهم الزهراء عليها السلام الصديقة الكبرى، وزينب عليها السلام الصديقة الصغرى، وألحقتهم بتلك التي أحصنت فرجها مريم ابنة عمران عليها السلام، وامرأة فرعون التي قالت: يا رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة آسية بنت مزاحم عليها السلام، وكذلك أمّ المؤمنين والمؤمنات خديجة الكبرى (عليها السلام أجمعين) وبعد أن أستنفد منّي الدعاء فتحت كتاب الله كي أقرأ سورةً ممّا تيسّر من القرآن الكريم وإذا بها سورة مريم والتي ورد فيها اسمها عليها السلام واسم امرأة فرعون عليها السلام ممّا وُلد عندي شبه قناعية أن الله قد سمع دعائي.

وعند الفجر قرّرت هذه المؤمنة استخارة الله بالقرآن فذكرت لها

بعض صغار السور كي تقرأها على هذه النية ومن ثم قراءة آية الاستخارة
 ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ
 مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ﴾.

وفتحت المصحف الذي بين يديها وإذا بها آية من سورة الأنبياء:
 ﴿وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ
 حَافِظِينَ﴾^(١).

فقلت لي: ما رأيك؟

فقلت لها: وهل هناك رأي بعد هذا الكلام من الله سبحانه وتعالى.
 لقد سخر لك الله جند سيدنا سليمان وأجروا لك العملية وكان هو
 عليهم من الحافظين فبإذن الله لم تعودي بحاجة إلى عملية ولا لأي شيء
 آخر.

وذهبنا بهذه المعنويات العالية إلى طبيبتها واسمها الدكتورة (زاهرة
 فهد) فبدل إجراء العملية طلبت منها استخراج عينة من هذا الجسم
 الغريب (خزعة) ونفحصها فإن كانت سليمة، فلم العملية؟

وافقت الدكتورة ولكن (على مضض) لتأكدها سريريًا بأن العملية
 لا بد منها وأنه انتقالٌ خبيثٌ، وفي اليوم التالي ذهبنا إلى مستشفى الدكتور
 فايز صندوق لإجراء اللازم وفعلاً وبيده المباركة المؤمنة المعطاءة وبدقته
 المعهودة استخرج من جسمها عدّة عينات وذهبت بها إلى مخبر ابن
 عمي الدكتور رفيق بيضون لإجراء التحليل اللازم عليها، وهو على علم
 كامل بوضع المريضة وتمت له بالقرابة ولكّنه لا يعلم بما آل إليه وضعها
 حالياً فاستفسر منّي فقلت له: إنّ هذه العينات قد أخذت من الكبد، فبدا

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

عليه الحزن الشديد ولم يعد ينظر إلى وجهي نهائياً وقال لي النتيجة بعد ثلاثة أيام (وإن شاء الله خير).

وفي هذه الأيام الثلاثة كنت متواجداً في مقام السيدة زينب عليها السلام يومياً وأجلس في مقابل المقام الشريف وأناجي بنت الكرام وأبتهل لله تعالى (فهو الشافي والمعافي).

وفي اليوم الثالث ذهبت إلى عند الدكتور رفيق وحسب الموعد فاستقبلني مساعده وأثناء تكلمي مع المساعد سمع صوتي الدكتور رفيق من الداخل فهب إليّ مسرعاً، وقال لي بالحرف الواحد: إن جميع العينات التي جلبتها لي هي عبارة عن نسيج كبدي 100% ولا يوجد فيها أي شائبة تشوبها نهائياً.

فلم أتمالك نفسي فانهرت على كتفه وأنا أحمد الله على هذا الفضل الكبير من الله تعالى والذي لا يخيب رجاء من رجاء والمعتصم بأهل البيت عليهم السلام فدعوت له وودعته ومضيت إلى عند الدكتور فايز فاندعش من هذه النتيجة وحمد الله كثيراً وبارك لي هذا العطاء الإلهي وقال لي:

(روح يا عمي يلي بيخدم آل البيت والسيدة زينب عليها السلام الله ما بخيبه)، ومساءً ذهبنا إلى عند الطبيبة التي تمالكت نفسها كثيراً وقالت لنا: (ولم يعد من اللازم أن تأتوا إلى عندي) ولكن إذا أردتم لا بأس بعد ثلاثة أشهر (للاطمئنان).

كان هذا ما جرى معي ذكرته لكم إن شاء الله بأمانة، والحمد لله الذي سخر لنا أمثال السيدة زينب عليها السلام في هذه الدنيا، كي يرفع عنا ما يعجز عنه جميع أهل الأرض لتكون بركة ومكانة آل البيت عند الله تعالى هي خير ملاذ لمن يعتصم بالله وبالطاهرين المطهرين من عباده الصالحين.

ولا بد لي أن أسجل في هذا الموقف:

العرفان والفضل والامتنان لجميع من شاركونا في هذه المحنة وأنه سبحانه وتعالى قد منّ علينا بفضلِهِ من جرّاء دعائهم وابتهالاتهم التي لم تنقطع نهائياً، فجزاهم الله عنا كلّ خير.

وخاصّة السيّدة الفاضلة الحاجّة (أم سلطان) والتي ما إن علمت بالأمر حتّى تهجدت في الليل وطلبت من الله الشفاء لهذه الإنسانة حتّى أنّها زارت قبر الرسول الأعظم ﷺ ودعت من عنده كي يشفي الله هذه الإنسانة المؤمنة، (كما وأنها فتحت لي هاتفها النقال وهي في حضرة الرسول الأعظم ﷺ وأعطتني المجال كي أدعو من خلاله ما طاب لي ذلك، مما هزّ مشاعري كثيراً وأعطاني من المعنويات العالية ما يفوق الوصف)، وكانت كلّما تأتي لزيارة السيّدة زينب تدعو الله وتصلي على نية الشفاء، فجزاها الله كلّ خير وأمدّ الله في عمرها الذي وهبته في سبيل رفع معاناة الفقراء والمحتاجين. وبارك الله بها من إمراة مؤمنة صادقة واعية، ذاب عندها الفارق وتحطم عندها الحاجز ما بين المذاهب، حيث أنها لا تعترف بسنيّة قومها ولا بشيعية جماعتي وقومي بل الأمر عندها كله لله الواحد الأحد.

شفاء امرأة من سلسلة أورام خبيثة

وأنا في السيّدة زينب عليها السلام دخل للمكتب أحد المكلفين بخدمة مقام السيّدة زينب عليها السلام واسمه (أبو حسين عابدة) وهو من شيعة محافظة حمص وكان معه شخصٌ محترمٌ، تدلّ علائم جسمه على أنّه رياضي من الدرجة الأولى فعرفني عليه الأخ أبو حسين على أنّه قريبه واسمه أبو حيدر من أهالي حمص وهو بطل عالمي سابق.

ثمّ قال لي الأخ أبو حسين أنّ أبا حيدر عنده قصّة عظيمة ولا بدّ من

ذكرها في كتابي وهي تظهر عظمة السيدة زينب عليها السلام ومكانتها عند الله تعالى.

فطلبت منه أن يكتب لي هذه القصة كي أذكرها في كتابي فكانت هذه التي بين أيديكم:

فقال: بالبداية لقد كان للسيدة زينب عليها السلام بركاتٌ كثيرةٌ عليّ ولكن سأذكر أعظمها:

لقد أجريت لزوجتي استئصالاً لكتلة خبيثة كبيرة من البطن وأحد المبيضين إلا أنه عاود الانتشار مرةً أخرى ولا بدّ من استكمال استئصاله ولكنه هذه المرة خطيراً جداً، فدخلت على سيدتي ومولاتي زينب عليها السلام وتضرّعت إلى الله بالسيدة زينب عليها السلام إلى أن يشفيها الله تعالى وصرت أتردد على المقام الشريف في كلّ يومٍ عدّة مراتٍ وأنا أطلب من السيدة زينب بأن يشفيها الله لي، وأسألها بحقّ أمها الزهراء وأخوتها الحسن والحسين وأبو الفضل العباس عليهم السلام إلى أن جاء دور آخر جرعة دوائية ومن بعدها العمل الجراحي.

والذي حدث:

تقول هذه السيدة الفاضلة: وقبل النهوض إلى صلاة الفجر في ذلك اليوم المشهود رأيت رؤيا أنّ الإمام الحسين عليه السلام دخل منزلي وشرب عندي كأساً من الشاي فقلت له: أسقيك كأساً ثانياً، فأجابها: نعم ولكن عند أختي العقيلة زينب عليها السلام كي يتم شفاؤك التام.

وأفقت من النوم على هذه الرؤيا العظيمة، وحدثت زوجي بالرؤيا، وبالحال انطلقنا إلى المقام الشريف، وأوصلني إلى الحرم ودخلت إلى قسم النساء وبعد الصلاة والزيارة وإذا برجلٍ عليه علامات الهيبة والوقار لم أرَ مثيلها في حياتي، وكان يوزّع كؤوس الشاي على النساء داخل

الحرم الشريف فتقدّم نحوي وأعطاني كأساً من الشاي فشربته، ثم خرجت لملاقة زوجي الذي كانت ينتظرني في الخارج.

فقلت له ما حدث معي في الداخل وكان إلى جانبه أحد سدنة السيدة زينب عليها السلام وهو مسؤولٌ على حفظ الأحذية النسائية واسمه (حيدر الحريري العراقي) فسمع كلامي وتعجب منه، حيث لا رجال تدخل إلى حرم النساء ولا هو مسموحٌ بإدخال الشاي أو سواه وشربه داخل الحرم وقال لزوجي عندما سأله هل يوجد من يوزع الشاي داخل حرم النساء:

(شنو أنت مخبل (مخبول)، روح، روح زوجتك صحت وشفيت بإذن الله ببركة الحسين وزينب عليهما السلام...).

وذهبنا مساءً عند الدكتورة (هالة كحالة) بعد أن اصطحبنا معنا التحاليل والصور من أجل إجراء العملية فكانت المفاجأة العظيمة الكبرى.

فلقد اختفى سرب الكتل الذي كان موجوداً في الصور السابقة والتي أجريت قبل أقل من شهر ولم يظهر منها شيءٌ نهائياً.

فقالت الدكتورة لم يعد هناك مبررٌ لأيّ عملٍ دوائي أو جراحي!!

فما الذي حصل معك؟

فقصت لها زوجتي ما حدث معها، فقالت: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

يَشْفِينِ﴾.

ويتابع الأستاذ أبو حيدر ويقول:

انتهت المتابعة الطبية لزوجتي في عام ٢٠٠٠م ولتاريخه لم نزر أي طبيب أو طبيبة بشأن هذه المسألة نهائياً.

إنّما زرنا طبيبة نسائية للإشراف على الحمل حيث رزقنا الله الطفلة

زينب وعمرها الآن ٦ سنوات وأتمنى من الله أن يرزقني قمر بني هاشم وأنهى قصته بقوله هذه بركة السيدة زينب عليها السلام ابنة الإمام سليمة بيت النبوة الذي ما خاب من التجأ إليه.

ملاحظة: إنَّ العمل الجراحي الأوّل لهذه الإنسنة كان قد قضى على أحد المبيضين وأشياء هامة ضرورية أخرى، وإنَّ الحمل والولادة أصبحتا عسيرين علمياً، ولكن بإذن الله قد أنجبت هذه السيدة بعد هذا العمل الجراحي الكبير وهذه تعتبر معجزةً بحدّ ذاتها ومن كرامات أهل البيت وفضله تعالى.

قصة الرضاعة التي أبصرت

يتردد على المقام الشريف بشكلٍ دائم أحد السادة العلماء والمشهود له بالفضل والفضيلة وفي إحدى الزيارات روى لي هذه القصة:
قال: كنت مرّةً في زيارةٍ للكويت لقضاء حاجات بعض الأخوة المؤمنين فدُعيت إلى بيت المرحوم الحاج غلوم الأشكناني وهو من الأخوة المؤمنين الذائعي الصيت بالإحسان والفضل وقوة العقيدة في حبّ آل البيت عليهم السلام وهو مؤسس مسجد وحسينية الإمام الحسين عليه السلام في الكويت.

وأثناء وجودي في البيت لفت نظري طفلةٌ وديعةٌ عمرها حوالي ست سنوات، إنّما ترتسم على وجهها الطفولي والبريء مسحةٌ من الحزن نابعةٌ من هالة شفافة حول عينيها، ممّا أثار فضولي، فسألت عنها.

فأجابوني أنها عندما ولدت هذه الطفلة، كانت ضريبة وخلال عامٍ كاملٍ تمّ عرضها على أمهر الأطباء والجراحين ولكن من غير جدوى وبقيت عيناها شاخصتان لا حراك فيهما ولا تتأثر ولا تتجاوب مع أيّ

مؤثر خارجي، وعندما أصبح عمرها حوالي سنة تقريباً جئنا بها إلى دمشق في ٢٠ صفر لزيارة العقيلة زينب وتقديم العزاء لها بذكرى استشهاد أخيها الحسين عليه السلام وأودعنا هذه الطفلة عند الضريح المبارك ومضينا في العبادة والزيارة والدعاء والابتهال إلى الله تعالى كي يشفي هذه الطفلة البريئة والتي لا حول لها ولا قوة إلا بحول الله وقوته وجعلنا نلج على الله كي يشفيها ببركة السيدة زينب عليها السلام ومظلوميتها ومكانتها عنده تعالى وعندما حان وقت الخروج ملنا كي نأخذ الطفلة فكانت المفاجأة الكبرى فالطفلة تحرك عينها يمنة ويسرة وتضحك وتتحرك كأني طفل عادي وتنظر إلينا باستغراب وخاصةً ذويها الذين حفظت أصواتهم مسبقاً فكانت تنجذب لأصواتهم بشكل فوري، فارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل والصلاة على محمد وآل محمد ساعةً من الزمن ثم غادر الجميع بأنهم سعادة شاكرين الله على هذه المنّة الكبيرة والفضل العظيم.

يقول السيد: لقد شاهدت هذه الطفلة مراراً بعد ذلك ولها من العمر الآن حوالي اثنتا عشرة سنةً وهي بأنتم صحةً وعافية.

السيدة المتوفاة سريراً

حدّثني بهذه القصة الشيخ كاظم تاج (أبو حيدر) وهو من العراق ومقيمٌ في دمشق ومشهودٌ له بالعلم والصدق والسماحة وخطيب حسيني كبير.

قال لي: في إحدى زياراتي للمقام الشريف وإذا بي أشاهد الحاج عبد المحسن آل دهينم وهو من دولة قطر وبيده راية ويبكي بكاءً مُراً. فتقدّمت نحوه كي أستطلع الأمر وأخفّف عنه، فلمّا شاهدني عانقني وأجهش بالبكاء فتركته حتّى هدأ وبادرته بالسؤال عن أحواله والاطمئنان

على عياله فقال لي: لقد حضرت إلى مقام السيدة زينب عليها السلام كي أردّ الجميل لصاحبة الجميل السيدة زينب عليها السلام فلقد شفيت زوجتي أم عادل ببركتها.

وسرد لي القصة:

لقد قضت أمّ عيالي (أم عادل) مدّة ستة أشهر وهي ممددة على الفراش ما بين الحياة والموت وفي حالة سباتٍ كامل، وكان أن دخل على المسلمين شهر رمضان المبارك وكنت أدعو الله صباحاً ومساءً وخاصّةً في صلاة الليل وعند الفجر كي يشفي لي الله هذه الإنسانة المؤمنة إلى أن كان منتصف الشهر الكريم، حيث طرق بابي جاري كي يطمئن عليّ ويعود زوجتي المريضة، وأخبرني بأنّه مسافرٌ إلى دمشق، ومن فوره تعلق قلبي بالسيدة زينب عليها السلام ممّا حرّك عندي الوجد والشوق إلى تلك الإنسانة الفاضلة المدفونة في أرض الشام السيدة زينب عليها السلام فطلبت منه أن يوصل لي رسالة لمقام السيدة زينب عليها السلام فوافق مشكوراً فصعدت في ذلك اليوم إلى سطح الدار، وتوجّهت إلى مقام السيدة زينب عليها السلام وشكوت لها أمري وتوسّلت إلى الله بالمصائب التي تحمّلتها هذه الإنسانة العظيمة وبمكانتها ودرجتها الرفيعة كي يعافي هذه الإنسانة الطيبة وبقيت أتوسّل وأنتحب إلى أن جنّ عليّ الليل ثم كتبت رسالةً للسيدة زينب عليها السلام أبت فيها حزني وألمي وأطلب من الله تعالى عن طريق هذه المظلومة الشفاء العاجل.

وفي اليوم التالي أعطيت هذه الرسالة لجاري الطيب وطلبت منه أن يودعها في المقام الشريف ويطلب الجواب، وقد قام بالمهمّة هذا الأخ الكريم وقال إنّه شاهد أحد السدنة في المقام وأعطاه الرسالة فأودعها في الضريح المبارك إلّا أنّه لم يعطه الجواب وقال له الجواب ستشاهده في

قطر إن شاء الله وكان قد وصل الجواب من عند الله قبل وصول المرسال ويتابع الحاجّ عبد المحسن فيقول:

ولقد كانت بناتي تتناوب يومياً على خدمة أمهنّ وفي يوم نوبة العودة (الابنة الكبرى) وبعد صلاة الليل وإذ بها تسمع صوت أمها وهي تصرخ وتبكي وتنادي:

أخرجوني... أخرجوني... فلقد شفيت... لقد شفيت... لقد شفيتني
السيدة زينب!!

فقامت (العودة) من على سجادة الصّلاة وركضت نحو أمها وهي لا تصدّق ما تراه عيناها فرأتها بكامل حيويتها ويدها تتحسس جسمها وتلمس رأسها، وكانت تهذي بكلام غير مفهوم إلى أن هدأت ثمّ قالت: جاءت لعندي السيدة زينب عليها السلام وقالت لي: قومي!! ثمّ مسحت على رأسي!!

ومن فوري شعرت بالصّحة ووعيت فإذا بي أشاهد نفسي في الحجرة وممددة على السرير وأحاول النهوض من مكاني.

فما كان من (العودة) إلّا أن أخبرتني كي آتي مسرعاً، يقول الحاجّ: فركبت السيّارة وأتيت مسرعاً وأنا على اعتقاد تامّ بأنّ الحاجة أم عادل قد انتقلت إلى رحمة الله.

ولكن ما إن دخلت غرفتها حتّى شاهدتها بأتمّ صحّة وعافية وتشرب الحليب وحدثتني عن مشاهدتها لتلك القامة الفارهة والوجه الصبوح الذي يشعّ منه النور وذلك الوقار الذي يجلّل السيدة زينب عليها السلام وكيف مسحت على رأسها وأمرتها بالنهوض واجتمعت العائلة في هذا اليوم المشهود من شهر رمضان المبارك وقضينا جميعنا بالدعاء وزيارة السيدة زينب عليها السلام والصلاة وقراءة القرآن والأذكار وتقاطر الأهل والأصدقاء

والجيران واستمرينا كذلك إلى أن انتهت ليالي القدر.

يقول الشيخ أبو حيدر:

لقد رأيت أم عادل بعد ذلك وهي بأوفر صحة وعافية وتتمتع بنشاط ظاهر وسمعت القصة مرة ثانية منها.

ولقد حدثت هذه المعجزة منذ حوالي ٧ سنوات وفي كل سنة يأتي الجميع من قطر لتقديم الولاء والعزاء للسيدة زينب عليها السلام ويقدمون القرابين ويتبرعون لإعمار المقام الشريف، وعلى إثر هذه المعجزة أيضاً قام الحاج عبد المحسن آل دهينم ببناء حسينية الحوراء في قطر (الدوحة) تكريماً وعرفاناً للسيدة زينب عليها السلام على هذا الجميل الكبير.

الحسنة بعشرة أمثالها

جرت هذه القصة مع العلامة الشيخ ماجد الفتلاوي وهو من العلماء المشهود لهم بالعفة والنزاهة وخطيب منبر حسيني مفوه من الدرجة الأولى والذي يأبى أن ينزل عن المنبر حتى يتأكد أنّ الحضور جميعاً قد فاضت دمعتهم على الحسين عليه السلام ولديه أسلوب فريد في سحب الدمعة من مقل الناس على مصاب أهل البيت عليهم السلام حتى أنه يستجرها من أقسى القلوب.

يقول سماحة الشيخ الجليل:

قبل حوالي خمس سنوات كنت في زيارة مقام السيدة زينب عليها السلام وكان الوقت غروب الشمس في يوم من أيام رمضان المبارك، ولفت نظري وأنا في الصحن الشريف بعض المؤمنين ينتظرون وقت الإفطار، فعزمت على أن أقدم الفطور لبعضهم عندما يتيسر لي ذلك وفي نفس اليوم مساءً جلب لي أحد الأفاضل من العلماء مبلغاً من المال - لم أكن

أتوقعه - وقال لي:

إنه مبلغٌ مستحقٌ لي وهو لمؤونة شهر رمضان بالكامل.

وفي اليوم التالي صرفت هذا المبلغ على وجبات طعام جاهزة وجئت بها عند المغرب إلى مقام السيدة زينب عليها السلام كي أوفي بوعدتي الذي قطعته على نفسي ووزعت الطعام على الزوّار الصائمين ودخلت إلى حضرة السيدة زينب عليها السلام وصليت ركعتي الزيارة وعند جلوسي للتشهد والتسليم، جلس بجانبني أحد الأخوة المؤمنين وكنت قد عقدت له عقداً شرعياً لأحد ذويه، وكان ينوي العودة إلى موطنه وقد أتاني مودعاً، فأخرج من جيبه ظرفاً وحلفني بالسيدة زينب وأهل البيت عليهم السلام أن لا أردّه لأنني كنت قد رددته سابقاً وقال لي هذه هدية والهدية قبلها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي لا تردّ، فأخذتها منه مكرهاً ووضعت الظرف في جيبِي وقام وودّعته ومضى في سبيله.

وبعد الزيارة والصلاة خطر لي أن أفتح هذا الظرف لأشاهد ما فيه وإذا به مبلغٌ من المال فعددت أوراقه فإذا هي عشرة أمثال بالتمام والكمال ممّا كنت قد صرفته قيمة ثمن إفطار زوّار السيدة زينب عليها السلام.

فلم أتمالك نفسي فخنقتني العبرة فسجدت شكراً لله وأجهشت بالبكاء وبقيت ساجداً إلى أن هدأت روعي فرفعت رأسي إلى الضريح الشريف وخاطبت السيدة زينب عليها السلام وقلت لها: أبيت إلا أن يرزقنا الله عشرة أمثال ما أطعمنا الناس من حلال مالنا في الدنيا قبل الآخرة، وشكرت الله وشكرتها ومضيت في سبيلي.

تحية سرب الطيور للسيدة زينب عليها السلام

روى لي هذه القصة العلامة الشيخ ماجد الفتلاوي فقال لي:

حدثني الشيخ الجليل العلامة عبد الحميد المهاجر رحمته الله عن مشاهدة نادرة لم يلحظها طوال فترة إقامته في دمشق وخاصةً وأنها تصادفت على الطريق المؤدي للوصول إلى مقام السيدة زينب عليها السلام إلى أن كانت أيام وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام ويتابع الشيخ ماجد فيقول:

كنت في المقام الشريف عند الفجر فاجتمعت بالشيخ المهاجر وحدثني بأن سرباً من الطيور شاهده يأتي من طريق المطار إلى فوق المقام الشريف ويُقدم التحية والسلام بدورتين أو ثلاثة ويعود أدراجه وهذه المشاهدة النادرة لاحظها منذ أيام قليلة فراجع التاريخ فإذا به يصادف فيه تاريخاً لوفاة الصديقة الزهراء عليها السلام.

وقال له: اليوم شاهدت هذا السرب ينطلق عند بزوغ الفجر فتابعته مسرعاً بسيارتي إلى أن وصل إلى فوق القبة الشريفة ودار حولها وقفل راجعاً.

واتفقنا كي نشاهد هذه الظاهرة معاً لأكون شاهد عيان على ذلك وفعلاً وفي اليوم التالي انطلقنا وحسب الموعد المحدد بسيارة الشيخ المهاجر وكان معنا ابنه حسن والذي هو من حفظة القرآن الكريم، وما إن وصلنا إلى المكان المحدد وإذا بطيرٍ أبيض يمتاز عن البقية يخرج من بين الطيور وتلحق به من أمكنة متفرقة الطيور كافة إلى أن تجتمع على شكل سرب، فسأيرناه على الطريق حتى أن سرعة السيارة وصلت أحياناً إلى المائة إلى أن وصل إلى فوق مقام السيدة زينب عليها السلام وقام بالواجب بعدة دورات وقفل راجعاً من حيث أتى.

فكانت تلك الحادثة مصداق قوله تعالى:

﴿تَسْبِغُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا

فَفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١١﴾.

وكذلك قوله الكريم: ﴿الْمُرْتَرْنَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْنَ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (١٢).

المریضة التي طافت العالم تبحث عن دواء

روی لي هذه القصة العجيبة الأخ معتز شرف أحد سدنة مسلخ المقام الشريف .

قال: جاء لعندي أحد الأخوة من البحرين مصطحباً معه زوجته وهما من عامة المسلمين من أجل تبرئة ذمته من النذر الذي قطعه على نفسه عندما كان في زيارة السيدة زينب عليها السلام الشهر الفائت ولما سألته عن نوع هذا النذر اختلج جسمه وإهتز كيانه وبدأت زوجته بالنحيب والبكاء، فبدأ علي الارتباك والحيرة الذي لاحظته في حينه فبادرني بالقول: لا بأس عليك (وعذراً منك) لأنني وهذه المستورة ما زلنا تحت تأثير الصدمة، مما زاد من حيرتي أكثر وشد إنتباهي لسماع قصته وأنه لا بد من أن يكون فيها أسرار وخفايا عظيمة وبدأ يسرد لي حكايته قائلاً:

لقد أصيبت زوجتي الشابة هذه ذات التسعة عشر ربيعاً بالمرض الخبيث الذي أصابها بالرأس فعرضتها على أمهر الأطباء في البحرين ولكن من دون جدوى بل على العكس تماماً فلقد بدأ المرض يتغلغل في جسمها أكثر فأكثر، فاسودت الدنيا بعيني وأنا أرى شريكة عمري تنوي أمامي وإني فاقدتها لا محالة.

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤ .

(٢) سورة النور: الآية ٤١ .

على أثر ذلك أخذتها وطففت بها على أرقى مشافي الغرب ولكننا لم نجن من وراء هذا السعي الدؤوب سوى خيبة الأمل، ورجعنا إلى بلدنا (بخفي حنين).

وفي البحرين عرضت نتائج تجوالي على أطبائها السابقين لتتوافق الآراء جميعاً وأن الأمر آيل للنهاية المأساوية المحتملة لا محالة إلا ما رحم ربي، فانعقد لساني عن الكلام ولم أعد أعي ماذا أفعل وفوضت أمري إلى الله تعالى.

واستجمعت قواي وتوجهت إلى كبير الأطباء وسألته عن خطة العمل القادمة - وكانت علاقتي قد توطدت به كثيراً -.

فقال لي: سأكلّمك بصراحة، لقد استنفذت زوجتك جميع أنواع العلاجات المعروفة وبما فيها العلاج الكيميائي ولم يعد يستطيع جسمها الضعيف أن يتحمل أية سموم كيميائية أخرى، والعلاج الطبي الوحيد الباقي أمامها هو الأشعة الفيزيائية وهي متيسرة في البحرين، ولكنني أنصحك بأن تصطحب زوجتك وتوجهان إلى دمشق حيث أن هناك الأجهزة أحدث وأفضل فلقد مر عليّ حالات شفاء كثيرة كان مصدرها من دمشق.

وتوجهنا على إثر هذه النصيحة إلى دمشق وقصدنا مشفى المواساة بدمشق فاستقبلونا بكل ترحاب ورحابة صدر وبعد أن عاينوا زوجتي وقاموا بجميع الإجراءات الطبية اللازمة، استدعاني رئيس الأطباء إلى مكتبة ليعلمني بعدم نجاعة وفائدة العلاج الفيزيائي للحالة التي آلت إليها زوجتي وأن العلم في هذا المجال يقف عند هذه النقطة ولا سبيل لتجاوزها نهائياً ولكن إرادة الله تعالى فوق إرادة الجميع فهو الشافي وهو المعافي

فقررت الرجوع للوطن ولكنني غير آيس من رحمة الله وفي الطريق إلى مطار دمشق الدولي لفت نظري لافتة توجه الطريق إلى مقام السيدة زينب عليها السلام ومن فوري تعلق قلبي بهذه الفاضلة ابنة السيدة الزهراء عليها السلام فطلبت من السائق أن يرجعنا والتوجه بنا إلى مقامها الشريف وعندما لاحت لنا في الأفق قبة المقام الشريف تملكيت زوجتي رعشة مفاجئة فأخذت بيدها المبللة من كثرة التعرق والحالة النفسية التي هزت كيانها، وبدأنا نجتهد بالدعاء والزيارة ودخلنا إلى مقامها الشريف ونحن على هذه الحال وبقينا في الحرم الشريف ساعة من الزمن ونحن ذاهلين عن الدنيا وقد تملكني خشوع ورهبة نادرتين.

وبعد أن أدينا واجباتنا من الصلاة والدعاء والزيارة بدأت بالإبتهاال إلى الله تعالى وجعلت واسطة طلبي هذه السيدة الجليلة وجعلت ألح عليها كي يستجيب تعالى طلبي ويعافي لي هذه الإنسانة المؤمنة وصرت أناجي الله تعالى والسيدة زينب بقلب عصرة الألم والحزن وألزم نفسي بالعهود والمواثيق في حال استجاب الله لطلبي ورفع عنا هذه المعاناة المفضنية.

وخرجنا من عند السيدة زينب عليها السلام ولحقنا بالطائرة التي أوصلتنا إلى مطار البحرين ومنه إلى المنزل، حتى إذا ما جنَّ الليل سمعت صراخاً صادراً من غرفة النوم فهرعت لأستجلي الخبر فإذا بزوجتي تتلوى وتتخبط على السرير وتتألم وتصرخ بصوت عالٍ وبلغه غير مفهومة إلى أن غابت عن الوعي فأسرعت بإسعافها إلى أقرب مشفى حيث قام الأطباء بإجراء الاسعافات اللازمة لها إلى أن صحت وتعافت خلال حين من الزمن وعادت إلى طبيعتها وكأن شيئاً لم يكن، وفي اليوم التالي إصطحبتها إلى المشفى الذي كانت تتداوى فيه من مرضها المستعصي.

ومن فورهم أدخلوا زوجتي إلى غرفة التصوير الطبقي المحوري وأخذوا منها عينات من الدم وجلست في ردهة المشفى أنتظر النتائج وبعد فترة وجيزة تقدم مني طبيبها المعالج وجلس على كرسي بجانب من غير أن يتكلم فقلت في نفسي (إنا لله وإنا إليه راجعون) لقد ضاعت شريكة عمري

إلا أن الطبيب وبعد أن استرجع أنفاسه بدأ يُنفس عمّا في صدره فقال لي:

لقد أظهرت الصور الجديدة والتحليل التي قمنا بها لزوجتك اليوم خلو جسمها من أي مرض خبيث وجميع الأورام والكتل التي كانت موجودة سابقاً إختفت اليوم نهائياً وهي الآن طبيعية ١٠٠٪ فأرجوك ثم أرجوك أن تعلمني عن هذا الدواء العجيب الذي أعطوها إياه في دمشق وكان فيه هذا الشفاء التام

فشرحت له ما جرى معي في دمشق وأن الأمور ما زالت على حالها تماماً وهي التي كانت عليها قبل مغادرتنا أرض الوطن ومن فوري تذكرت زيارتي لمقام الجليلة والعظيمة بنت الكرام السيدة زينب عليها السلام قبل مغادرتي دمشق فقلت له:

نعم... نعم لقد تذكرت لقد ذهبت وزوجتي إلى عند طبيبة عظيمة في آخر ساعات زيارتنا لدمشق والظاهر أن الدواء الذي تجرعتة زوجتي عندها جاء بهذه النتيجة المفرحة فأعترت الطبيب دهشة كبيرة ولم يصدق ما سمعته أذناه وبدأ يستفسر مني عن نوع هذا الدواء الفريد الذي لا يوجد له مثيل في جميع أنحاء العالم

فأجبتة إنه فعلاً موجود عند من يطلبه بصدق وإيمان من الله تعالى عن طريق السيدة زينب عليها السلام فإنه سيحظى به حتماً وها هو الدليل ماثلاً

هذه هي قصتي مع صاحبة الفضل والفضيلة الطاهرة الشريفة بنت الكرم والكرام السيدة زينب عليها السلام رويتها بكل صدق وأمانة وها أنا اليوم قد رجعت إلى حضرة السيدة زينب عليها السلام كي أوفي ديني أمام الله فأرجو من الله القبول كما أعاهده تعالى وأعاهد السيدة زينب أنني سوف لن انقطع عن زيارتها ما بقيت حياً ويعقب الأخ معتر شرف الذي روى لي هذه المعجزة الإلهية أن هذا الإنسان الطيب الصادق عندما كان يروي لي قصته مع مرض شريكة حياته أنها وطوال فترة روايته لهذه القصة كانت زوجته تقف بجانبه وتبكي بحرارة وكان هو يسترق النظر إليها فيتوقف هنيهة ثم يتنهد ويعاود سرد قصته من جديد.

شفاء الطفلتين المشلولتين

منذ ثلاث سنوات وأثناء زيارة أربعين الإمام الحسين عليه السلام جاء رجل باكستاني يقيم في أسبانيا وأسمه (شودري أختر عباس) لكي يزور السيدة زينب عليها السلام وكان من ضمن عائلته التي كان يصطحبها معه طفلتان صغيرتان ولدتا مشلولتين في القسم الأسفل من جسمهما.

والذي حدث أنه وفي تلك الليلة الغراء أدخل ابنتيه إلى داخل الحرم الشريف ووضعهما بجوار الضريح المبارك وانصرف إلى عبادته وصلاته بعيداً عنهما وتركهما برعاية زوجته والتي هي أيضاً إلتفتت للدعاء والصلاة والزيارة تقول والددة الطفلتين: قبل آذان الفجر كنت أصلي بعض النوافل وبعد أن أنهيت صلاتي فإذا بي وأشعر أن يداً تنهر ظهري فالتفتُ إلى الخلف فإذا بي أشاهد ابنتي وقد حررتا نفسيهما من الرباط الذي قيدتهما فيه مع القفص الفضي وحبنا مسافة لا بأس بها إلى أن

وصلتا إلى عندي وهو أمر لم تكونا تستطيعا أن تقوما به سابقاً نهائياً بسبب عجزهما التام عن الحركة في القسم الأسفل من جسميهما، فلم أصدق ما تراه عيناى للوهلة الأولى ولم أدرك قيمة هذا العطاء الإلهي إلا بعد لحظات وهي التي احتبست فيها أنفاسي في صدري من عظيم وقع المفاجأة.

وارتفع صوتي على الأثر بالتكبير والتهليل وانضمت إلي أصوات الزائرات في الحرم الشريف وامتدت الأصوات إلى قسم الرجال فهرع زوجي لعندي وتشاركنا بالدعاء والابتهاال لله تعالى وخرجنا من المقام بفرح عامر أنسانا عذاب السنين السابقة كلها، وغادروا جميعاً سورية ورجعوا إلى اسبانيا حيث استجابت الطفلتان للعلاج الفيزيائي وأصبحتا تمضيا قدماً باتجاه العافية

روى لي هذه القصة العظيمة شاهد عيان وهو على اتصال وثيق بالأسرة السعيدة وهو السيد أسرار حسين وهو مقيم في سورية ويتبع مكتب آية الله الشيخ بشير النجفي رحمته الله.

نجاة مؤمنة من عملية جراحية

بطلة هذه القصة هي سيدة سورية اسمها (مريم عليا) ولها من العمر حوالي ٤٥ عاماً وتقطن في بلدة حوش الصالحية بريف دمشق وقد روت لي قصتها هذه وهي تختنق بعبراتها إلى أن انتهت من روايتها تقول الأخت مريم:

منذ حوالي ثلاثة أشهر شعرت بألم بصوري فراجعت الأطباء المختصين فنصحوني بالذهاب إلى مشفى الشام للأورام في المزة بجانب بنك الدم وهو مشفى متخصص بجراحة الأورام، فذهبت إلى المشفى

فحولوني إلى الدكتور الجراح (عرفان العوا)، فوضعني الدكتور على جهاز الإيكو وفحصني فحصاً دقيقاً ثم طلب من مساعديه أخذ صورة شعاعية للصدر وكذلك بعض التحاليل المخبرية لعينات من الدم، وبعد أن تم ذلك ففحصني من جديد وقال لي:

إن في ثديك الأيسر ورم ولا ندري إن كان خبيثاً أو سليماً ولكن لا بد من إزالته جراحياً وحدد لي يوم غد موعداً لذلك، فخرجت من المستشفى ومشيت في الشوارع هائمة على وجهي أتخبط في وجهتي وأنا أحتسب حالتي عند الله تعالى إلى أن وصلت إلى البيت وفي البيت جلست أفكر بتلك المصيبة التي حلت بي، ثم تذكرت مصاب أهل البيت (عليهم السلام) وخاصة العقيلة زينب عليها السلام فهدأت روحي وسكنت نفسي وتعلقت أفكاري بالسيدة زينب عليها السلام ومن فوري أخذت الهاتف واتصلت بأخي (علي) وهو خادم في مقام السيدة زينب عليها السلام فشرحت له ما آل إليه أمري وطلبت منه أخيراً أن يأتي لعندي ويجلب معه أثراً من ضريح السيدة زينب عليها السلام ولا بأس إن استطاع أن يؤمن لي أثراً آخر من عند الإمام الحسين عليه السلام وفي المساء جاء أخي (علي) ومعه المطلوب، ومن فوري جمعت الأثرين الطاهرين ولفتهما بعناية ودستهما بجانب ثدي المريض. وفي تلك الليلة غصّ منزلي بالضيوف من الأهل والأحباء وكل كان يدلو بدلوه في سبيل تخفيف وطئ الصدمة عليّ والدعاء لي بالشفاء

وكان ممن حضر لعندي في تلك الليلة الحاجة (ناجية الزين) وهي امرأة فاضلة وتمت لزوجي بقرابة فطلبت الإنفراد بي فدخلت معها إلى غرفة نومي وكان بين يديها مصحف شريف فقالت لي بأنني عندما أقرأ القرآن تحسسي مكان الورم إلى أن انتهى فكانت تقلب صفحات القرآن

الكريم وعند كل صفحة كانت تقرأ سورة الإخلاص وتطلب مني أن أقرأ
السورة معها إلى أن أتمت جميع صفحاته المباركة وكانت بين الحين
والآخر تتلمس صدري وتدعو الله وتتوسل بسيدنا محمد (ص) وبآل بيته
الأطهار ومظلومية الزهراء عليهن السلام وإبناها الإمام الشهيد الحسين عليه السلام
وأخته أم المصائب زينب عليها السلام.

ولقد أخذ منا هذا العمل حوالي ساعتين تعبت فيهما كثيراً ولم يعد
عندي طاقة للوقوف أو الخروج فبقيت في غرفتي وخرجت هي لوحدها.
إلا أن عيني بقيت ساهرة طوال الليل وأنا أناجي الله وأحلفه بالمعصومين
الطاهرين وأتوجه إلى سيدتي ومولاتي زينب عليهن السلام وأبث إلى الله تعالى
شكوتي وسوء حالي وقضيت سواد الليل على هذه الوتيرة ما بين الصلاة
والدعاء إلى أن بزغ نور الصباح، إلا أنه كان قد أعيانني السهر والتعب
فغفوت ساعة من الزمن وعندما صحيت دسست يدي لأطمئن على
الأثرين في صدري فوجدتهما في مكانهما ثم تحسست مكان الورم فلم
أجد له أثر نهائياً، ولما كنت خائفة جداً من الدخول المستشفى وشعرت
بأن الشفاء قد جاء من عند الله تخلفت عن موعد الجراحة ولم أراجع
المستشفى لتاريخه وانني ما زلت في كل ليلة أتحسس صدري فلا أجد
أي أثر لكتلة أو ورم بل هو طبيعي جداً فأشكر الله تعالى على هذه النعمة
العظيمة وأتوجه إلى السيدة زينب عليها السلام فأزورها وجميع المعصومين
المطهرين وأسأله تعالى أن يثبتني على موقفي هذا لأكون من الشاكرين
الدائمين.

رفع معاناة عن امرأة مؤمنة

روت لي هذه القصة السيدة (مريم عليا) وذلك بعد أن أنهت روايتها الأولى من نجاتها من العملية الجراحية التي كانت مقررة لإستئصال ثديها الأيسر.

قال الأخت مريم: قبل فترة أحسست بآلام شديدة في أسفل البطن فراجعت الدكتور الجراح (رضوان فيومي) فقال لي بعد تصوير الإيكو أنني بحاجة لجراحة وهناك احتمال لإستئصال المبيض أو الرحم إذا أظهر التصوير الطبقي المحوري أي حاجة لذلك، مما أزعجني كثيراً وخاصة بعد أن حدد لي موعداً في مستشفى الخميني لإجراء التصوير والتحليل المخبرية ومن ثم تحديد مكان الاستئصال اللازم.

وفي الموعد المقرر خرجت من منزلي -رغمًا- عن أنفي ونفسي ترفض الذهاب إلى المستشفى ورغم ذلك ركبت السيارة وسارت بنا إلى أن وصلنا قرب مقام السيدة زينب عليها السلام عندها ضاقت روحي واختلجت مشاعري ووجمَّ حمل ثقيل على صدري فطلبت ممن كان معي إرجاعي إلى البيت وقلت لهم إنني أريد الموت في البيت وليس في المستشفى.

ورجعت إلى البيت وبعدها زالت هذه العوارض رويداً رويداً، بدأت أعتذر من السيدة زينب عليها السلام لأنني وصلت إلى حماها ولم أستطع زيارتها حيث كنت في هياج نفسي ولا أدري ماذا حلَّ بي وصرت أدعو الله وأستغيث بالسيدة زينب عليها السلام واستمررت كذلك فترة من الزمن وإذا بي أشعر ببرود يسري داخلي ومركزه أسفل البطن ومن فوري إتصلت هاتفياً بالدكتورة رياض الحسيني فطلبت مني الحضور إلى عيادتها فتوجهت إلى عيادتها وعندما وصلت أدخلتني مساعدتها إلى عندها فوراً - حسب توجيهات الطبيبة - وعلى الأثر فحصتني الدكتورة ووضعتني

على جهاز تصوير الإيكو فلم يظهر أي خلل نهائياً مما أفرحني كثيراً فسألت الدكتورة أن تشرح لي أكثر قالت لي: أكثر الظن أنه كان عندك كيس ماء سليم والبرد الذي شعرت به هو عبارة عن محتوياته التي أفرغها والتي امتصها جسمك وإن شاء الله ذهب الخطر ولم يعد يوجد حاجة لأي معالجة أو سواها، فخرجت من عندها وأنا أحمد الله تعالى وأشكره سبحانه الذي جعل لنا أمثال السيدة زينب عليها السلام في هذه الدنيا كي تستجيب لنا دعائنا ببركتها ومكانتها.

الطفلة التي تعاني من ثقب في القلب

جاءت الحاجة فاطمة من بعلبك بقاع لبنان إلى مقام السيدة زينب عليها السلام وكانت تصطحب معها طفلة وديعة لا يتجاوز عمرها السنوات الخمس، وكانت هذه الطفلة البريئة تعاني من مضاعفات خطيرة سببها ثقب صغير في بطين القلب. وكان يشرف على علاجها في لبنان عدة أطباء وعلى رأسهم عمها أخو أبيها وكان طبيب قلبية جراح والذين أجمعوا رأيهم على أن هذه الطفلة لا يجرى لها أية عملية إلا عندما تتقدم بالسن ولكن هذه الطفلة المعذبة بدأت تعاني من مضاعفات خطيرة قد تؤدي بها إلى ما لا يحمد عقباه وهي على طول إنتظار.

تقول والدة الطفلة فاطمة: لقد جئت اليوم إلى عند هذه الفاضلة الجليلة أم المصائب كي أبث لها شكوتي وألح عليها وأحلفها بمظلوميتها وعذابها وقهرها الذي أعاني من بعضه اليوم وأشعر بما جرى على هذه الفاضلة من خلال معاناتي وأنا أشاهد فلذة كبدي تذوي أمامي ولا معين لنا سوى الله.

ولقد أتيت اليوم إلى عند إبنة الكرام وتعتريني ثقة عجيبة أن الله

تعالى سوف لن يردني خائبة وسيستجيب دعائي إن شاء تعالى ببركة هذه الإنسانية العظيمة وقد أقامت السيدة فاطمة داخل الحرم الزينبي من الصباح وحتى المساء وهي تتوسل بالسيدة زينب عليها السلام وبجميع المعصومين الأربعة عشر، وقبل مغادرتها المقام الشريف أودعت عند السيدة زينب عليها السلام لباس خفيف للطفلة المريضة وطلبت من أحد سدنة المقام وهو الأخ (معتز) أن يرسل لها هذا اللباس إلى عنوانها في بعلبك بعد ثلاثة أيام من إيداعه عند حضرة السيدة زينب عليها السلام، فأمثل الأخ معتز لطلبها وأخذ اللباس وأرسله لها حسب طلبها.

وبعد أسبوع وإذا به يتلقى إتصال هاتفني من السيدة فاطمة وتعلمه أن الطفلة وبقدرة الله تعالى وبركة السيدة زينب عليها السلام قد استجاب الله لطلبها وأن الطفلة قد شفيت تماماً وأن صور الأشعة التي أجريت لها حديثاً لا يظهر فيها أي أثر للثقب وأنها سليمة تماماً، وأنها على الأثر ستأتي لدمشق كي تقدم القرابين للسيدة زينب عليها السلام اعترافاً وامتناناً لفضلها وكرامتها عند الله تعالى

ملاحظة: هذه القصة العظيمة جرت أحداثها في العام الفاتت والخادم الذي روى هذه الحادثة ما زال على رأس عمله في المقام الشريف

النصرانية التي أرادت أن توفي نذرها

هذه قصة قديمة جرت أحداثها في زمن تولي سدانة المقام الشريف السيد عباس مرتضى رحمته الله وقد رواها لي حديثاً حفيده الدكتور السيد عباس مرتضى وهو المسؤول عن مستوصف المقام وله عيادة بجانب المقام الشريف

يقول الدكتور عباس: جاءت امرأة تدين بالنصرانية إلى زيارة المقام الشريف مع مجموعة من صديقاتها المسلمات ودخلن إلى الحرم المطهر وصلين ودعين ومن ثم تقدمت إحداهن إلى أمام الضريح المبارك ونذرت نذراً للسيدة زينب عليها السلام فما كان من هذه المرأة النصرانية إلا وأن ألزمت نفسها أيضاً في حال استجاب الله تعالى لطلبها أن تأتي (بديك بلدي) وتهبه لأحد الفقراء في المقام الشريف،

فصدف أن استجاب الله تعالى لطلبها وأعطاه من وافر كرمه فوق ما كانت تتمنى فأرادت أن تبريء ذمتها عند السيدة زينب عليها السلام فجلبت خاروفاً بدل الديك وأتت ووقفت على الباب الخارجي للمقام الشريف تريد الدخول.

وكان يومها الباب الخارجي مكان محل التصوير حالياً الملاصق لسور المقام الشريف وهو عبارة عن باب من الحديد يفتحه ويغلقه خادم المقام وأسمه أبو حسين عباس ولم يصدف أن أمتنع هذا الباب عن الفتح نهائياً، إلا أنه عندما هم الخادم أبو حسين أن يفتح الباب للمرأة ونذرها ليدخلا إلى المقام الشريف تعطل القفل ولم تنفع معه أي وسيلة لفتحه، فابتدأها الحاج أبو حسين بالسؤال والإستفسار ولما علم أن نذرها هو (ديك) وليس (خاروف)، قال لها إذهبي وإجلبي هذا الديك عسى أن يفتح الباب، وفعلاً جلبت المرأة (ديكاً كبيراً) وأتت إلى أمام الباب فإذا به يفتح بكل سهولة.

فدخلت المرأة ووفت نذرها وأصبحت لا تنقطع عن زيارة مقام السيدة زينب عليها السلام نهائياً

الرضيع الذي امتنع عن الطعام حتى كاد أن يهلك

قصة قديمة وبطلها هو حالياً شاب في مقتبل العمر واسمه (محمد) ابن الحاج عامر أبو دكة صاحب (بناء الصراف) بجوار مقام السيدة زينب عليها السلام خلف الحوزة الزينية.

وقد جرت تفاصيل هذه القصة عندما كان هذا الشاب طفلاً رضيعاً يقول الحاج عامر عندما وهبني الله تعالى هذا الطفل فرحت به كثيراً وإمتلاً بيتي سعادة غمرت جميع أفراد أسرتي وتعلقنا به كثيراً وخاصة وأنه كان كثير الحركة والنشاط ويتمتع بأوفر صحة وعافية، إلا أنه فجأة وبدون سابق إنذار إنقطع الطفل عن الطعام وهمدت حركته فأصابنا غمٌ شديد وكدر عظيم فما كان مني إلا أن عرضته على أمهر الأطباء ولكن من دون فائدة بل على العكس تماماً حيث إزدادت حالته سوء حتى كاد أن يقضي نحبه، - على رغم جميع ما قدمناه له من عناية جسدية وروحية- ولما أحسست أن الأجل قد اقترب حملته في يوم أغر ودخلت به إلى مقام السيدة زينب عليها السلام كي أقدمه قرباناً لله تعالى وأشهد الله وملائكته بأنني راض بحكمه وأنه امتحان ساقه الله تعالى إليّ فتقبلته بقبولٍ حسنٍ لأنه بعينه التي لا تنام فدخلت إلى مقام السيدة زينب عليها السلام وأنا أحمل هذا الطفل الهزيل المتقطع الأنفاس بين يدي فتملكني شعور غريب وشعرت بالطفل يرتعش وصار يرفرف بين يدي كالعصفور الذبيح فلم أجد نفسي إلا وأنا استنجد بالسيدة زينب عليها السلام وأصرخ بصوت عالٍ محروق يا الله يا زينب أنا بحماك وحمى الله وأحلفها بأخيها سيد الشهداء عليه السلام وجدها وآله الأطهار كي يشفي الله تعالى هذا الحمل الوديع والذي لا حول له ولا قوة إلا بحول الله وقوته، وبعد أن أخذ مني الدعاء والابتهاال إلى الله تعالى كل مأخذ وشعرت بأن الطفل قد همدت

حركته نهائياً فقلت في نفسي لقد أتى أمر الله (إنا لله وإنا إليه راجعون) فكشفت عن وجه فلذة كبدي فإذا به ينظر إلي ويضحك وقد ارتسمت على ملامح وجهه بعض علائم الصحة والعافية، فاستأذنت من السيدة زينب عليها السلام وخرجت على عجل ووصلت إلى البيت فاعطيته إلى أمه كي ترضعه من فضل الحليب الذي كاد أن ينفذ من صدرها، فإذا بالحليب يتدفق على غير عادته وإذا بالطفل ينهل منه بنهم شديد حتى أننا خفنا عليه من الإختناق من جراء السرعة التي كان يطلب بها الحليب من ثدي أمه، وخلال أيام قلائل عادت إليه صحته بالكامل ورجع إلى سابق عهده

يقول الحاج عامر أبو دكة: لقد كبر وشب هذا الولد أمامي وكان ينتقل من مرحلة من حياته إلى أخرى بيسر وسهولة ومن دون أي توجيه يذكر، فلقد كانت الاستقامة عنوان نشأته ونموه، وها هو اليوم شاباً مسلماً موالياً لآل البيت (عليهم السلام) -وبجميع جوارحه- ويدرس حالياً في جامعة دمشق وهو من الطلاب المتفوقين وأرجو له من الله تعالى الذين منَّ عليَّ وعليه من فضله الواسع الكريم بأن يتم فضله ورعايته ويقر عيننا به واطعاً نصب عينيه خدمة الإسلام والمسلمين ويفك رقبتهم من الدَّين الذي طوقته به عقيلة الطالبين أخت الحسين السيدة زينب ابنة الإمام علي والطاهرة الزكية الزهراء (عليهم السلام أجمعين)

روى لي هذه القصة المباركة السيد الجليل حسين طعمة ذو الأنفاس العطرة التي وهبها لزيارة السيدة زينب عليها السلام يوماً ومنذ أمد طويل.

شفاء طفل أردني رضيع

دخل لعندي وأنا في المقام الشريف الحاج أبو حسن فايز المحمد وهو من أهالي بصرى الشام (محافظة درعا) وهو من المؤمنين المواليين لمذهب آل البيت والذي فطر منذ الصغر على زيارة مرقد العقيلة زينب ما زال حتى اليوم

قال الحاج أبو حسن: منذ سنتان زوجت إبنتي من رجل أردني طيب من عامة المسلمين واسمه (عصام سليمان أبو حميدة) فولدت له طفل أسمياه إبراهيم إنما حدثت حادثة أثناء الولادة حيث إلتف الحبل السري حول رقبة المولود وكاد أن يختنق فجرت له الإسعافات الضرورية اللازمة ولكن بعد أن فقد بعض الأوكسجين مما عرضه إلى إصابة شديدة في رأسه أفقدته السيطرة عليه وأصبح رأسه شديد الحركة يمنة ويسرى وبشكل دائم وكذلك عيناه واللذان كانتا دائماً الحركة كالمغزل

فعرض أبواه هذا الطفل على أمهر الأطباء في الأردن ولمدة ثلاثة أشهر ولكن من دون فائدة، ولما كانت إقامة إبنتي وزوجها في الإمارات العربية عرجت هي وزوجها لزيارتنا في دمشق قبل سفرهم إلى بلد إقامتهم، وكان عندي يومها الشيخ ماجد الفتلاوي الذي أخذ الطفل ووضع بين يديه ودعا له بالشفاء وقرأ ما تيسر له من آيات الله البينات ومن ثم أرجعه إلى أمه ونصحني بأن أذهب به إلى زيارة مقام السيدة زينب عليها السلام فإذا كان مقدراً لهذا الطفل - من الله تعالى - الشفاء فإنه سيتم بإذنه تعالى في حضرة السيدة زينب عليها السلام وفعلاً فإنني لم أتوان، ومن فوري حملت الطفل وأتيت به إلى السيدة زينب عليها السلام ودخلت إلى حضرتها المباركة فتملكني شعور خشوع مهيب لم أعهده من قبل وبدأت دموعي بالانهمار وفقدت السيطرة على نفسي حين من الزمن وما

إن هدأت روعي بدأت أتوسل بالسيدة زينب عليها السلام ومظلوميتها وعذابها ووضعت الطفل بقرب الضريح وهو يتخبط ويتأرجح يمنة ويسرى وأديت واجباتي بالصلاة والزيارة وأنواع الدعاء إلى أن أستنفذ مني الكلام فملت كي آخذ الطفل وأستاذن للمغادرة فإذا بالطفل قد سكنت حركة رأسه السريعة وكذلك حركة عيناه وأصبح شبه طبيعي مما أدخل السرور إلى قلبي كثيراً فأشبعته الطفل بالقبلات وتوجهت إلى الضريح المبارك وأنا أحمد الله وأشكره واستأذنت السيدة الجليلة وغادرت المقام الشريف وتوجهت مباشرة إلى عند السيدة رقية ابنة الإمام الحسين عليه السلام ودخلت حرمها الشريف وكشفت عن الطفل فإذا به يتحرك بشكل طبيعي وعيناه ساكنتان وينظر إليّ بشكل طبيعي مما زاد في سروري فقدمت الطفل إلى قرب القفص الفضي فإذا بالطفل يتمسك به بشدة بيداه الغضتين الصغيرتين فكان ذلك تطوراً إيجابياً سريعاً من به تعالى عليه وعلينا من فضله الواسع الكريم وأصبح الطفل كأقرانه سالماً معافاً لا يشكو من أي علة والحمد لله ورجعت بالطفل إلى البيت وكان الجميع بانتظارنا على أحر من الجمر لأننا كنا قد غبنا عنهم وقت طويل يتجاوز حدود زيارة السيدة زينب عليها السلام

ولما شاهدوا الطفل على هذه الحالة من الصحة والعافية أصابتهم دهشة عظيمة غامرة بالفرح فارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل وحمدنا الله كثيراً على هذا العطاء الإلهي العظيم والذي كان ببركة السيدة زينب عليها السلام وابنة أخيها الشهيدة البريئة السيدة رقية ابنة الإمام الحسين عليه السلام

فما كان من والد الطفلة إلا أن هرع إلى مقام السيدة زينب عليها السلام وقدم لها عظيم الشكر والإمتنان وعرج على مسلخ المقام الشريف

وذبح القرابين قربة لله تعالى على أن يكون هذا دأبه في كل عام وهو الآن لا ينقطع عن زيارتها نهائياً ويقدم ما بوسعه لإعلاء مقامها الشريف وشموخه.

المرأة النصرانية التي أنجبت بعد حين

روى هذه القصة الشيخ الجليل محمد جواد مالك على منبر جامع وحسينية الإمام علي بن أبي طالب في حي الأمين يوم الأحد السابع من شهر محرم عام ١٤٣٠هـ.

فقال سماحة الشيخ أمام الملاء - الذي غص بالمكان الرحب والواسع - أن امرأة تدين بالمسيحية استوقفته في صحن مقام السيدة زينب عليها السلام وروت له مجريات هذه القصة وكان بادياً على محياها علائم الدهشة والاستغراب طوال رواية الحوادث التي جرت معها.

تقول هذه المرأة: إن الله تعالى وهبها طفلة ورغبت وزوجها أن ينجبا مرةً أخرى، ولكنهما حاولا ذلك طوال عشر سنين ولكن من غير طائل إلى أن أعياهم السعي.

تقول هذه السيدة: أنه لما أغلقت جميع الأبواب في وجهي وجدت باب الله مشرع ومفتوح لجميع السائلين فوقفت على هذا الباب ليال طوال وأنا أدعو الله تعالى واستحلفه بالسيد المسيح عليه السلام وأمه العذراء مريم عليها السلام وبجميع الأنبياء والمرسلين والصالحين والصدّيقين وفي إحدى الليالي خطرت لي الصديقة الطاهرة زينب وكنت ممن قرأ عن معاناتها وعذابها فأحييت تلك الليلة بالتوسل إلى الله بمعانة السيدة زينب عليها السلام إلى أن أعياني النعاس فبت تلك الليلة وأنا ألهج بذكر الله والسيدة زينب عليها السلام وأثناء النوم حلمت برؤيا عظيمة فلقد شاهدت

فارساً مغواراً يتقدم نحوي على فرس أبيض متقلداً سيفه بيده، فاعتراني خوف شديد، فترأف بحالي وقال لي لا تخافي فلقد جئت لكي أزف لك بشرى (بأنك ستلدين طفلاً بإذن الله) ولكن بشرط أن تسمينه علي أسم أبي، ولما سألته من أنت ومن أبوك، قال: أنا العباس أخو زينب وأبي هو الإمام علي

وفي الصباح وعندما تأكدت أن لزينب أخ أسمه العباس طار عقلي من الفرح وأخبرت زوجي بهذه الرؤيا العظيمة، فما كان مني إلا أن اختبرت عينه بجهاز التحاليل - الذي كنت قد أتعبته كثيراً من كثرة الإستعمال سابقاً- فإذا بالنتيجة هي إيجابية، فصرخت بأعلى صوتي لقد صدق العباس أخو زينب لقد صدقت الرؤيا... شكراً لله تعالى وصرت أرتجف وأهذي ولم تعد تسعني الدنيا من كثرة الفرح والسرور وبالكرم الذي أفاض به علي الله تعالى ذو العطاء بدون حساب واستمر الحمل والحمد لله وصرت أتردد على الأطباء للحفاظ على صحتي وصحة الجنين، وفي إحدى العيادات الكبيرة صرح لي الطبيب أن الجنين أنثى فقلت له من فوري: إنني حامل بطفل ذكر وكذلك وطوال فترة الحمل تصرح لي الأطباء أن حملي أنثى وأنا على أعتقاد راسخ أن حملي ذكراً وأسمه (علي) إلى أن حان وقت الوضع والطبيب المولد يقول لي أن الجنين أنثى وأنا أقول له أن المولود ذكر وأسمه علي ولم يصدق الطبيب إلى أن أخرج الجنين من أحشائي فإذا هو طفل ذكر تام الخلقة والبدن سبحان الخالق المصور

ويتابع سماحة الشيخ ويقول:

لقد إجتمعت مع هذه السيدة في مقام السيدة زينب عليها السلام وعلي يدها طفلها (علي) وقد جاءت إلى مقامها المهيب كي ترد لصاحبه

الدين الذي علق برقبته ليوم الدين وتعاهد بها على زيارتها دائماً وتبرع كي يعلو مقامها الشريف في الدنيا قبل الآخرة.

الطفلة التي شفيت من أمراض الدم

دخل لعندي إلى المكتب وأنا في المقام الشريف الأخ أبو حمزة (علي محمد) وهو من الأخوة المؤمنين والذي لا ينقطع عن زيارة مقام السيدة زينب عليها السلام نهائياً وسرد لي هذه القصة:

قال: إن لي ابنة أخت تبلغ من العمر ثلاثة عشر عاماً وقد أصيبت بمرض خطير جداً وهو عبارة عن نقص بالصفائح والكريات وخلل بعوامل تخثر الدم وكانت تنزف كثيراً وأحياناً أخرى ينحل دمها كله وتنفصل أنواع الكريات عن بعضها البعض والعلاج لهذا المرض متعب كثيراً ومكلف أكثر أقل ما فيه تزويدها بالدم السليم بشكل دائم ووضع أبويها المادي كان عادياً جداً واليوم أصبح معدوماً جداً فلقد استهلك علاجها جميع مدخرات هذه الأسرة بالإضافة إلى بعض الممتلكات والإستدانة من جميع الأقارب والمعارف ووضع الطفلة كان يزداد حرجاً يوماً بعد يوم والحيلة عند ذويها - لدرء الخطر - أصبحت معدومة نهائياً ولا معين لهم سوى الله تعالى

يقول الأخ أبو حمزة: كنت أتردد دائماً على مقام السيدة زينب عليها السلام ولا أنقطع عن زيارتها نهائياً وفي إحدى الزيارات اجتمعت بسماحة الشيخ ماجد الفتلاوي وكنت أثق فيه كثيراً لما أعرفه عنه من النزاهة والعفة، فعرضت عليه مرض ابنة أختي فتأثر لذلك كثيراً ودعا لها بالشفاء العاجل ونصحني بأن أخذ الطفلة إلى عند مقام السيدة رقية عليها السلام وبعدها القدوم بها إلى مقام السيدة زينب عليها السلام والتوسل

بهما عند الله عز وجل فبإذنه تعالى إن كان مقدراً لهذه الطفلة الشفاء منه تعالى فإنه ببركة أهل البيت (عليهم السلام) ومكانة السيدة زينب عليها السلام سيعجل الله الفرج وتشفى بإذنه الكريم فأخذت بنصيحة الشيخ على محمل الجد وذهبت والطفلة مع والدتها إلى مقام السيدة رقية عليها السلام واعتكفنا في حرمها الشريف من الصباح وحتى الظهر وبعد صلاتي الظهر والعصر توجهنا إلى مقام السيدة زينب عليها السلام واعتكفنا فيه حتى المساء ونحن نجتهد بالدعاء والصلاة والزيارة ونتوسل بالسيدة زينب عليها السلام والزهراء عليها السلام وجميع المعصومين كي يكشف عنا هذه الغمة ويعافي هذه الطفلة الوديدة

وكررنا هذا العمل على مدى ثلاثة أيام من الصباح وحتى المساء وفي كل يوم كنا نجتهد فيه أكثر من الذي قبله ومن غير كلل أو ملل بل على العكس تماماً كنا نزداد خشوعاً وإيماناً و يقيناً وكلنا أمل أن الله تعالى لن يخيب آمالنا وأنه بكرامة هاتين الطاهرتين سينجي الله تعالى هذه الطفلة المعذبة وفي اليوم الثالث ودعنا السيدة زينب عليها السلام واستودعنا عندها آمانينا وخرجنا من المقام الشريف وقلوبنا مفعمة بالرضا والإطمئنان

والذي حدث بعد ذلك أن النزيف بدأ يتضاءل وبدأت النضارة تعود إلى وجنتي هذه الطفلة البريئة رويد رويدا وظهرت عليها علائم الصحة والعافية فأخذناها إلى طبيبها المداوي فسر لحالتها التي آلت إليها وطلب بعض التحاليل المخبرية والتي أظهرت معدلات طبيعية جداً، فاستفسر عما إذا كنا قد عالجنها عند أطباء آخرين أو إذا ما تناولت أدوية معينة أخرى، فنفينا ذلك نفياً قاطعاً، فتعجب كثيراً لأن الذي حصل مع هذه الطفلة يعد معجزة إلهية حقيقية وهي ماثلة أمامه اليوم، عندها أخبرناه إن هذه المعجزة ما كانت لتتم لولا العناية الإلهية وبركة السيدة

زينب عَلَيْهَا السَّلَامُ وابنة أخيها السيدة رقية عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقال لنا: هنيئاً لكم على هذا الإيمان الصادق لأن الذي حصل مع هذه الطفلة لم أشاهده طوال حياتي المهنية كلها.

ثم عقب خال الطفلة وقال: وما هي الطفلة اليوم بأتم صحة وعافية وقد مضى عليها اليوم وهي معافاة والحمد لله حوالي عام كامل لم تحتاج خلاله لأي معالجة أو دواء إنما لبعض أنواع الوقاية والحماية.

حديث الختام

إنَّ الله تبارك وتعالى عندما اختار خليفته على هذه الأرض، فكان هذا الإنسان، فسَلَّحَه تعالى بملكة العقل واللب واسترعاه أمر هذا الكون وزوَّده بصفات وخصائص من ذاته العليَّة مثل العدل والعلم والقدرة والرحمة... وغيرها.

حيث كلَّما سمت وعلت هذه الخصائص عند هذا العبد قرب من الله تعالى وأصبح في مقعد صدق عند مليك مقتدر ذو مكانة عليا عنده تعالى وموضع حاجات الجميع وغناه عن جميع النَّاس فكان من هؤلاء المنتجبين النجباء الرسول الكريم ﷺ وآل بيته الطاهرين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بنص الذكر الحكيم الذين عرفوا قدر الله تعالى حقَّ قدره فعبدوه سبحانه وتعالى حتَّى آتاهم اليقين ولم يعصوه بظرفة عين.

ونحن في هذا الكتاب عندما تكلمنا عن السيِّدة زينب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إنما تكلمنا عن تلك الإنسانة الطاهرة التي اجتمعت فيها جميع المؤهلات المطلوبة لتكون النموذج المحتذى والقُدوة المثلى للخلافة على الأرض بما أفاض الله تعالى عليها من فضائل جلَّلتها منذ ولادتها فأهلَّتها لتكون شاهداً على النَّاس وخصماً عليهم هي وجدَّها المصطفى أمام الله يوم القيامة ضدَّ كافة هؤلاء الغاشمين الظلمة الذين أبوا إلا أن يسلبوا حقوق آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أينما وجدوا وكيفما حلَّوا، والتي عانت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

من هذا الظلم والجور ما يثقل حملة على أشدّ الأشدّاء وأقوى الأقوياء فتخطّت ﷺ جميع تلك المحن والمصائب بالصبر الجميل وتفويض الأمر لله تعالى والذي كان خير شاهدٍ على ذلك الحيف الذي حلّ بآل بيت المصطفى ﷺ والذي تقبلوه من الله بقبولٍ حسنٍ لأنه كان على عينه تعالى، وهو ما خفف من وطأته عليهم كثيراً ولعلمهم الأكيد أنه لا يضيع عنده مثقال ذرةٍ فتوفى كلّ نفسٍ حقها ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١١﴾.

والشيء المحير والمذهل للعقول أنّ هؤلاء الناس الذين أوغلوا في ظلم آل البيت ﷺ كانوا على درايةٍ تامةٍ وعلمٍ أكيدٍ بالمكانة العظيمة التي كانت تحظى بها هذه الفئة الطاهرة عند الله تعالى ليس هذا وحسب إنّما أيضاً بالنصوص الثقيلة التي سنّها الله تعالى في كتابه العزيز والنصوص الصريحة التي تواترت عن رسول الله ﷺ في سبيل نصرتهم والسير تحت ظلالهم فمن تقدّم عنهم ومن تخلف عنهم هلك، وكانوا بينهم كسفينة سيدنا نوح ﷺ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق... والكثير الكثير من أمثال تلك النصوص التي كان رسول الله ﷺ لا يترك مناسبةً صغيرةً ولا كبيرةً إلا وأهاب بالناس بأمثالها ويحذّره عن مخالفتها.

ولكن أبت هذه الفئة التي قالت آمنا أمام الله وملائكته ورسوله والناس أجمعين ليردّ عليهم الله تعالى قولهم هذا بقوله الكريم بعدما نكسوا عهدهم:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (١٢).

(١) سورة الشعراء: الآية ٨٨ ٨٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٤.

فلم يمهلوا رسول الله ﷺ وقتاً طويلاً، فبعد أن اطمأنتوا أن رسولهم ﷺ قد أغمض عينيه وارتفعت روحه الطاهرة إلى بارئها، خلعوا ذلك القناع الذي كانوا يستترون خلفه وأظهروا نواياهم الدفينة فأداروا ظهورهم لمحمد ورسالته وعادوا إلى حكم جاهليتهم الأولى.

ولقد علم الله تعالى ورسوله الكريم هذا الأمر قبل وقتٍ طويلٍ لذلك نجد أن الله وبعلمه الذي وسع كل شيءٍ كان قد حذرهم من هذا الانقلاب وعاقبته الوخيمة يوم أذاع على الملأ بقرآنه الكريم:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا ۗ ﴾^(١).

فكان هذا الانقلاب والتنكر لله ورسوله من قبل تلك الفئة الباغية أبلغ دليلٍ على أن الله تعالى كان قد علم مسبقاً أن هناك فئة من المسلمين كانوا ينتظرون الفرصة السانحة لكي ينقضوا على رضا الله تعالى بهذا الدين الحنيف فينسفوا تعاليمه ويهجروا قرآنه ويتبعوا أهواءهم ليحلّ عليهم سخطه وغضبه بدل رضاه الذي ارتضاه لهم يوم أتم لهم الدين ورضي لهم الإسلام دينا ليتبعوا تعاليمه وإرشاداته التي جمعها ما بين دفتي هذا القرآن الكريم والذي حفظه بحفظه وطهره تطهيراً وحذرهم من المساس بتعاليمه أو الحياد عنها وعاقبة ذلك الوخيمة ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا ۗ ﴾^(٢).

إلا أنهم أبوا إلا أن يقحموا أنوفهم في أمرٍ نهى عنه الله بنواهٍ مغلظة فضربوا جميع ذلك عرض الحائط فتسلطوا على رقاب الناس من غير وجه حق غير عابئين بمقدار العبث الذي ألم بالشرعية والخلل الذي لحق

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

بدين الله.

وللمحافظة على تلك المكتسبات غير الشرعية، كان لابد لهم من توجيه سهام حقدهم وظلمهم على أصحاب هذا الحق الشرعيين الذين قبعوا في بيوتهم كما أمرهم الله ورسوله أن يعملوا عندما تصل الأمور إلى غايتها وبذل جميع ما آتاهم الله من حكمة وعلم وحلم للمحافظة على الشريعة السماوية من التهتك والتشعب والمحاولة بجميع إمكانياتهم التي سخرها الله لهم كي يرجعوا الناس إلى الطريق القويم الذي ابتدأه جدّهم رسول الله ﷺ والمحافظة على فرقد الإسلام من الاندثار والضياع والمضي والسعي الدؤوب وراء هذه الغاية السامية رغم جميع الظلم والجور الذي كانوا يتعرّضون له والذي كانوا يحتسبون عند الله تعالى كي يوفيهم أجرهم يوم القيامة ويكون هو ورسوله خصوم أعدائهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(١).

والذي آلى الله سبحانه وتعالى على نفسه إلا أن ينتصر لهم ويوفيهم أجرهم فقال سبحانه: ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾^(٢).
 وخاصة هؤلاء الذين ﴿وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَأُكْفِرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَذْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ بَّحْرِيٍّ مِّنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾^(٣).

أما هؤلاء الذين ظلموا وأفسدوا وسلبوا حقوق آل البيت ﷺ وعاثوا فساداً في البلاد وبين العباد فأولئك لهم: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٤).

(١) سورة الشعراء : الآية ٨٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٩٧ .

بينما هؤلاء الذين بقوا على العهد الذي قطعوه على أنفسهم أمام الله وملائكته ورسله فلم يقتروا ولم يسرفوا ومضوا لا يرومون إلا وجهه وصبروا ورابطوا واتقوا الله فأولئك هم المفلحون.

وآخر دعوانا:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(١)

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١١١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١١٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَالِئِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٩١. ١٩٤.

الملحق

قراءة تاريخية بقلم العلامة الشيخ ماجد الفتلاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العقيلة زينب (ع)

ما قيل في فضائلها ومناقبها عليها السلام في المتون التاريخية وكتب التراجم:

قال ابن حجر في الإصابة: (... زينب بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية سبطه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمها الزهراء...) قال ابن الأثير: (... ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت عاقلة لبيبية جزلة، زوجها أبوها لإبن أخيه عبد الله بن جعفر فولدت له أولاداً وكانت مع أخيها لما قتل فحملت إلى دمشق وحضرت عند يزيد بن معاوية وكلامها ليزيد بن معاوية حين طلب الشامي أختها^(١) فاطمة مشهور يدل على عقل وقوة جنان..).

وقال العلامة البرغانبي في مجالس المتقين: (.. إن المقامات

(١) اشتبه ابن الأثير، فهي ليست أختها بل ابنة أخيها فاطمة بنت الحسين عليه السلام وهي من عالمات أهل البيت عليهم السلام تروي عن أبيها وعن أم سلمة وأم هاني وعن عمها زينب عليها السلام وعن أخيها زين العابدين عليه السلام ويروي عنها ابنها عبد الله.

العرفانية الخاصة بزینب عليها السلام تقرب من مقامات الإمامة، وأنها لما رأت زين العابدين عليه السلام حين رأى أجساد أبيه وإخوته وعشيرته وأهل بيته على الشرى صرعى مجزرين كالأضاحي وقد اضطرب قلبه واصفر وجهه أخذت عليها السلام في تسليته وحدثته بحديث أم أيمن من أن هذا عهد من الله تعالى..).

وقال صاحب الطراز المذهب: (إن شؤونات زينب الباطنية ومقاماتها المعنوية كما قيل فيها أن فضائلها وفواضلها وخصالها وجلالها وعلمها وعملها وعصمتها وعفتها ونورها وضيائها وشرفها وبهاءها تالية أمها عليها السلام ونائبتها.

وقال أبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين: (... زينب العقيلة بنت علي بن أبي طالب وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، والعقيلة هي التي روى ابن عباس عنها كلام فاطمة عليها السلام في فدك فقال: حدثني عقيلتنا زينب بنت علي...).

وقال الآخر: (كانت زينب الكبرى في البلاغة والزهد والتدبير والشجاعة قرينة أبيها وأمها عليها السلام فإن انتظام أمور أهل البيت بل الهاشميين بعد شهادة الحسين عليه السلام كان برأيها وتدبيرها عليها السلام).

وقال العلامة الأجل السيد هبة الدين الشهرستاني (قد) في نهضة الحسين: (لزينب أخت الحسين شأن مهم ودور كبير النطاق في قضية الحسين عليه السلام).

وقال ابن عنبه في أنساب الطالبين: (زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام كنيته أم الحسن تروي عن أمها فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، وقد امتازت بمحاسنها الكثيرة وأوصافها الجليلة وخصالها الحميدة وشيمها السعيدة ومفاخرها البارزة وفضائلها الظاهرة).

وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته الزينية: (ولدت زينب في حياة جدها رسول الله ﷺ، وكانت لبينة جزلة عاقلة لها قوة جنان، فإن الحسن ولد قبل وفاة جدها بثمان سنين والحسين بسبع سنين وزينب الكبرى بخمس سنين).

وذكر النيسابوري في رسالته العلوية: (كانت زينب بنت علي عليه السلام في فصاحتها وبلاغتها وزهدا وعبادتها كأبيها المرتضى عليه السلام وأما الزهراء عليها السلام).

وقال البحاثه فريد وجدي: (... السيدة زينب بنت علي رضي الله عنها كانت من فضليات النساء وشريفات العقائل ذات تقى وطهر وعبادة..).

وقال الآخر: (... السيدة زينب الطاهرة الزكية بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم الرسول ﷺ وشقيقه وريحانتيه، لها أشرف نسب وأجل حسب وأكمل نفس وأطهر قلب، فكانها صبغت في قالب ضمخ بعطر الفضائل، المستجلي آثارها يتمثل أمام عينيه رمز الحق ورمز الحقيقة ورمز الشجاعة ورمز المروءة، وفصاحة اللسان، وقوة الجنان، مثال الزهد والورع، مثال العفاف والشهامة، ... إن في ذلك لعبرة .. فلئن كان في النساء شهيرات فالسيدة زينب أولاهن، وإذا عدت الفضائل فضيلة فضيلة.. من وفاء وسخاء وصدق وصفاء وشجاعة وإباء وعلم وعبادة وعفة وزهادة... فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها).

وقال العلامة السيد جعفر آل بحر العلوم الطباطبائي في تحفة العالم: (زينب الكبرى زوجة عبد الله بن جعفر تكنى أم الحسن ويكفي في جلالة قدرها ونباله شأنها ما ورد في بعض الأخبار من أنها دخلت على الحسين عليه السلام وكان يقرأ القرآن فوضع القرآن وقام إجلالا لها).

مدرسة الصبر والتسليم والتفويض لأمر الله تعالى

إن الله تعالى قد وصف الصابرين بأوصاف رفيعة وأعطاهم وسامات سامية وذكر الصبر في القرآن الكريم في (نيف وسبعين موضعا) وأضاف أكثر الخيرات والدرجات إلى الصبر وجعلها من ثمراته، فقال تقديست أسماؤه وعز اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾^(١)، فاستحقوا أن يكونوا أئمة ومحل اقتداء للخلق بصبرهم، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢) فجعل تعالى أجرهم بدون عد وحسابهم حده برضاهم وأن يعطيهم حتى يقولوا كفى وذلك لأنهم صابرون، وإن الصبر الممدوح حبس النفس على تحمل المشاق تسليماً لأمر الله تعالى كحبسها عن الجزع والهلع عند المصاب وفقد الأحبة وحبسها عن الشهوات نزولاً على حكم الشريعة وامثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، وحبسها على مشقة الطاعة تزلفاً إلى المبدأ الأعلى وهو أفضل الأعمال ومن أشرف الخصال الإنسانية، وإنما يكون من قوة الإيمان الثبات على المبدأ الحق كما أن الجزع والهلع والتكاسل عن العبادات تنبعث عن ضالة الإيمان وضعف اليقين.

فهنيئاً للصابرين الممدوحين.. على لسان رب العالمين.. في محكم التنزيل. وقد جاء في الأخبار عن النبي الأكرم ﷺ: (جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا رسول الله إن الله أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك، فقلت: ما هي؟ الصبر، قلت: فما تفسير الصبر؟ قال: يصبر في الضراء كما يصبر في السراء، وفي الفاقة كما يصبر في الغنى، وفي البلاء كما يصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند مخلوق بما يصيبه).

(١) سورة السجدة: آية قم ٢٤.

(٢) سورة الزمر: آية رقم ١٠.

وقال عليه السلام: (الصبر شطران، شطر صبر و شطر شكر).

وقال عليه السلام: (ما من مسلم يصاب بمصيبة وإن قدم عهدا فأحدث لها استرجاعاً، (أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، إلا أحدث الله له مثل أجره يوم أصيب بها.

ولما كان الصبر بهذه المثابة عند الله تبارك وتعالى كان الأقربون إلى الله أكثر صبراً من غيرهم كالأنبياء والأوصياء ثم الأمثل فالأمثل.

وهذه الصديقة الطاهرة قد رأت من المصائب والنوائب ما لو نزلت على الجبال الراسيات لانفسخت واندكت جوانبها، لكنها في كل ذلك كانت تصبر الصبر الجميل كما هو معلوم لكل من اطلع على سيرتها ودرس حياتها سلام الله عليها.

• وأول رزية ومصيبة دهمت السيدة زينب عليها السلام هي مصيبة فقد جدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما لاقى أهلها بعد من الآلام والمكاره حين انقلبت الأمة على أعقابها.

• ثم فقدتها أمها الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، بعد مرض شديد وكدر من العيش والاعتكاف في بيت الاحزان

• ثم المصيبة الثالثة بما جرى على أبيها أمير المؤمنين ومولى الموحدين وإمام المتقين عليه السلام حين استشهد صريع المحراب بسيف المرادي.

• والرابعة فقدتها أخيها المجتبي مسموما مظلوما تقطعت أحشاءه بالسهم القتال، ورشقت جنازته بالسهم...

• والخامسة مصيبة كربلاء التي أصمت مسامع الدهر، تلك المصيبة العظمى والرزية الكبرى، وهناك دهمتها الكوارث

العظام من قتل الحسين عليه السلام وقتل بقية إخوتها وأولادها وأبناء
عمومتها وخواص الأمة من شيعة أبيها وأنصار أخيها عليه السلام،
عطاشى، ثم المحن التي لاقتها من هجوم الأعداء على رحلها
وما فعلوه من سلب ونهب وسبي وإهانة وضرب لعقائل النبوة
وودائع الرسالة. وتكفلها حال النساء والأطفال في ذل الأسر، ثم
مسيرها مع قتلة أخيها وحمايتها من بلد إلى بلد ومن منزل إلى
منزل ومن مجلس إلى مجلس.

لا مثل يومكم بعرضة كربلا
في حادثات الدهر يوم شجون
يوم أبي الظيم كابد محنة
غضب الإله لوقعها في الدين
سلبته أطراف الأسنة مهجة
تفدى بجملة عالم التكوين
وهوى على حر الهجير ضريبة
تحت السيوف لحدّها المسنون
وقفت له الأفلاك حين هويه
وتبدلت حركاته بسكون
أضمير غيب الله كيف لك القنا
نفذت وراء حجابها المكنون
أصك جبهتك السيوف وإنها
لولا يمينك لم تكن بيمين
وأجل يوم بعد رزئك حل في الـ
إسلام منه يشيب كل جنين

يوم به سارت كما تهوى العدى
فيه الفواطم من بني ياسين
أبرزن من حرم النبي وإنه
حرم الإله بمحكم التبيين

وغير ذلك من المصائب والرزايا التي عن وصفها يعجز البيان ويكل
اللسان، وهي عليها السلام مع ذلك كله صابرة محتسبة ومفوضة أمرها إلى
الله تعالى قائمة بوظائف شاقة من مداراة العيال وحفظ ومراقبة الأطفال
واليتامى من أولاد أخوتها وأهل بيتها، رابطة الجأش بإيمانها الثابت
وعقيدتها الراسخة حتى أنها كانت تسلي إمام زمانها حجة الحق على
الخلق زين العابدين عليه السلام.. أما ما كان يظهر منها بعض الأحيان من البكاء
إن صح ذلك في النقل فليس دليل الضعف أو الجزع والهلع بل لطلب
الثواب والرحمة التي أودعها الله تعالى للباكين على الحسين عليه السلام، فقد
جاء عن الصادق عليه السلام: (من ذكرنا أو ذكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح
بعوضة غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر)^(١).

وقال عليه السلام: (كل جزع وبكاء مكروه للبعد سوى الجزع والبكاء على
الحسين عليه السلام فإنه مأجور)^(٢).

وقال الباقر عليه السلام: (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام دمعة
تسيل على خده بوأه الله بها في الجنة غرقاً يسكنها أحقاباً)^(٣).

كما أن السجاد عليه السلام كان يبكي أباه مدة حياته وهو الإمام المقتدى

به.

(١) كامل الزيارات، باب استحباب البكاء على الحسين (عليه السلام) وثوابه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

وأقول:

وزينب عليها السلام كان سبب بكائها فضلا عن طلب الثواب لعلمها بأحوال أخيها الحسين عليه السلام مما يخفى على غيرها وتعلم أنه أحب الخلق إلى الله وأن فقدته سبب لضلال الناس وضياع واندراس شريعة سيد المرسلين صلوات الله عليهم وظهور البدع فتبكي زينب ويبكي الإمام زين العابدين لذلك، وأما الرحمة التي أودعها الله المؤمنين فمثل ما كان النبي صلوات الله عليه على ما رواه البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك عندما دخل الرسول وولده إبراهيم يجود بنفسه قال فجعلت عينا رسول الله صلوات الله عليه تذرفان فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟

فقال: (يا ابن عوف إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى،

فقال صلوات الله عليهم: (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

أقول: يكفي في علو مقام هذه الدرة المكنونة والجوهرة المصونة في الصبر وعظيم درجاتها في التسليم لأمر الله تعالى والرضا بقضائه ما نقله جملة من المؤرخين والمحققين أنها سلام الله عليها وعلى جدها وأبيها وأمها وأخويها لما وقفت على جسد أخيها الحسين عليه السلام قالت: (اللهم تقبل منا هذا القليل من القربان) فقد قاربت أمها في الكرامات والصبر في النائبات بحيث خرقت العادات ولحقت بالمعجزات ولا غلو إذا قلنا إنها فاقت بصبرها صبر أيوب الصابر عليه السلام، وهذه الكلمات من الحرة الطاهرة في تلك الوقفة التي رأت فيها أخاها ريحانة رسول الله وقلدة كبد المرتضى وقررة عين الزهراء بتلك الحالة المفجعة التي كان فيها تكشف لنا عن قوة إيمانها ورسوخ عقيدتها وصبرها وجلدها وتحملها وفنائها في جنب الله وغير ذلك مما لا يخفى على من تأمل وتدبر في أمر هذه

اللبؤة الجريحة شريكة الحسين في كربلاء وزين العابدين في السبا،
وقارعة أمير المؤمنين بنت الزهراء صلوات الله وسلامه عليها يوم ولدت
ويوم جاهدت وكافحت وخطبت ويوم لبت نداء ربها بنفس مطمئنة ويوم
تبعث حية.

آراء العلماء في المشهد الزينبي

أ. علماء مصر^(١)

١. الأستاذ علي مبارك باشا من سلمان الروجي المتوفى سنة ١٣١١ هجرية وكان يشغل وزارة الأشغال العمومية لحكومة مصر، وأحد أركان النهضة العلمية والعمرانية، واشتهر بالعلم وله الفضل في تأسيس المطبعة العربية ودار العلوم والمكتبة الخديوية وله كتاب (الخطط التوفيقية مصدر خصب وثيق في تاريخ مصر الحديث).

قال:

إنني لم أرَ في كتب التاريخ أن السيّدة زينب بنت علي عليها السلام أنها قد جاءت إلى مصر أو بعد الممات.

٢. الأستاذ محمد توفيق

كان قد وجه سؤالاً إلى الهيئات العلمية وأهل الخبرة والتحقيق في مصر ما نصّه:

هل قبر السيّدة زينب الكبرى بنت الإمام علي في مصر؟

وقد نشر السؤال في مجلة الإسلام المصرية في العدد ٤٠ بتاريخ ٥/ شعبان/ ١٣٥١، وقد تسلّمت المجلة عدّة مقالات من شخصيات هامة

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام للسابق ص ٥٤ وما بعدها.

تُعتبر من أفاضل مصر ونشرتها في أعدادها متعاقبة فكان منهم.

• الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي / شيخ الأزهر أحد كبار فقهاء الحنفية بمصر تولّى منصب الإفتاء سنة ١٣٣٣ هجرية، توفي بمصر ١٣٥١ هجرية يقول: إنّ المشهد المنسوب إلى زينب بنت علي في مصر هو لزينب بنت يحيى بن زيد بن الحسن الأتور...

وقال: وأما التاريخ فلم يذكر مؤرّخ ولم يسمع عن أحدٍ أبداً أنّ أحداً من القرون الأولى أو الوسطى جاء لزيارة قبر السيّدة زينب بنت علي بن أبي طالب إلى مصر.

٣. الأستاذ حسن كاسم الأديب المصري ومدير مجلة هدى الإسلام المصرية وناشر كتاب (الزينبيات) للعبيدلي.

وهو من أكثر المصريين تعصباً لإثبات مشهد السيّدة زينب بنت علي عليها السلام في مصر وله فيه كتاب سمّاه (تاريخ المشهد الزينبي).

كما أنّ له خصومه في هذا البحث على أناسٍ ساورهم وباراهم في مقالاتٍ مختلفة ونشرتها المجلة.

ومع ذلك فإنّ الأستاذ لا يجد محيصاً عن الاعتراف بأنّه لم يعثر على مصدرٍ وثيقٍ يساعده على إثبات خصوص المشهد الزينبي بمصر فقال في فاتحة كتابه (السيّدة زينب):

لم أقصد بوضعي هذه الرسالة التي تضمّنت كثيراً من أخبار هذه البضعة النبوية إقامة للحجّة على من يستبعد وجود جثمانها الشريف في مصر....

إذ أنّ التاريخ لم يروِ ذلك، ولم يرد فيها تفاصيل ثابتة تؤيد هذا

القول...

٤. أحمد الشرباصي رئيس وزارة الأوقاف لشؤون الأزهر الشريف بمصر وخريج مدرستها الكبرى، ألف في ترجمة السيّدة زينب بنت علي عليه السلام كتاباً والذي لا يقطع فيه بعين المشهد المخصوص الذي يزار الآن في مصر بأنّه للعقيلة زينب عليها السلام فيقول: إنّه من الصعب تحديد المكان الذي دفنت فيه (السيّدة زينب عليها السلام).

٥- محمد فريد وجدي وهو البحاثة الكبير المتوفى ١٣٧٣ هجرية أحد مشاهير الكتاب المؤلّفين وله الموسوعة الكبيرة (دائرة المعارف) والذي يقول:

بأنّ زينب المدفونة في مصر هي السيّدة زينب بنت الحسين بن علي بن أبي بن أبي طالب (وهو كلامٌ انفرادي فيه عن سائر العلماء).
ويصف هذه السيّدة الجليلة فيقول:

أنّها كانت من كرام العقائل وشريفات الكرائم ذات تقى وطهر، هاجرت إلى مصر وتوفيت بها، ولها قبرٌ يزار في القاهرة.

شهاداتٌ أخرى^(١)

١. شهادة الشيخ الشعراني:

يقول الشيخ:

لقد عثرنا عند مطالعتنا على بعض الآراء القائلة إنّ السيّدة زينب أخت الحسين عليه السلام قد حضرت إلى مصر في أواخر أيامها وتوطّنت فيها ولما حضرتها الوفاة دفنت بقناطر السبع وهو المكان المعروف الآن باسم السيّدة زينب...

(١) مجلة الموسم، العدد ٢٥، سنة ١٩٩٦م، عدد ممتاز خاص عن السيّدة زينب عليها السلام.

ولكن الروايات المتواترة التي أثبتتها المؤرخون الثقة والعلماء الباحثون أنّ زينب بنت علي وفاطمة عليهما السلام لم تحضر إلى مصر، وأنّ المقام الموجود هو للسيدة زينب بنت الحسين عليهما السلام لا شقيقته، وأنّ الناس اختلط عليهم الأمر لاتفاق الاسمين.

٢. شهادة السيد جواد شبر:

والذي يعتبر أنّ أهل البيت أدري بالأمر من غيرهم، يقول: أيقنا نسبة بقاع الشام للسيدة زينب الطاهرة.

٣. العلامة الكبير ثقة الإسلام حسن الصدر قدس الله نفسه الزكية قال في نزهة أهل الحرمين: إنّ زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام وكنيتها أم كلثوم، قبرها في قرية زوجها عبد الله بن جعفر خارج دمشق وهو معروف.

٤. شهادة العلامة السيد هبة الدين الحسيني رحمته الله قال في كتابه (نهضة الحسين): جاءت العقيلة زينب عليها السلام إلى دمشق من المدينة ثمّ توفيت عام ٦٥ هجرية ودفنت هناك حيث المزار المشهور.

٥. شهادة العلامة السيد جعفر بحر العلوم، يؤكّد أنّها عليها السلام جاءت من المدينة ودفنت في رجب سنة ٦٥ هجرية في دمشق.

٦. كتاب الطراز المذهب في أحوال زينب عليها السلام يقول: الذي يظهر من الأخبار أنّ قبرها بالشام، وكذلك الإمام الشعراني في كتابه لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار.

٧. شهادة الطالوي والزركلي:

في السانحات الطالوية مخطوطة بالمكتبة الظاهرية برقم ١١٤٣٨ الورقة ١١١/ ب والطلوي أحد أدباء عصره ولد بدمشق سنة ٩٥٠ هجرية وتوفي ١٠١٤.

والطالوي درويش محمد هو صاحب القصيدة المشهورة ومطلعها:

براوية قبر به زينب الكبرى

ألا وهي حقاً بنت فاطمة الزهرا

وبنت ابن عمّ المصطفى ووصيته

ومن أهل أتى في حقه نزلت ذكرى

وكذلك في الأعلام ج ٣ ص ١٠٨ للزركلي يوجد نفي لوجود ضريح

للسيدة زينب عليها السلام في مصر حيث يقول:

لم أرَ في كتب التاريخ أن السيّدة زينب بنت علي عليها السلام جاءت إلى

مصر في الحياة أو بعد الممات.

٨. شهادة منشورة في مركز لندن (ريليموس أيدوكاشنال سنتر)

قصيدة لم يذكر اسم ناظمها:

يا زائراً قبر العقيلة قف وقل

متي السّلام على عقيلة هاشم

هذا ضريحك في دمشق الشام قد

عكفت عليه قلوب أهل العالم

٩. مخطوط بالمكتبة الظاهرية بدمشق برقم / ٥١٠٤ / وجد على ظهر

المخطوط هذه القصيدة ومطلعها:

بنت رسول الله يا زينب

سقاكم من صوب الصبا طيب

حتى يروي روضة في الثرى

راوية لذي الحمى المخضب

يا أهل بيت كلّهم طهروا

وفرعهم وأصلهم من طيب

يا سادة أضحي إلي مجدهم

جميع سادات الوري تنسب

١٠. ومن قصيدة المحقق البحائة السيد محمد مهدي الخرساني النجفي:

تتهي جلالاً يا بقاع الراوية

وتطاولي شرفاً بمثوى الزاكية

تلك العقيلة زينب تنمي إلى

شرف يطول على السماء السامية

١١. شهادة الشيخ أحمد فهمي من مصر مؤلف كتاب العقيلة الطاهرة السيدة زينب عليها السلام، وله قصيدة في كتابه يقول فيها:

يا ساكني الشام بشراكم بمهبطها

ففي حفافيه للعافين آلاء

وقبرها حرم من يستجير به

تنجاب عنه بفضل الله لأواء

١٢. ومن قصيدة للشيخ حسن بن الشيخ مرتضى أسد الله الكاظمي:

فطوبى لأرض الشام حيث نزلت

بها بركات ترها ليس يجذب

تحل بها من نسوة الوحي حرة

مباركة ميمونة هي زينب

تطيب ترب الأرض من طيبها وكم

تضوع طيباً تربها المتطيب

١٣. ومن قصيدة للأديب الشيخ جمعة بن سلمان الماوي البحراني:

وعلت لفرقتها الصوائح للسماء
ودمشق كانت بالصوائح تقلب
أسفاً تموت ما رأت من راحة
وفؤادها من حزنها متصوب
حتى بها وصلوا الموضع قبرها
قبر التقى وله الرزايا تصخب
دفنت به تاج البطولة زينب
فكأنما قد خرّ فيه كوكب

١٤. ولعميد المنبر الحسيني الدكتور الشيخ أحمد الوائلي:

وحين نأى الطفّ زرت الشام
وحصدت لراوية مركبي
إلى جدك فيه منك المثل
تجدر من جذرك المنجب
فأنت أراك بكلّ علاك
هنا قد تجسدت في زينب

١٥. وللشيخ قاسم الملا بن الشيخ محمد بن حمزة الحلبي:

لمرقدتها بالشّام تروى ثقاتها
وقيل بحصر إن هذا لا عجب
لمرقدتها بالشّام دلت خوارق
لها ينجلي عن ظلمة الشك غيب

١٦. وللدكتور أسعد علي رئيس الاتحاد العالمي للكتاب:

زهراء بكّة والحجاز فضاء
وإلى دمشق تريدنا الحوراء

فالحج والزمن المنير بزینب
تاریخ ذي الإعجاز كيف يضاء
الطائفون الطامحون بروضة
تدنى النذور وكأنها العذراء
أمّاه يأتلق البقيع ومن به
فطوع أمرك في دمشق رجاء
١٧. وللأديب الكبير محمد علي الحوماني:

ولا تنس في الشّام ريحانة
لأحمد في الحرم الزينبي
توسّل بها من عظيم الذنوب
تعدو كأنك لم تذب
١٨. شهادة السيد الزبيدي:

ذكر السيد في تاج العروس فقال:
والزينبيون بطن من ولد علي الزينبي بن عبد الله بن جعفر الطيّار
نسبة إلى أمه زينب بنت الإمام علي عليه السلام وأمها فاطمة عليها السلام...
إلى أن قال:

والسفرة الأخيرة كانت مع زوجها عبد الله بن جعفر عليه السلام حين جاء
معها إلى دمشق يتعهّد أمور ملكه في قرية راوية وفي هذه السفرة توفيت
ودفنت في الراوية من أعمال دمشق.

١٩. شهادة العلامة السيد علي المكي العاملي:
وفي تحقيق قيم لسماحة السيد زينب الكبرى من المهد إلى اللحد
يؤكد فيه باستدلال موضوعي أنّ القول بدفن العقيلة زينب عليها السلام في
دمشق الشام في قرية الراوية هو الأرجح والمعتمد لأمر:

١. لأنّه هو المشهور بين المسلمين على اختلاف مذاهبيهم ولأنّه المتسالم عليه عندهم ومن المسلمات لديهم، ويقصدونه من أقاصي البلاد طوال العام...

ولولا الشهرة والتسالم لم يكن بالإمكان إثبات مكان مدافن العلماء والأولياء والأبرار والصلحاء بصورةٍ قطعِيّةٍ لتطرق الشكّ إليها.

٢. هذا المقام الشريف هو محلّ اهتمام جميع المسلمين على اختلاف مذاهبيهم.

٣. الوقفية الموجودة عند آل المرتضى (سدنة المقام الشريف) أعزّهم الله وأكرمهم وقد كان جدّهم الأكبر في أوائل القرن السادس الهجري قد أوقف أملاكه على هذا المقام الشريف وأنّه مقام زينب الكبرى عليها السلام وأشهد عليه كبار العلماء (والقضاة).

وأخيراً فإنّ عمدة ما يمكن أن يستدلّ به على أنّ هذا المقام لزينب الكبرى عليها السلام هو:

- التسالم والشهرة
- شهادات العلماء الكبار وإمضاءهم وإرجاعهم الوجوه الشرعية من نذورات وصدقات وأوقاف ووصايا... وغير ذلك إلى هذا المقام.

٢٠. شهادة الكاتبة سنّية قراة:

والتي صرّحت في حديثها عن الخالدات في التاريخ فقال:

إنّ المدفونة في قناطر السباع بمصر هي زينب الصغرى بنت علي كرم الله وجهه -

٢١. شهادة الأستاذ محمد بشير زهدي أمين المتحف الوطني بدمشق

وأستاذ محاضر في جامعة دمشق.

يقول في دراساته القيّمة عن مقام السيّدة زينب عليها السلام: إنّ مبنى مقام السيّدة زينب الكبرى في مدينة السيّدة زينب في غوطة دمشق يعتبر من أهمّ المزارات الإسلاميّة في أقطار العالم ومن روائع فنّ العمارة الإسلاميّة.

٢٢. شهادة العلامة السيد علي بن الحسين الهاشمي الخطيب:

توفيت ودفنت السيّدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب عليها السلام في رابية الشام من أعمال الشام والتي تبعد عنها من الجهة الشرقيّة الجنوبية ما يقرب سبعة كيلو مترات، وتعرف اليوم بقبر الست.

٢٣. شهادة نعمان القساطلي صاحب كتاب (الروضة الغناء في دمشق الفيحاء) يؤكّد بأنّ قبر الست زينب مشهور ويزار في نهاية العشر الأول من محرّم كلّ سنة حيث يخرج الشيعة لزيارتها.

٢٤. شهادة المرجع الدينيّ السيد محمد حسن الشيرازي، واستفاض عند العلماء أنّ آية الله المرجع الديني وأستاذ الفقهاء والمجتهدين السيد محمد حسن الشيرازي المتوفى سنة ١٣١٢هـ كان قد تشرف بزيارة العقيلة الحوراء زينب عليها السلام في الشام وكنس المشهد بيده الشريفة.

فلمّا عاد إلى العراق وفيما هو جالسٌ في مجلسه إذ دخل عليه رجلٌ في زيّ الصالحين وسيماء التقوى وقال له:

أمرني مولاي وحجة الله على خلقه أن أقدم إليكم الشكر على عملكم في حرم عمّتنا الجليلة السيّدة زينب الكبرى عليها السلام.

٢٥. شهادة العلامة الشيخ فرج العمران القطيفي:

قال في كتابه (وفاة السيّدة زينب الكبرى):

والأرجح عندي أنها توفيت في الشَّامِ في النصف من شهر رجب من العام الخامس والستين من الهجرة وهو عام المجاعة وذلك بمحضر زوجها الجواد عبد الله بن جعفر ودفنت في إحدى قرى المعروفة براوية من غوطة دمشق المشتهرة الآن بقرية الست.

٢٦. شهادة وصفي زكريا في كتابه القيم (ريف دمشق) قال:

إنَّ مشهد (السيدة زينب) كائنٌ في الجهة الغربية من القرية.

٢٧. شهادة العلامة محمد حسين الحسيني الجلاي في بحثه الموثق عن تاريخ المزار قال: وتدلّ النصوص التاريخية على اشتهاار هذا القبر من زمنٍ قديمٍ، وفي الجزء الثاني ص ٣٣ من سورة ما على المرقد جاء فيها:

قبر السيدة الجليلة صاحبة الفضل الصديقة الطاهرة الزكية الفاخرة الزاهدة العابدة الراكعة الساجدة التي شرفت قبرها قرية راوية شقيقة السبطين بضعة البضعة المحمدية والجوهرية الأحمدية من خصها الله بالكرامة الأبدية السيدة الجليلة أم كلثوم زينب الكبرى بنت أسد الله الغالب الإمام الجليل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - . ٢٨. شهادة ابن أحمد السويدي:

ويرى سماحة الشيخ حسن الصفار أنّ الباحث الدمشقي عثمان بن أحمد السويدي الحوراني المتوفى سنة ٩٧٠ هجرية قد ذكر هذا المشهد في كتابه (الإشارات إلى أماكن الزيارات) فقال:

ومنها قريةٌ يقال لها راوية بها السيدة زينب أم كلثوم ابنة علي بن أبي طالب عليهما السلام توفيت بغوطة دمشق عقب محنة أخيها الحسين عليه السلام ودفنت في هذه القرية ثم سميت القرية باسمها وهي الآن معروفة بقبر الست.

قبور الزينبيات

جاء في كتاب أخبار الزينبيات والذي يعتبر من أهل المصادر التاريخية وأصدقها وأقدمها تأليف يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسن الأصغر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المتوفى سنة ٢٧٧ هجرية ملاحظات هامة عن الزينبيات وقبورهن في البلاد الإسلامية فقال:

١. في المدينة:

زينب الوسطى بنت علي عليه السلام توفيت في المدينة.

زينب الصغرى بنت علي عليه السلام المتزوجة ابن عمها محمد بن عقيل توفيت بالمدينة.

زينب بنت علي زين العابدين عليه السلام توفيت في المدينة.

٢. في مصر:

زينب بنت يحيى بن الحسن بن زيد توفيت في مصر.

زينب بنت القاسم الطيب بن محمد بن جعفر الصادق توفيت في مصر.

زينب بنت موسى الكاظم توفيت في مصر.

وفي مصادر هامة أخرى عن أخبار الزينبيات وجدنا ما يلي:

في المدينة:

زينب بنت رسول الله توفيت في المدينة سنة ٨ هجرية

زينب بنت جحش (زوج النبي ﷺ) توفيت في مصر سنة ٢٠ هجرية

زينب الوسطى بنت علي ؑ دفنت مع ولدها زيد في المدينة سنة

٥٤ هجرية

زينب بنت الحسن بن علي ؑ دفنت في المدينة.

زينب بنت علي زين العابدين ؑ دفنت في المدينة.

زينب بنت الحسن المثنى بن الحسن بن علي ؑ دفنت في

المدينة.

زينب بنت أبي سلمة دفنت في المدينة.

في مصر:

زينب بنت يحيى المتوج دفنت في مصر.

زينب بنت الأباجلي دفنت في مصر.

زينب بنت سنان دفنت في مصر.

زينب بنت هاشم دفنت في مصر.

زينب بنت محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن إدريس دفنت في

مصر.

زينب الكلثمية دفنت في مصر.

زينب بنت المهذب دفنت في مصر.

زينب بنت يونس دفنت في مصر.

زينب بنت شعيب دفنت في مصر.

زينب الفارسية دفنت في مصر.

زينب الحنفية دفنت في مصر.

تلك كانت معلومات هامة عن قبور الزينبات في المدينة المنورة وجمهورية مصر العربية بينها لكم (بجهودنا المتواضعة) بصدق وأمانة، لتضيف قرينة أخرى هامة بعدم وجود قبر للسيدة زينب عليها السلام في أي مكان غير ذلك الشامخ والعامر الموجود في راوية دمشق (السيدة زينب عليها السلام حالياً).

وثائق هامة

إنّ الوثائق الهامة التي سطرتها بأياديها المباركة أكابر علماء المسلمين، في القرن السابق، تعتبر أبلغ دليل على أهميّة مقام السيّدة زينب عليها السلام وعظمته وقدسيتها عند كافة المسلمين والمسلمات.

حيث أنّهم (أثابهم الله) بإعلانهم عن شهرة هذا المقام في هذا الزمن المتأخّر يعتبر دليل هامّ وثابت على أنّ المدفونة فيه هي السيّدة الجليلة العارفة العقيلة أمّ كلثوم زينب ابنة الإمام علي والصديقة الزهراء عليها السلام أخت الإمامين الحسنين عليهما السلام وهذه الشهادات من هؤلاء العلماء الأجلاء، إنّما كانت تعكس خلاصة البحوث والتحقيقات التي دأب عليها المؤرّخون والرواة وكافة العلماء على امتداد قرون من الزمن، والتي تناولت وتجادبت هذا الموضوع من كافة أطرافه.

لتأتي هذه الشهادات من كبار العلماء الحاضرين وتمحصها وتدققها وتفرز منها الطيب عن الخبيث - من خلال الشعور بالواجب - بمصداقيّة وأمانة قلّ مثيلها بم اجتماع عندهم من الإيمان الصادق والعلم النادر والاستقطاب من شرائح كبيرة من المسلمين التي حطّت رحالها عندهم فاطمأنّت لإفتاءاتهم وأحكامهم.

وفيما يلي نذكر أهمّ هذه الشهادات والفتاوي التي صدرت عن بعض

العلماء التي تكن لها قلوب المسلمين الإجلال والإكبار والفضل الكبير^(١):

١. وثيقة هامة صادرة عن مكتب آية الله العظمى السيد علي السيستاني دام ظلّه

٢. السيد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سرّه.

٣. السيد محسن الأمين الحسيني قدس سرّه.

٤. السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سرّه.

٥. السيد حسين الطباطبائي البروجردي قدس سرّه.

٦. كتاب من قبل العلامة السيد كاظم شريعتمداري قدس سرّه موجه للمحسن

الكبير الحاج مهدي البهبهاني رحمته بالإجازة لقبض الوجوه الشرعية لإعمار مقام العقيلة زينب عليها السلام.

٧. السيد كاظم شريعتمداري قدس سرّه.

٨. السيد يونس الموسوي الأردبيلي قدس سرّه.

٩. اللجنة المؤلفة برئاسة السيد محسن الأمين قدس سرّه.

(١) مجلة الموسم، العدد ٢٥، عام ١٩٩٦م، العدد الخاص بالسيدة زينب عليها السلام.



بِسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَلَهُ الْحَمْدُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَاللَّعْنَةُ الدَّائِمَةُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ

سَمَاحَةُ آيَةِ اللَّهِ الْعَظْمَى الْمَرْجِعِ الدِّينِيِّ الْأَعْلَى
السَّيِّدِ عَلِيِّ الْحُسَيْنِيِّ السَّيِّدِسْتَانِيِّ

(دَامَ ظِلُّهُ الْوَارِفُ)

سَيِّدِنَا الْمَفْدَى :

نَلْتَمِسُ مِنْ سَمَاحَتِكُمْ أَنْ تَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ نَمِيرِ عِلْمِكُمْ الْجَمِّ، وَحَسَبَ مَا
تَبَيَّنَ لَدَيْكُمْ مِنْ كَافَةِ الْمَرَاجِعِ وَالْمَتُونِ التَّارِيخِيَّةِ وَكُتُبِ السِّيَرِ وَالتَّرَاجِمِ، عَنِ
مَكَانٍ وَمَحَلِّ مَرَقَدٍ مَوْلَاتِنَا، فَخَرِ الْمَخْدَرَاتِ الطَّالِبِينَ
العَقِيلَةَ زَيْنَبَ الْكَبْرَى (عَلَيْهَا السَّلَامُ)
وَالْقَوْلَ الْفَصْلَ قَوْلِكُمْ وَالَّذِي هُوَ مَحَلُّ ثِقَّةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَّا وَمِنْ جَمِيعِ مَقْلَدِي
سَمَاحَتِكُمْ .

وَدَمْتُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ مَفْزَعًا وَمَلَاذًا وَأَمَلًا أَمِنًا
وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

بِسْمِ اللَّهِ تَعَالَى
12 الأشهر الثامن في الشام .

5 ربيع الأول
1430





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الذي نحن على اخواننا المؤمنين دام توفيقهم الضرورة التي يتبعها المنقصر
بمشرفة السيدة زينب عليها السلام الواقع في دمشق الشام وقد
اذنا في صرف سهم المبارك سهم الامام عليه وعلى ابائنا افضل الصلوة
والسلام في تعيينه والصفحة في ذلك من السهم المبارك المذكور مفرغ للذ
وعوهد للاجر والثواب وفق السجادة لجميع لما يجب ويوضي انه ارضم الرا

والطباطبائي
الحكيم

١٣٧٠
٢٤ ١٦



صورة فتوى حجة الاسلام المجتهد الاكبر السيد محسن الحكيم
في الاذن بصرف سهم الامام في سبيل اعمار جامع مقام السيدة زينب (ع)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 السلام على اخواننا المحرمان من آل محمد
~~عزها قلوبهم~~ وحاميتهم على من تشرف بزيارة مقام
 السيدة زينب عليها السلام في قرية (الراوية) ان ذلك المقام
 شريف في ضرورة ماسته ليعمر المسجد المحصل به وان تم
 تعميره توسعة على الزائرين وكفضا من الازدحام والاهل
 لهذا المقصد الحليل واقامة هذا المسجد ادنا في صرفهم الامام
 عميل الله فرجه في هذا السبل والفاقه في هذا الفرع الشريف
 مفرغ لذمة المنفق وسبب لآبواب وثق الله جميع نبل ما فيه
 رضا وتعالى وبفضول بالدارين
سيد محسن الأسن العائلي
 ١٤٤٥
 ١٤٧٠

النص الكامل لفتوى حجة الاسلام

السيد محسن الأمين (قدس سره)

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام على اخواننا المؤمنين أعزهم الله

غير خافٍ عليكم وخاصة على من تشرف بزيارة مقام السيدة زينب عليها السلام في قرية (الراوية) أن ذلك المقام الشريف في ضرورة ماسة لتعمير المسجد المتصل به وإن في تعميره توسعة على الزائرين وتخفيف من الازدحام ولأجل هذا المقصد الجليل وإقامة هذا السبيل وإنفاقه في هذا الغرض الشريف مفرغ لذمة المنفق وموجب للأجر والثواب وفق الله لكل ما فيه رضاه تعالى والفوز بالدارين

محسن الأمين الحسيني

٢٥ جمادى الثانية

سنة ١٣٧٠

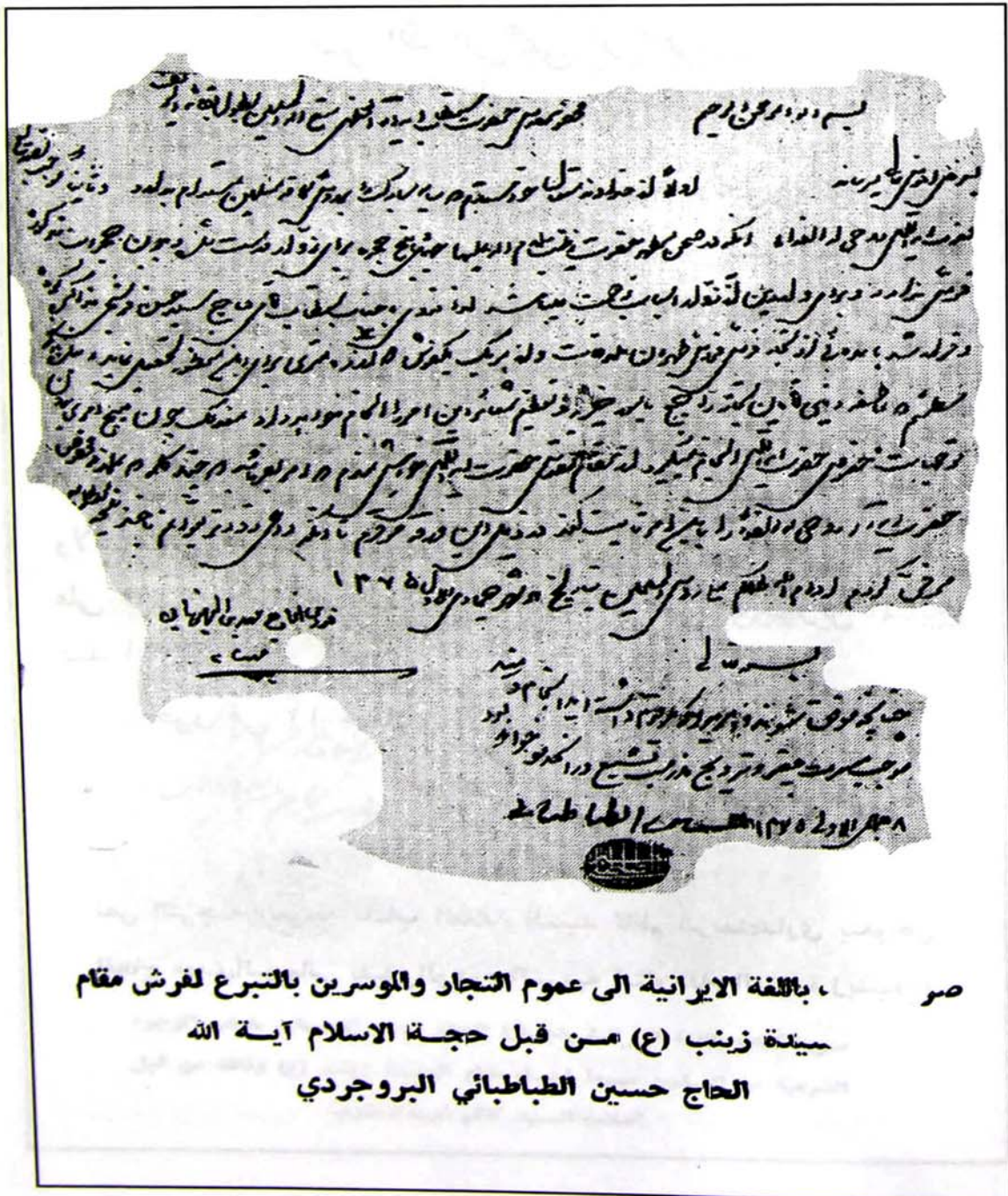


بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السلام على اخواني في الله عز وجل وفي رسوله صلى الله عليه وسلم وفي أمته
 المسلمين عليهم السلام التناصحين لله تعالى وكتبابه ولهم درحة الله وبركاته .
 وبعد فقد علمتم بقيام العبد الصالح الحاج مهدي البهبهاني في شبعة شه
 سيدتنا حوراء النساء عقيلة الوحي والنبوة زينب سلام الله عليها وعلى
 جدها وأبيها وجميع من هي اليهم صلوات الله عليهم وأهتمامه في إيجاد الماء
 هناك بكثرة وبناء حمامات ومراحيض ومخبز ومغسل للأموال ونحو ذلك
 مما يرتاح اليه الزائر ون هذا مما يتوقف على قوة مالية لديه جعلته
 وكيلاً عنا بقبض سهم الإمام عليه السلام والمظالم المرودة والندور والمنذورة
 للسيدة عليها السلام فمن دفع اليها شيئاً برئت ذمته منه ووقع أجره
 على الله تعالى وكان من المتعادنين على البر والتقوى وفقنا الله وإياكم
 لذلك إنه ارحم الراحمين
 بحمدي ربيع الأول ١٣٧٤

الحسين
 عبد الحسين
 الديلمي

صورة فتوى حجة الاسلام المجتهد الاكبر المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين
 بصرف سهم الامام في سبيل اعمار مقام السيدة زينب (ع)



صو ، باللغة الايرانية الى عموم التجار والموسرين بالتبرع لغرض مقام
 سيادة زينب (ع) من قبل حجة الاسلام آية الله
 الحاج حسين الطباطبائي البروجردي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا يخفى على اخواننا المؤمنين ان حضرة الاجل الاكرم الحاج مهدي البهبهاني سلمه الله قد هاجر منذ نحو عشر سنوات من النجف الاشرف الى الشام وقد حصر اهتمامه في تأسيس وتعمير وترميم صحن وحرَم السيدة زينب (ع) .

وبما انه يحتاج لاتمام هذا المشروع الى مساعدات اكثر من المؤمنين والمتدينين من التجار وغيرهم من الحجاج والزوار ولاسيما زوار قبرها المطهر ، فهؤلاء يلزم ان يساعد كل منهم على قدر استطاعته وسيكونون انشاء الله من المأجورين المثابرين عند الله .

حرر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٣٧٥

سيد كاظم شريعتمداري

نص الترجمة العربية لكتاب العلامة السيد كاظم شريعتمداري بتفويض
الحاج مهدي البهبهاني بقبض الوجوه الشرعية لبناء مقام السيدة زينب (ع)



بسم الله الرحمن الرحيم
 محسن نامه انکه صاحب طهارت و کرامت افاضه فرموده است
 سلمه الله تعالی در دوره سال است که از محو و انوار نورانی
 شام کرده و بیت خود را در امر خود در تاسیر و تفسیر و ترمیم
 معین و هم شریف حضرت زینب سلام الله علیها
 منعم اند و عین برادر شمیم آن جناب است
 و مساعدت و نصرت و توفیق از جانب او فرستاد و جمیع
 در روز آن حضرت علیها السلام فرموده است که
 که معذور است و قدرت مال خود در این امر
 و مساعدت نماید است و این است که در این امر
 و مشایخ و اولاد و جوانان و کلام شریف از این
 ۱۳۷۵
 ۱۲۱۲

صورة كتاب باللغة الايرانية باجازه الحاج مهدي البهبهاني بقبض الوجوه
 الشرعية من المسلمين عموماً لبناء مقام السيعة زينب (ع) وذلك من قبل
 العلامة السيد كاظم شريعتمداري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 شخصی نامند بهجوم احوال کوشین در این سفر که در رجب سنه
 ۱۳۷۷ هجری قمری در زیارت قدس سیدم بهر علیها و شاد
 تعمیرات حرم و مسجد و صحن ترغوا که تمام زحمت را جناب عمده
 آنحضرت می آید علی مهدی قاسمی که زید نو فخر شد عیسی در ۱۰
 معلوم دعا نمودم در اواخر آبان خرداد و یاد ده ای گذارنده
 ایشان ایضا رو متدین که در آن خصوص عانت فخر
 و عید بنمایند مورد توجه آنکه اطهار سیدم بهر علیهم بود
 در ایام بیخوفانه خردا بد ششم زاری دعا بر آنها این
 ۱۳۷۷ هجری قمری در ۱۰ خرداد

کتاب الاجل السيد يونس الموسوي باليرانية

بشان ما شاهده من اعمال التعميرات في مقام السيدة زينب (ع)

بعض ما جاء في كتاب

الأجل السيد يونس الموسوي (قدس سره)

يذكر في كتابه السيد مشاهداته يوم تشرف بزيارة السيدة زينب في دمشق وذلك في شهر رجب عام ١٣٧٤هـ وثيني فيه على العمار في الحرم والمسجد والصحن المشرفين ويذكر بخير الحاج مهدي البهبهاني ومساهمته الفعالة ويدعو له بالتوفيق ويطلب من المؤمنين إعانته في هذا الموضوع الخير لأنه سيكون لهم سبباً للمغفرة...

١٢ رجب ١٣٧٤هـ

التوقيع

يونس الموسوي

النص الكامل للجنة المشكلة من قبل

السيد محسن الأمين (قدس سره).

بسم الله الرحمن الرحيم

بعونه تعالى لقد تم تشكيل لجنة من كبار التجار وكبار الشخصيات بدمشق الشام برئاسة المجتهد الأكبر آية الله سيادة السيد محسن الأمين (دام ظله على العالمين) للقيام ببناء وتعمير وتشيد مقام وصحن الصديقة الطاهرة الجليلة أم المصائب السيدة زينب عليها السلام بموجب خريطة فنية من قبل المهندسين والسعي لدى أهل الخير في جميع الأقطار الإسلامية لمؤازرتها في هذا لعمل الجليل وهي ترحو أن تمد لها يد المساعدة من ذوي الغيرة والحمية ومحبي أهل البيت (عليهم السلام) لتنفيذ هذه المهمة الجليلة الموكولة إليها، وإذا يسر المولى تعالى ووفق أن يذهب وفداً من أعضاء هذه اللجنة التي هي محل اعتمادنا وثقتنا للأقطار الإسلامية سعياً وراء هذه المهمة الجليلة الشريفة والغاية الجليلة فيرجى اعتمادها والثقة بها وتسهيل مهمتها والله تعالى هو المسؤول أن يضاعف لهم الأجر ضعافاً مضاعفة والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً

عضو: نسيب مرتضى

عضو: عبد العزيز شمعة

عضو: الحاج مهدي بهبهاني

المتولي: محسن مرتضى

أمين الصندوق والمحاسب: عبده النحاس

نائب الرئيس: عباس محمد مرتضى

بسم الله الرحمن الرحيم

نؤيد مساعدة هذا العمل الجليل ونؤازره

١٥ جمادى الأولى ١٣٧٠ هـ

محسن الأمين الحسيني

المراجع

١. القرآن الكريم
٢. السنة الشريفة
٣. السيّد زينب عليها السلام، تأليف باقر شريف القرشي، ط، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٤. حياة السيّد زينب عليها السلام، الشيخ حسن الصفار، ط، مكتبة الفردوس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
٥. حياة السيّد زينب عليها السلام، السيّد جعفر النقدي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى المحققة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٦. موسوعة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، طبعة دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٧. مرقد العقيلة زينب عليها السلام للعلامة محمد حسين السابقي طباعة مؤسسة ثار الله الثقافية ببيروت لبنان ١٤٢٢هـ - ط٢.
٨. مقتل الحسين عليه السلام لعبد الرزاق الموسوي المقرم طباعة دار الكتاب الإسلامي لبنان بيروت طبعة خاصة سنة ١٣٩٩هـ جرية.

٩. زينب الكبرى من المهد إلى اللحد للسيد محمد كاظم القزويني
طباعة دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع طبعة ثانية سنة
١٤٢٥هـ جرية.

فصول هامة في هذا الكتاب

١. القرائن التي تثبت أن قبر العقيلة زينب عليها السلام هو في دمشق دون غيرها. (ص ١٩٣-٢٣٠)

أ. ثبوت أن القبر الموجود في (رواية الشام) هو لإحدى إبنتي الصديقة الزهراء عليها السلام حتماً.

ب. ثبوت عدم بقاء حيا من إبنتي الزهراء عليها السلام سوى العقيلة زينب عليها السلام يوم غادرت مدينة جدها عليها السلام - للمرة الثانية -

ج. فلا فرق - إذن - إذا تناقلت الأخبار أن ابنة الزهراء عليها السلام المدفونة بدمشق هو لزينب الصغرى أو الكبرى إنما المقصود هو العقيلة زينب عليها السلام دون سواها، لأنها الوحيدة الباقية على قيد الحياة في عام ٦٥هـ (وهو عام وفاتها)، وإتفاق المؤرخين بأن القبر في دمشق حتماً لابنة الزهراء عليها السلام ولا إختلاف بينهم على ذلك فإن أي قبر آخر للعقيلة زينب عليها السلام هو وهم من الأوهام

٢. ثبوت عدم دخول أحد من الصلب المباشر للإمام علي عليه السلام إلى مصر نهائياً. (ص ٢٠٣-٢٠٧)

٣. وثيقتان هامتان للعلامة الكبير السيد محسن الأمين قده صدرتا عنه في عام ١٩٥٢م ينوه فيهما أن القبر الموجود في دمشق هو للعقيلة زينب عليها السلام بيد أنه لم يتمكن من استدراك ذلك في أعيانه لوفاته في نفس العام رحمته الله (ص ٢٧٠-٢٧٦).

٤. (فضة النوبية، (رض)) خادمة البيت النبوي فالعلوي الفاطمي وأخيراً الزينبي وقبرها الصريح بدمشق يعتبر قرينة هامة بأن العقيلة زينب عليها السلام توفت ودفنت في دمشق (ص ٢٣١-٢٤٣).

٥. جميع أراضي (بلدة راوية) هي وقف ذري لمقام السيدة زينب عليها السلام وكان قد دفع ثمن أراضيها مرتان: الأولى من قبل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلام أيام الأموية.

والثانية من قبل جد المتولين الشريف السيد حسين بن سليم شيخ الإسلام عام ٧٦٨هـ على أن يكون الأشراف عليها من قبل ذريته فقط. (ص ٢٨١-٢٩٦).

بالإضافة إلى فصول هامة أخرى قبل:

١. عبر ومواقف ومشاهد من كربلاء. (ص ١٦٠-١٨٤)

٢. من كرامات العقيلة زينب عليها السلام: تتلمس فيه بوضوح تلك المكانة العظيمة لهذه الطاهرة عند الله تعالى (ص ٣٠٣-٣٤٠)

٣. خربة الشام (موقعها وما آلت إليه اليوم) (ص ١٨٥-١٩٠)

٤. الملحق (ص ٣٤٨)

وفيه شهادات خطية من كبار العلماء بجواز دفع الحقوق الشرعية في سبيل إعلاء صرح مقام السيدة زينب عليها السلام في دمشق بالإضافة إلى فصول هامة أخرى نرجو أن تجدوا فيها المتعة والفائدة.

المحتويات

٧.....	مناجاة وإهداء.....
٩.....	تقريب بقلم المحقق سماحة الشيخ ماجد الفتلاوي.....
١١.....	تقديم بقلم العلامة الشيخ حسين أحمد شحادة.....
١١.....	السيدة زينب <small>عليها السلام</small> وشروط الكتابة التاريخية.....
١٥.....	كلمة الافتتاح.....
١٥.....	ملحمة اسمها زينب.....
١٧.....	المقدمة.....

القسم الأول

العقيلة زينب (ع)

٢٥.....	العقيلة زينب (سلام الله عليها).....
٢٧.....	زينب (عليها السلام) اسم من السماء.....
٣٩.....	الولادة.....
٥١.....	خطبة الزهراء (عليها السلام).....
٦٣.....	خطوب السيدة زينب (عليها السلام).....
٧٨.....	موقف العقيلة زينب (عليها السلام).....
٨٤.....	العقيلة زينب (عليها السلام) وقمة الأحران.....
٨٧.....	مشاهد العقيلة مع أخيها الإمام الحسين (عليهما السلام).....

- ٩١..... ليلة التاسع من المحرم
- ٩٦..... اليوم العاشر من المحرم (عاشوراء)
- ١٠١..... توبة الحر
- ١٠٥..... حملة آل أبي طالب عليهم السلام
- ١٠٦..... القاسم وأخوه عبد الله عليهما السلام
- ١٠٦..... العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام
- ١٠٧..... شهادة العباس عليه السلام
- ١٠٩..... شهادة الإمام الحسين عليه السلام
- ١١٥..... السلب بعد القتل
- ١١٦..... دور العقيلة زينب بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام
- ١٢٩..... خطبة الإمام السجاد عليه السلام
- ١٣١..... في قصر الإمارة بالكوفة
- ١٣٣..... تسيير السبايا إلى الشام
- ١٣٨..... خطبة العقيلة زينب (عليها السلام) في مجلس يزيد
- ١٤٤..... إقامة مأتم الحسين عليه السلام في قصر يزيد
- ١٤٧..... العودة إلى مدينة الوحي والتنزيل
- ١٥١..... وقعه الحرة
- ١٥٥..... أصدقاء من كربلاء
- ١٦٠..... عبر ومواقف ومشاهد كربلائية
- ١٦٤..... اصطحاب النساء والأطفال إلى كربلاء
- ١٦٧..... العقيلة زينب (عليها السلام) والإمامة
- ١٧٤..... الحرائر المطهرة (سبايا)
- ١٨٥..... خربة الشام

القسم الثاني

قبر العقيلة زينب (عليها السلام)

- قبر العقيلة زينب (عليها السلام)..... ١٩٣
- أم كلثوم عليها السلام الابنة الصغرى للإمام علي عليهما السلام..... ١٩٧
- أضواء على حياة السيدة أم كلثوم عليها السلام..... ١٩٨
- قصة زواجها من الخليفة الثاني..... ١٩٩
- وفاة أم كلثوم بنت الإمام علي عليه السلام ومكان دفنها..... ٢٠١
- لم يدخل أحد من صلب الإمام علي (ع) - المباشر - إلى مصر نهائياً..... ٢٠٣
- أماكن الزيارات في مصر..... ٢٠٨
- العهد الفاطمي ومرقد العقيلة زينب عليها السلام..... ٢١٣
- العقيلة زينب عليها السلام والسلطة الأموية..... ٢١٥
- العودة إلى دمشق..... ٢١٨
- العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق..... ٢٢٣
- الخروج الثاني للعقيلة زينب عليها السلام:..... ٢٢٥
- مسار آخر: فضة النوبية..... ٢٣٢
- بعض الأحداث التي جرت في بيت الزهراء عليها السلام..... ٢٣٣
- سورة الدهر والخادمة فضة:..... ٢٣٧
- يوم الفراق..... ٢٣٩
- قبر فضة خادمة بيت المصطفى (ص) وآله الكرام (عليهم السلام)..... ٢٤٠

القسم الثالث

ارتفاع وإزدهار مقام العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق

- المؤرخون وقبر العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق..... ٢٤٧
- المجتهد الأكبر العلامة السيد محسن الأمين (قدس سره) ودوره في اعلاء صرح مقام العقيلة زينب (ع)..... ٢٥٧

- ٢٦٢..... موقف مُشْرِفٍ للسيد الأمين:
 ٢٦٢..... موقف مع الحكومة السورية:
 ٢٦٣..... موقف مشرف نادر للسيد محسن الأمين قدس الله سره
 ٢٦٥..... موقف بطولي نادر.....
 ٢٦٨..... من كرامات السيد الأمين.....
 ٢٧٠..... قبر السيدة زينب(عليها السلام) والسيد الأمين (قدس سره).....
 ٢٧٧..... تاريخ قبر العقيلة زينب (عليها السلام) في دمشق
 ٢٨٠..... شهرة المرقد الزينبي
 ٢٨١..... الوقفية العظيمة.....
 ٢٨٩..... آل مرتضى والنسب الزاهي.....
 ٢٩٧..... وقفة هامة
 ٣٠٠..... عودٌ على بدء.....

من كرامات السيدة زينب (عليها السلام)

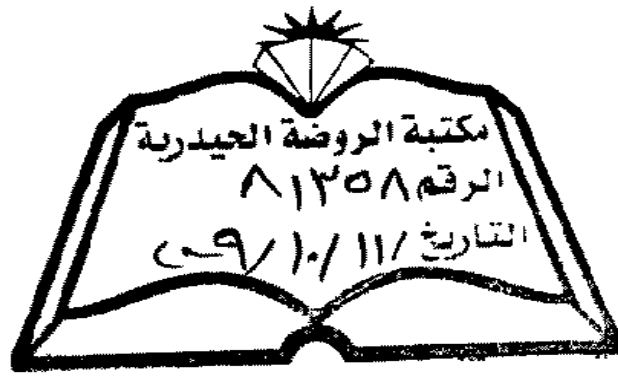
- ٣٠٥..... قصة القفص الفضي.....
 ٣٠٦..... فضائل السيدة زينب عليها السلام على العبد الفقير كاتب هذه الأسطر
 ٣١٠..... شفاء امرأة من سلسلة أورام خبيثة.....
 ٣١٣..... قصة الرضاعة التي أبصرت.....
 ٣١٤..... السيدة المتوفاة سريراً.....
 ٣١٧..... الحسنة بعشرة أمثالها
 ٣١٨..... تحية سرب الطيور للسيدة زينب عليها السلام.....
 ٣٢٠..... المريضة التي طافت العالم تبحث عن دواء
 ٣٢٤..... شفاء الطفلتين المشلولتين.....
 ٣٢٥..... نجاة مؤمنة من عملية جراحية.....
 ٣٢٨..... رفع معاناة عن امرأة مؤمنة.....

المحتويات

- الطفلة التي تعاني من ثقب في القلب ٣٢٩
- النصرانية التي أرادت أن توفي نذرها ٣٣٠
- الرضيع الذي امتنع عن الطعام حتى كاد أن يهلك ٣٣٢
- شفاء طفل أردني رضيع ٣٣٤
- المرأة النصرانية التي أنجبت بعد حين ٣٣٦
- الطفلة التي شفيت من أمراض الدم ٣٣٨
- حديث الختام ٣٤١

الملحق

- قراءة تاريخية بقلم العلامة الشيخ ماجد الفتلاوي ٣٤٩
- العقيلة زينب (ع) ٣٤٩
- مدرسة الصبر والتسليم والتفويض لأمر الله تعالى ٣٥٢
- آراء العلماء في المشهد الزيني ٣٥٨
- قبور الزينيات ٣٦٩
- وثائق هامة ٣٧٢
- المراجع ٣٨٧
- فصول هامة في هذا الكتاب ٣٨٩



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)

نلتمس من سماحتكم أن تفيضوا علينا من نعيم علمكم الجم، عن

مكان ومحل مرقد مولانا فخر المخدرات الطالبين

العقيلة زينب الكبرى (عليها السلام)

بسم الله
ح/ الأشهر الثامن في التمام
مع نور
١٤٢٠

كتب
سماحة السيد السيستاني
المرقد

النور يسطع من يد زينب (عليها السلام)

- عندما يتألف القلب والروح مع القلم...
- عندما تنبض الكلمات على صفحات كتاب...
- عندما يتكلم الزمان عن قامة شامخة..
- عندما يتلالا التاريخ بأحرف من نور..
- عندما تختصر البطولة في شخصية سيّدة..
- عندما تعبق بالأريج صفحات المجد..
- عندما تنسج الأبجدية ملحمة إنسانية..
- عندها تدرك بالبيدهة..

إنما المقصود هي زينب (عليها السلام)

فيتجسد لك التاريخ بأنصع صورته، يأتيك من الزمان الغابر، مرضعاً بالياقوت والجواهر، يقول لك:

يُحكى أنّ.. أمة كاد أن يخبو نورها، وتسقط رايته، وكانت هنالك سيّدة جليّة كبر عليها أن يغيب صوت (الله أكبر.. الله أكبر) من على المآذن، فتلقضت الراية وحضنتها وحافظت عليها إلى أن سلّمتها سالمة مسلمة لا شية فيها ليد مباركة- لها في القرآن والسنة مكان رحب- فكانت يد الله فوق أيديهم الذي أبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، لتكون يد زينب (عليها السلام) إحدى تلك الأيادي المباركة التي ساهمت في إيصال نور الله تعالى للبشرية جمعاء.

بيروت - لبنان - طريق المطار - سنتر زعرور - ط- ٤

هاتف: ٤٥٥٧٤٤ / ٠٢ - تلفاكس: ٤٥٦٥٦٧ ١ ٠٩٦١

E-mail: aladian@hotmail.co.uk



مركز الدراسات والبحوث والفتوى والتوجيه